وقد روي أن إبراهيم الخليل عليه السلام أصابته حاجةٌ فذهب إلى صديقٍ له يستقرضه
شيئاً فلم يقرضه فرجع مهموماً، فأوحى الله تعالى إليه: لو سألت خليلك لأعطاك. فقال: يا
رب، عرفت مقتك للدنيا فخفت أن أسألك منها شيئاً. فأوحي الله إليه: ليس الحاجة من
الدنيا. فعلى هذا يكون قدر الحاجة من الدين وما وراء ذلك وبالٌ في الآخرة، وهو أيضاً في
الدنيا كذلك، يعرفه من يخبر أحوال الأغنياء وما عليهم من المحنة في كسب المال وجمعه
وحفظه واحتمال الذل فيه، وغاية سعادته به أن يسلم لورثته فيأكلوه، وربما يكونون أعداءً
له، وقد يستعينون به على المعاصي فيكون هو معيناً لهم عليها. ولذلك شبه جامع الدنيا
ومتبع الشهوات بدود القز إذا لا يزال ينسج على نفسه حياً ثم يروم الخروج فلا يجد مخلصاً
فيموت ويهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه، فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا. قال
الشاعر:
كدودٌ كدود القز ينسج دائماً ويهلك غماً وسط ما هو ناسجه
قال: ولما انكشف لأولياء الله تعالى أن العبد مهلكٌ نفسه بأعماله واتباعه هوى نفسه
إهلاك دود القز نفسه رفضوا الدنيا بالكلية، حتى قال الحسن: رأيت سبعين بدرياً كانوا
فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم. وفي لفظٍ آخر: كانوا بالبلاء أشد
فرحاً منكم بالخصب والرخاء، لو رأيتموهم قلتم: مجانين ولو رأوا خياركم قالوا: ما لهؤلاء
من خلاق، ولو رأوا شراركم قالوا: ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب. وكان أحدهم يعرض له
المال الحلال فلا يأخذه ويقول: أخاف أن يفسد علي قلبي. فمن كان له قلبٌ فهو لا محالة
يخاف من فساده، والذين أمات حب الدنيا قلوبهم فقد أخبره الله عنهم فقال: "ورضوا
بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون"، وقال تعالى: "ولا تطع من أغفلنا
قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً"، وقال تعالى: "فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم
يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم"، فأحال ذلك كله على الغفلة وعدم الفكر. وقال
بعضهم: ما من يوم ذر شارقه إلا وأربعة أملاكٍ ينادون في الآفاق بأربعة أصواتٍ: ملكان

بالمشرق وملكان بالغرب يقول أحدهم بالمشرق: يا باغي الخير هلم، ويا باغي الشر أقصر.
ويقول الآخر: اللهم أعط منفقاً خلفاً، وأعط ممسكاً تلفاً.
ويقول اللذان بالمغرب أحدهما:
لدوا للموت وابنوا للخراب، ويقول الآخر: كلوا وتمتعوا لطول الحساب.
علامات الزهد
قال الغزالي رحمه الله تعالى: اعلم أنه قد يظن أن تارك المال زاهدٌ، وليس كذلك، فإن ترك
المال وإظهار الخشونة سهلٌ على من أحب المدح بالزهد. فكم من الرهابين من ردوا
أنفسهم كل يوم إلى نزرٍ يسيرٍ من الطعام ولازموا ديراً لا باب له، وإنما مسرة أحدهم معرفة
الناس حاله ونظرهم إليه ومدحهم له، فلذلك لا يدل على الزهد دلالةً قاطعةً، بل لابد من
الزهد في المال والجاه جميعاً حتى يكمل الزهد في جميع حظوظ النفس من الدنيا، بل قد
يدعي جماعةٌ الزهد مع لبس الأصواف الفاخرة والثياب الرفيعة كما قال الخواص في وصف
المدعين إذ قال: وقومٌ ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من الثياب يموهون بذلك على الناس
ليهدى إليهم مثل لباسهم لئلا ينظر إليهم بالعين التي ينظر بها إلى الفقراء فيحقروا فيعطوا كما
يعطى المساكين ويحتجون لأنفسهم باتباع العلم وأنهم على السنة وأن الأشياء داخلةٌ إليهم
وهم خارجون منها، وإنما يأخذون ما يأخذون بعلة غيرهم، هذا إذا طولبوا بالحقائق
وألجئوا إلى المضايق. وكل هؤلاء أكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية أسرارهم ولا بتهذيب
أخلاق نفوسهم، فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوها حالاً لهم، فهم مائلون إلى الدنيا
متبعون للهوى. هذا كلام الخواص.
قال الغزالي رحمه الله: فإذاً معرفة الزهد أمرٌ مشكل، بل حال الزهد على الزاهد مشكل،
فينبغي أن يعول في باطنه على ثلاث علاماتٍ:
العلامة الأولى: ألا يفرح بموجود، ولا يحزن على مفقود، كما قال الله تعالى: "لكيلا تأسوا
على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم"، بل ينبغي أن يكون بالضد من ذلك وهو أن يحزن
لوجود المال ويفرح لفقده.
العلامة الثانية: أن يستوي عنده ذامه ومادحه، فالأولى علامة الزهد في المال، والثانية

علامة الزهد في الجاه.
العلامة الثالثة: أن يكون أنسه بالله عز وجل، والغالب على قلبه حلاوة الطاعة، إذ لا يخلو
القلب من حلاوة المحبة، إما محبة الدنيا وإما محبة الله، وهما في القلب كالماء والهواء في
القدح، فالماء إذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان، وكل من أنس بالله اشتغل به ولم يشتغل
بغيره. وقد قال أهل المعرفة: إذا تعلق الإيمان بظاهر القلب أحب الدنيا والآخرة جميعاً
وعمل لهما، وإذا بطن الإيمان في سويداء القلب وباشره أبغض الدنيا ولم ينظر إليها ولم يعمل
لها. وقد ورد في دعاء آدم عليه السلام: اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي. وقال أبو
سليمان: من شغل بنفسه شغل عن الناس، وهذا مقام العاملين. ومن شغل بربه شغل عن
نفسه، وهذا مقام العارفين. والزاهد لا بد أن يكون في أحد هذين المقامين.
وبالجملة فعلامة الزهد استواء الفقر والغنى والعز والذل والمدح والذم، وذلك لغلبة الأنس
بالله. ويتفرع عن هذه العلامات علاماتٌ أخر مثل أن يترك الدنيا ولا يبالي من أخذها.
وقيل: علامته أن يترك الدنيا كما هي فلا يقول: أبني رباطاً أو أعمر مسجداً، وهذا من كلام
الأستاذ أبي علي الدقاق. وقال ابن خفيف: علامته وجود الراحة في الخروج من الملك.
وقال الجنيد: علامته خلو القلب عما خلت منه اليد. وقال أحمد بن حنبل وسفيان:
علامة الزهد قصر الأمل. وقال رجلٌ ليحيى بن معاذ: متى أدخل حانوت التوكل وألبس برد
الزهد وأقعد مع الزاهدين؟ فقال: إذا صرت من رياضتك لنفسك في السر إلى حدٍ لو قطع
الله عنك الرزق ثلاثة أيامٍ لم تضعف في نفسك، فأما ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على
بساط الزاهدين جهلٌ ثم لا آمن عليك أن تفتضح. قالوا: ولا يتم الزهد إلا بالتوكل، فلنذكر
التوكل.
التوكل: فضيلته وحقيقته
أما فضيلته فقد قال تعالى: "وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين"، وقال الله تعالى: "وعلى
الله فليتوكل المتوكلون". وقال تعالى: "ومن يتوكل على الله فهو حسبه". وقال تعالى: "إن

الله يحب المتوكلين"، وناهيك بذلك مقاماً. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أريت
الأمم في الموسم فرأيت أمتي قد ملئوا السهل والجبل فأعجبتني كثرتهم وهيئتهم فقيل لي
أرضيت قلت نعم قال ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حسابٍ قيل من هم يا
رسول الله قال هم الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون". وقال
صلى الله عليه وسلم: "من انقطع إلى الله عز وجل كفاه الله تعالى مئونة رزقه من حيث لا
يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها".

وأما حقيقة التوكل فقد قال الغزالي رحمه الله: التوكل مشتقٌ من الوكالة يقال: وكل أمره إلى
فلانٍ أي فوضه إليه واعتمد عليه فيه. ويسمى الموكول إليه وكيلاً، ويسمى المفوض إليه
متكلاً عليه ومتوكلاً عليه مهما اطمأنت إليه نفسه ووثق به ولم يتهمه فيه بتقصيره ولم يعتقد
فيه عجزاً ولا قصوراً. ثم قال بعد أن ضرب لذلك أمثلةً يطول شرحها: واعلم أن حالة
التوكل في القوة والضعف ثلاث درجاتٍ:

الأولى: أن يكون حاله في حق الله تعالى والثقة بكفالته وعنايته كحاله في الثقة بالوكيل.

الثانية وهي أقوى: أن يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل في حق أمه فإنه لا يعرف
غيرها ولا يفزع إلى سواها ولا يعتمد إلا إياها، فإن رآها تعلق في كل حالٍ بها، وإن نابه أمرٌ
في غيبتها كان أول سابقٍ إلى لسانه: يا أماه، وأول خاطرٍ يخطر على قلبه أمه لوثوقه بكفالتها
وكفايتها وشفقتها.

الثالثة وهي أعلاها: أن يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي
الغاسل يقلبه كيف أراد لا يكون له حركةٌ ولا تدبير. قال: وهذا المقام في التوكل يثمر ترك
الدعاء والسؤال منه ثقةً بكرمه وعنايته، وأنه يعطي ابتداء أفضل مما يسأل. وقد تكلم
المشايخ في التوكل وبيان حده واختلفت عباراتهم وتكلم كل واحدٍ عن مقام نفسه وأخبر
عن حده.

قال أبو موسى الديلي: قلت لأبي زيدٍ: ما التوكل؟ فقال: ما تقول أنت؟ قلت: إن أصحابنا
يقولون: لو أن السباع والأفاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك سرك. فقال أبو زيدٍ: نعم

هذا قريب، ولكن لو أن أهل الجنة في الجنة يتنعمون، وأهل النار في النار يعذبون، ثم وقع
بك تمييزٌ عليهما خرجت من جملة التوكل. وسئل أبو عبد الله القرشي عن التوكل فقال:
التعلق بالله تعالى في كل حالٍ. فقال السائل: زدني، فقال: ترك كل سببٍ يوصل إلى سببٍ
حتى يكون الحق هو المتولي لذلك. وهذا مثل توكل إبراهيم الخليل عليه السلام إذ قال له
جبريلُ: ألك حاجةٌ؟ فقال: أما إليك فلا، إذا كان سؤاله يفضي إلى سببٍ فترك ذلك ثقةً
بأن الله يتولى ذلك.
قال أبو سعيدٍ الخراز: التوكل اضطرابٌ بلا سكون، وسكونٌ بلا اضطراب. أشار بالأول
إلى فزعه إلى الله تعالى وابتهاله وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بيديه إلى أمه، وبالثاني
إلى سكون القلب إلى الوكيل وثقته به. وقال أبو علي الدقاق: التوكل على ثلاث درجاتٍ:
التوكل ثم التسليم ثم التفويض، فالمتوكل يسكن إلى وعده، وصاحب التسليم يكتفي بعلمه،
وصاحب التفويض يرضى بحكمه. وقال: التوكل بداية، والتسليم وسائط، والتفويض نهاية.
وقال: التوكل صفة المؤمنين، والتسليم صفة الأولياء، والتفويض صفة الموحدين.
وسئل ابن عطاءٍ عن حقيقة التوكل فقال: ألا يظهر فيك انزعاجٌ إلى الأسباب مع شدة
فاقتك إليها، ولا تزول عن حقيقة السكون إلى الحق مع وقوفك عليها. وقال أبو نصرٍ
السراج: شرط التوكل ما قاله أبو ترابٍ النخشبي وهو طرح البدن في العبودية وتعلق القلب
بالربوبية والطمأنينة إلى الكفاية، فإن أعطي شكر، وإن منع صبر. وكما قال ذو النون:
التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة. وقال أبو بكرٍ الدقاق: التوكل رد العيش
إلى يومٍ واحدٍ وإسقاط هم غد.
وسئل ذو النون: ما التوكل؟ فقال: خلع الأرباب، وقطع الأسباب. فقال السائل: زدني،
فقال: إلقاء النفس في العبودية وإخراجها من الربوبية. وقال مسروق: التوكل الاستسلام
لجريان القضاء والأحكام. وقال أبو عثمانٍ: التوكل الاكتفاء بالله مع الاعتماد عليه. وقيل:
التوكل الثقة بما في يد الله واليأس مما في يد الناس. وقيل: التوكل فراغ السر عن التفكر في

التقاضي في طلب الرزق.
أعمال المتوكلين
قال الغزالي رحمه الله: قد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب،
والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة وكاللحم على الوضم، وهذا ظن الجهال، فإن ذلك
حرامٌ في الشرع، والشرع قد أثنى على المتوكلين فكيف ينال مقامٌ من مقامات الدين
بمحظورات الدين! بل إنما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعمله إلى مقاصده.
وسعي العبد باختياره إما أن يكون لأجل جلبٍ نافعٍ هو مفقودٌ عنده كالكسب، أو لحفظ
نافعٍ هو موجودٌ عنده كالادخار، أو لدفع ضارٍ لم ينزل به كدفع الصائل والسارق والسباع،
أو لإزالة ضارٍ قد نزل به كالتداوي من المرض. فمقصود حركات العبد لا يعدو هذه
الحالات الأربع التي هي جلب النافع أو حفظه أو دفع الضار أو قطعه. ثم ذكر شرط
التوكل ودرجاته في كل واحدٍ منها، وقرن ذلك بشواهد الشرع، فقال ما مختصره ومعناه:
أما جلب النافع، فالأسباب التي بها يجلب النافع على ثلاث درجاتٍ: مقطوعٌ به، ومظنونٌ
ظناً يوثق به، وموهومٌ وهماً لا تثق النفس به ثقةً تامةً ولا تطمئن إليه.
فالدرجة الأولى: المقطوع به كالطعام إذا وضع بين يدي الرجل وهو جائعٌ محتاجٌ إلى تناوله
فامتنع من مد يده وقال: أنا متوكلٌ، وشرط التوكل ترك السعي، ومد اليد إليه سعيٌ
وحركة، وكذلك مضغه بالأسنان وابتلاعه بإطباق أعالي الحنك على أسفله، فهذا جنونٌ
وليس من التوكل في شيء، فإنه إن انتظر أن الله تعالى يخلق فيه شبعاً دون الخبز أو يسخر
ملكاً يمضغه ويوصله إلى معدته فهذا رجلٌ جهل سنة الله تعالى، وكذلك لو لم يزرع الأرض
وطمع أن الله تعالى يخلق نباتاً من غير بذرٍ أو تلد زوجه من غير مباضعةٍ كريم، فكل ذلك
جنون، بل يجب عليه أن يعلم أن الله تعالى خالق الطعام واليد والأسنان وقوة الحركة، وأنه
الذي يطعمه ويسقيه، وأن يكون قلبه واعتماده على فضل الله تعالى لا على اليد والطعام،
ظناً يوثق به، وموهومٌ وهماً لا تثق النفس به ثقةً تامةً ولا تطمئن إليه.

فالدرجة الأولى: المقطوع به كالطعام إذا وضع بين يدي الرجل وهو جائعٌ محتاجٌ إلى تناوله
فامتنع من مد يده وقال: أنا متوكلٌ، وشرط التوكل ترك السعي، ومد اليد إليه سعيٌ
وحركة، وكذلك مضغه بالأسنان وابتلاعه بإطباق أعالي الحنك على أسفله، فهذا جنونٌ
وليس من التوكل في شيء، فإنه إن انتظر أن الله تعالى يخلق فيه شبعاً دون الخبز أو يسخر
ملكاً يمضغه ويوصله إلى معدته فهذا رجلٌ جهل سنة الله تعالى، وكذلك لو لم يزرع الأرض
وطمع أن الله تعالى يخلق نباتاً من غير بذرٍ أو تلد زوجه من غير مباضعةٍ كريم، فكل ذلك
جنون، بل يجب عليه أن يعلم أن الله تعالى خالق الطعام واليد والأسنان وقوة الحركة، وأنه
الذي يطعمه ويسقيه، وأن يكون قلبه واعتماده على فضل الله تعالى لا على اليد والطعام،
فليمد يده ويأكل فإنه متوكل .
والدرجة الثانية : الأسباب التي ليست متعينة ، ولكن الغالب أن المسببات لا تحصل دونها واحتمال حصولها دونها بعيد كالذي يفارق الأمصار والقوافل ويسير في البوادي التي لا يطرقها الناس إلا نادرًا ويكون سفره من غير استصحاب زاد ، فهذا ليس شرطًا في التوكل ، بل استصحاب الزاد في البوادي من سنة الأولين مع الاعتماد على فضل الله عز وجل لا على الزاد ، ولكن فعل ذلك جائز ، وهو من أعلى مقامات التوكل وهو فعل الخواص .
قال الغزالي : فإن قلت : فهذا سعي في الهلاك وإلقاء النفس إلى التهلكة ، فاعلم أن ذلك يخرج عن كونه حرامًا بشرطين :
أحدهما أن يكون الرجل قد راض نفسه وجاهدها حتى صبرت عن الطعام أسبوعًا أو ما يقاربه بحيث أنه لا يناله ضيق قلب ولا تشويش خاطر .
والثاني أن يكون بحيث يقوى على التقوت بالحشيش وما يتفق من الأشياء الخسيسة، فإنه لا يخلو
غالب الأمر في البوادي كل أسبوعٍ أن يلقاه آدميٌ أو ينتهي إلى محلةٍ أو قريةٍ او إلى حشيشٍ
يتقوت به، وعلى هذا كان يعول الخواص ونظراؤه من المتوكلين. وقد كان الخواص مع توكله
لا تفارقه الإبرة والمقراض والحبل والركوة، ويقول: هذا لا يقدح في التوكل.
وأما لو انحاز إلى شعبٍ من شعاب الجبال حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرقه طارقٌ فيه
وجلس متوكلاٍ فهو آثمٌ به ساعٍ في إهلاك نفسه.

وأما القاعد في البلد بغير كسبٍ فليس ذلك حراماً، لأنه لايبعد أن يأتيه الرزق من حيث لا
يحتسب ولكن قد يتأخر عنه. فإن أغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لأحدٍ إليه
ففعله ذلك حرام. فإن فتح باب البيت وهو بطالٌ غير مشغولٍ بعبادةٍ فالكسب والخروج له
أولى، ولكن ليس فعله حراماً إلا أن يشرف على الموت، فعند ذلك يلزمه الخروج والسؤال
والكسب. وإن كان مشغول القلب بالله غير متطلعٍ إلى الناس ولا إلى من يدخل من الباب
فيأتيه برزق، بل تطلعه إلى فضل الله تعالى واشتغاله بالله فهو أفضل وهو من مقامات
التوكل، فإن الرزق يأتيه لا محالة. فلو هرب العبد من رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت
لأدركه.
قال ابن عباس رضي الله عنهما: اختلف الناس في كل شيءٍ إلا في الرزق والأجل فإنهم
أجمعوا أن لا رازق ولا مميت إلا الله تعالى. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو
توكلتم على الله تعالى حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً ولزالت
بدعائكم الجبال". وقال عيسى عليه السلام: انظروا إلى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر
و الله تعالى يرزقها يوماً بيوم، فإن قلتم نحن أكبر بطوناً، فانظروا إلى الأنعام كيف قيض الله
تعالى لها هذا الخلق للرزق. وقال أبو يعقوب السوسي: المتوكلون تجري أرزاقهم على أيدي
العباد بلا تعبٍ منهم وغيرهم مشغولون مكدودون. وقال بعضهم: العبيد كلهم في رزق الله
تعالى، لكن بعضهم يأكل بذلٍ كالسؤال، وبعضهم يأكل بتعبٍ كالتجار، وبعضهم بامتهانٍ
كالصناع، وبعضهم بعزٍ كالصوفية، يشهدون العزيز فيأخذون رزقهم من يده ولا يرون
الواسطة.
والدرجة الثالثة: ملابسة الأسباب التي يتوهم إفضاؤها إلى المسببات من غير ثقةٍ ظاهرة،
كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الاكتساب ووجوهه، وذلك يخرج بالكلية
عن درجات التوكل كلها، وهو الذي الناس كلهم فيه من التكسب بالحيل الدقيقة اكتساباً
مباحاً لمالٍ مباح. هذا ملخص ما أورده رحمه الله تعالى في جلب النافع، ذكر لذلك أمثلةً

ونظائر تركناها اختصاراً.
وأما حظ النافع فهو التعرض لأسباب الادخار، فمن حصل له مالٌ بإرثٍ أو كسبٍ أو
سؤالٍ أو سببٍ من الأسباب فله في الادخار ثلاث أحوالٍ:
الأولى: أن يأخذ قدر حاجته في الوقت فيأكل إن كان جائعاً، ويلبس إن كان عارياً،
ويشتري مسكناً مختصراً إن كان محتاجاً، ويفرق الباقي في الحال ولا يدخر منه إلا ما
أرصده لمحتاجٍ، فهذا هو الموفي بموجب التوكل تحقيقاً، وهي الدرجة العليا.
الحالة الثانية المقابلة لهذه المخرجة له عن حدود التوكل: أن يدخر لسنةٍ فما فوقها، فهذا
ليس من المتوكلين أصلاً.
الحالة الثالثة: أن يدخر لأربعين يوماً فما دونها، فهذا يوجب حرمانه من المقام المحمود
الموعود في الآخرة للمتوكلين. وقال الخواص: لا يخرج بأربعين يوماً ويخرج بما زاد عليها.
وأما دفع الضار عن النفس والمال فقد قال الغزالي رحمه الله: ليس من شرط التوكل ترك
الأسباب الدافعة للضرر. أما في النفس فكالنوم في الأرض المسبعة أو في مجاري السيل من
الوادي أو تحت الجدار المائل أو السقف المتكسر، فإن ذلك منهيٌ عنه وصاحبه قد عرض
نفسه إلى الهلاك بغير فائدةٍ. وأما في المال فلا ينقص التوكل إغلاق باب البيت عند الخروج
منه ولا أن يعقل البعير. فهذه أسبابٌ عرفت بسنة الله تعالى، فقد روي عن أنسٍ بن مالك
رضي الله عنه أنه قال: جاء رجلٌ على ناقةٍ فقال: يا رسول الله، أدعها وأتوكل؟ فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اعقلها وتوكل".
وأما إزالة الضرر فقد قال الغزالي رحمه الله تعالى: إن الأسباب المزيلة للضرر تنقسم إلى
مقطوعٍ به كالماء المزيل لضرر العطش والخبز المزيل لضرر الجوع، وإلى مظنونٍ كالفصد
والحجامة وشرب الدواء وسائر أبواب الطب، وإلى موهومٍ كالكي والرقية.
أما المقطوع به فليس من التوكل تركه بل تركه حرامٌ عند خوف الموت.
وأما الموهوم، فشرط التوكل تركه، إذ بتركه وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم
المتوكلين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لم يتوكل من استرقى واكتوى". وقال

سعيد بن جبيرٍ: لدغتني عقربٌ فأقسمت على أمي لتسترقين، فناولت الراقي يدي التي لم
تلدغ.
وأما الدرجة الوسطى وهي المظنونة كالمداواة بالأسباب الظاهرة عند الأطباء ففعل ذلك
لا يناقض التوكل بخلاف الموهوم، وتركه ليس بمحظورٍ بخلاف المقطوع به. وقد تداوى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بالتداوي وقال: "ما من داءٍ إلا وله دواءٌ عرفه من
عرفه وجهله من جهله إلا السام" يعني الموت، وتضافرت الأحاديث بالأمر بالدواء.
ومنهم من رأى أن ترك التداوي قد يحمد في بعض الأحيان إذا اقترن به أحد أسبابٍ
ستةٍ:
الأول: أن يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف بأنه انتهى اجله وأن الدواء لا ينفعه،
وتحقق ذلك إما برؤيا صادقةٍ أو بحدسٍ وظنٍ أو بكشفٍ محققٍ كحال أبي بكرٍ الصديق
رضي الله عنه لما قيل له في مرض موته: لو دعونا لك طبيباً؟ فقال: الطبيب نظر إلي وقال
إني فعالٌ لما أريد. وكان رضي الله عنه من المكاشفين، والدليل على ذلك أنه قال لعائشة
رضي الله عنها في أمر الميراث: إنما هن أختاك، وما كان لها إلا أختٌ واحدةٌ وكانت
امرأته حاملاً فولدت أنثى، فلا يبعد أن يكون كوشف بانتهاء أجله، ومحالٌ أن ينكر التداوي
وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله.
الثاني: أن يكون المريض مشغولاً بحاله وبخوف عاقبته وإطلاع الله تعالى عليه، فينسيه
ذلك ألم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوي شغلاً بحاله، كحال أبي ذرٍ لما رمدت عيناه، فقيل له:
لو داويتهما! فقال: إني عنهما مشغولٌ. فقيل له لو سألت الله أن يعافيك! فقال: أسأل فيما
هو أهم علي منهما. وكحال أبي الدرداء فإنه قيل له في مرضه: ما تشتكي ؟ قال:
ذنوبي. قيل: فما تشتهي؟ قال: مغفرة ربي. قالوا: ألا ندعو لك طبيباً؟ قال: الطبيب
أمرضني. ويكون حال هذا كالمصاب بموت عزيزٍ أو كالخائفٍ من ملكٍ فيشغله ذلك عن ألم
الجوع.
الثالث: أن تكون العلة مزمنةً والدواء الذي يؤمر به بالإضافة إلى علته موهومٌ كالكي

والرقية، فتركه للتوكل كالربيع بن خيثم فإنه أصابه فالج، فقيل له: لو تداويت! فقال: لقد
هممت ثم ذكرت عاداً وثمود وقروناً بين ذلك كثيراً وكان فيهم الأطباء فهلك المداوي
والمداوى ولم تغن الرقى شيئاً. أي أن الدواء غير موثوق به.
الرابع: أن يقصد العبد ترك التداوي استيفاءً للمرض لينال ثواب المرض بحسن الصبر على
بلاء الله تعالى وليجرب نفسه في القدرة على الصبر.
الخامس:أن يكون العبد قد سبق له ذنوبٌ وهو خائفٌ منها عاجزٌ عن تكفيرها فيرى
المرض إذا طال تكفيرا، وترك التداوي خوفاً من أن يسرع زوال المرض ورغب في مضاعفة
الأجر. فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: "حمى يومٍ كفارة سنة".
السادس: أن يستشعر العبد في نفسه مبادئ البطر والطغيان بطول مدة الصحة، فيترك
التداوي خوفاً من أن يعاجله زوال المرض فتعاوده الغفلة والبطر والطغيان أو طول الأمل
والتسويف في تدارك الفائت وتأخير الخيرات، فإن الصحة تحرك الهوى وتبعث على
الشهوات وتدعو إلى المعاصي، وأقلها أن تدعوا إلى التنعم في المباحات وهو تضييع
الأوقات وإهمال الربح العظيم في مخالفة النفس وملازمة الطاعات. وإذا أراد الله بعبدٍ خيراً
لم يخله عن التنبيه بالأمراض والمصائب، ولذلك قيل: لا يخلوا المؤمنون من علةٍ أو قلةٍ أو
ذلةٍ. قال: فلما أن كثرت فوائد المرض رأى جماعةٌ ترك الحيلة في زوالها، إذ رأوا لأنفسهم
مزيداً فيها لا من حيث رأوا التداوي نقصاناً، وكيف يكون ذلك نقصاناً وقد فعله رسول الله
صلى الله عليه وسلم!.
فهذه نبذةٌ كافيةٌ في مقامي الزهد والتوكل. فلنذكر الأدعية.

الباب الرابع

في الأدعية

وهذا الباب - يقبل الله منا ومنك وفينا وفيك صالح الدعوات، وجعلنا وإياك ممن اعتمد
على كرمه ومنته في الحركات والسكنات، ووفقنا للتضرع والسكون إلى فضله، وعاملنا بما
هو من أهله لا ما نحن من أهله - هو مشرع الظمآن إلى موارد الكرم العذبة، ومفزع
الحيران إذا ألمت به الضائقة وحصرته الكربة، فبه يتوسل إلى الله تعالى في مطالب الدنيا

والآخرة، ويتوصل إلى النعم الوافية والخيرات الوافرة، كيف لا وقد أمرنا الرب العظيم
بالدعاء والإنابة، ووعدنا وهو الوفي الكريم بالقبول والإجابة، وترادفت بفضله الأخبار
الصحيحة، وجاءت بشرفه الآثار الصريحة، على ما ستقف على ذلك إن شاء الله تعالى
واضحاً، وتعول عليه مقيماً وظاعناً وغادياً ورائحاً. فلازمه في سائر أحوالك، وتعاهده
على بكرك وآصالك ، فستجني إن شاء الله منه ثمار غرسك، وتجد حلاوة ذلك في قلبك
وأنسه في نفسك.
واعلم أن للدعاء، كما قال ابن عطاء، أركاناً وأجنحةً وأسباباً وأوقاتاً. قال: فإن وافق
أركانه قوي، وإن وافق أجنحته طار في السماوات، وإن وافق مواقيته فاز، وإن وافق
أسبابه أنجح. فأركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه
من الأسباب. وأجنحته الصدق. ومواقيته الأسحار. وأسبابه الصلاة على محمدٍ صلى
الله عليه وسلم. قال عز وجل: "وإذا سألك عبادي عني فإني قريبٌ أجيب دعوة الداع
إذا دعان". روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يقول الله تعالى للعبد يوم
القيامة أكنت ترى لبعض دعائك الإجابة ولا ترى لبعضه فيقول نعم فيقول له أما إنك ما
دعوتني بدعوةٍ إلا وقد استجبت لك فيها أليس دعوتني يوم كذا وكذا فرأيت الإجابة فيقول
نعم و يقول ودعوتني يوم كذا وكذا فلم تر الإجابة فيقول نعم فإني ادخرتها لك في الجنة فلا
يبقى له دعوةً إلا بينها له حتى يتمنى المؤمن أن دعواته كلها كانت ذخائره في الآخرة". وعن
النعمان بن بشيرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنً الدعاء هو
العبادة" قال: وقرأ "وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي
سيدخلون جهنم داخرين". وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال: "ليس شيءٌ أكرم على الله من الدعاء". وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله

بالدعاء". وعن أنسٍ رصي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله
عز وجل حيٌ كريمٌ يستحي إذا بسط الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً ليس فيهما شيء".
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "دعوة
المسلم لا ترد إلا بإحدى ثلاثٍ ما لم يدع بإثمٍ أو قطيعة رحمٍ إما أن يستجيب الله له فيما
دعا أو يدخر له في الآخرة أو يصرف عنه من السوء بقدر ما دعا". وعن أنسٍ رضي الله
عنه قال: قيل يا رسول الله : إنا ندعوا بدعاءٍ كثيرٍ منه ما نرى إجابته ومنه ما لا نرى
إجابته فقال: "والذي نفسي بيده ما من أحدٍ يدعو بدعوةٍ إلا استجيب له أو صرف عنه
مثلها شراً". قالوا : يا رسول الله إذاً نكثر؟ قال: "الله أكثر وأكثر" ثلاث مرات. وعنه
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "دعوةٌ في السر تعدل سبعين دعوةً في
العلانية". وعن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: "إن لله عز وجل في الليل والنهار عتقاء من النار ولكل مسلمٍ ومسلمةٍ في كل يومٍ
وليلةٍ دعوةٌ مستجابة". وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
"إن الله تعالى يقول من ذا الذي دعاني فلم أجبه وسألني فلم أعطه واستغفرني فلم أغفر له
وأنا أرحم الراحمين". وعن أنسٍ رضي اله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
"إذا فتح الله على عبدٍ باب الدعاء فليكثر فإن الله يستجيب له". وعن ابن عمر رضي
الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من فتح له بابٌ في الدعاء فتحت له
أبواب الإجابة". وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من لم يسأل الله
يغضب عليه". وعن جابرٍ بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ
قوله تعالى: "وإذا سألك عبادي عني فإني قريبٌ أجيب دعوة الداع إذا دعان" الآية فقال
صلى الله عليه وسلم: "اللهم إنك أمرت بالدعاء وتوكلت بالإجابة لبيك اللهم لبيك لبيك لا
شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك أشهد أنك فردٌ أحدٌ صمدٌ لم

يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وأشهد أن وعدك حقٌ ولقاءك حقٌ والجنة حقٌ والنار
حقٌ وأن الساعة آتيةٌ لا ريب فيها وأنك تبعث من القبور". هذا مما ورد في الحث على
الدعاء.
وأما ما رد في نفع الدعاء ودفعه للبلاء، روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
قال: "إن أنواع البر كلها نصف العبادة والنصف الآخر الدعاء". وعن عائشة رضي الله
عنها أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا ينفع حذرٌ من قدرٍ والدعاء ينفع
مما نزل ومما لم ينزل وإن الدعاء ليلقى البلاء فيعتلجان إلى يوم القيامة". وعن أبي هريرة
رضي الله عنه قال: قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الدعاء ينفع مما نزل ومما لم لا ينزل وإن الدعاء ليرد
القضاء المبرم وإن الدعاء والبلاء ليلتقيان بين السماء والأرض فلا يزال أحدهما يدفع
صاحبه إلى يوم القيامة". وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم: "لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر". وعن عليٍ بن أبي
طالبٍ رضي اله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الدعاء سلاح المؤمن
وعماد الدين ونور السموات والأرض".
وأما ما ورد في الإلحاح في الدعاء وهيئة الذلة والإنابة، قال الله تعالى: "ادعوا ربكم تضرعاً
وخفيةً إنه لا يحب المعتدين". وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: "إن الله يحب الملحين في الدعاء". وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله عز
وجل لا يستجيب دعاءً من قلبٍ ساهٍ لاهٍ". وعن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه في الدعاء حتى يرى بياض إبطيه. وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قال: كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا جل باطن كفيه إلى وجهه. وعنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال: "سلوا الله ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها فإذا فرغتم

فامسحوا بها وجوهكم" وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: "إن ربكم عز وجل حيٌ كريمٌ يستحي أن يرفع العبد يديه فيردهما صفراً لا
خير فيهما فإذا رفع أحدكم يده فليقل يا حي لا إله إلا أنت يا أرحم الراحمين ثلاث مراتٍ ثم
إذا رد يده فليفرغ ذلك الخير على وجهه". وعن عمر رضي الله عنه قال: كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا مد يده في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه. وعن ابن
عباسٍ رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الإخلاص هكذا ورفع
إصبعاً واحداً من اليد اليمنى والدعاء هكذا وجعل بطونهما مما يلي السماء والابتهال
هكذا ومد يديه شيئاً وجعل ظهر الكف مما يلي السماء". وعن أبي هريرة رضي الله عنه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أقرب ما يكون العبد كمن ربه وهو ساجدٌ
فأكثروا الدعاء".
وأما ما ورد من كراهية استعجال الإجابة ورفع البصر والسجع في الدعاء، قال الله تعالى:
"بل
إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء". وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت فلم
يستجب لي". وعنه صلى الله عليه وسلم: "لا يزال العبد بخيرٍ ما لم يستعجل". قالوا:
وكيف يستعجل؟ قال: "يقول قد دعوت الله مراراً فلا أراه يستجيب لي". وعن أبي هريرة
رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لينتهين أقوامٌ عن رفع أبصارهم
عند الدعاء في الصلاة إلى السماء أو لتخطفن أبصارهم". وعن ابن عباس رضي الله
عنهما قال: "إياك والسجع في الدعاء فإني شهدت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لا
يفعلون ذلك.
وأما ما ورد فيمن تجاب دعواتهم. قال الله عز وجل: "أمن يجيب دعوة المضطر إذا
دعاه". وقال الله تعالى: "وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه". وروي عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " خمس دعواتٍ لا ترد دعوة الحاج حتى يصدر
ودعوة الغازي حتى يرجع ودعوة المظلوم حتى ينتصر ودعوة المريض حتى يبرأ ودعوة الأخ
لأخيه بالغيب وأسرع هؤلاء الدعوات إجابةً دعوة الأخ لأخيه بالغيب". وعن أبي هريرة
رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاث دعواتٍ مستجاباتٌ لا شك
فيهن دعوة الوالد ودعوة المسافر ودعوة المظلوم". وفي حديثٍ آخر: "دعوة الصائم بدل
دعوة الوالد". وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: "إنك تأتي قوماً أهل كتابٍ فاتق دعوة المظلوم". وعنه صلى الله
وسلم: "الإمام العادل لا ترد دعوته". وقال صلى الله عليه وسلم: "ثلاثةٌ لا ترد دعوتهم
إمامٌ مقسط ودعوة الصائم ودعوة المظلوم تفتح لها أبواب السماء ويقول الله عز وجل
لأنصرنك ولو بعد حين". وعنه صلى الله عليه وسلم: "دعاء الوالد لولده مثل دعاء النبي
لأمته". وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: "أسرع الدعاء إجابةً دعوة غائبٍ لغائب". وعن أبي الدرداء، رضي الله
عنه، عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "دعوة الرجل لأخيه بظهر القلب تعدل سبعين
دعوةً مستجابةً ويوكل الله عز وجل ملكاً يقول آمين ولك مثل ما دعوت". وعن جابر بن
عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من مؤمنٍ يدعو
لأخيه المؤمن بظهر القلب إلا قال له ملكٌ عن يمينه وملكٌ عن شماله ولك مثله". وعن أبي
أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "حامل القرآن له دعوةٌ
مستجابةٌ". وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا
دخلت على المريض فسله يدعو لك فإن دعاءه كدعاء الملائكة". وعن أنسٍ رضي الله
عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من ألهم الدعاء لم يحرم الإجابة لأن الله
تعالى يقول: "ادعوني أستجب لكم" ومن ألهم التوبة لم يحرم القبول لأن الله تعالى يقول: "وهو

الذي يقبل التوبة عن عباده" ومن ألهم الشكر لم يحرم الزيادة لأن الله تعالى يقول: "ولئن
شكرتم لأزيدنكم" ومن ألهم الاستغفار لم يحرم المغفرة لأن الله تعالى يقول: "استغفروا ربكم
إنه كان غفاراً" ومن ألهم النفقة لم يحرم الخلف لقوله تعالى: "وما أنفقتم من شيءٍ فهو
يخلفه".

الأوقات التي ترجى فيها إجابة الدعاء

قال الله عز وجل: "ومن الليل فتهجد به نافلةً لك". وقال تعالى: "إن ناشئة الليل هي أشد
وطئاً وأقوم قيلاً". وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: "ينزل الله حين يبقى ثلث الليل إلى السماء الدنيا فيقول من يسألني فأعطيه ومن
يدعوني فأستجب له ومن يستغفرني فأغفر له". وعنه صلى الله عليه وسلم: "تفتح أبواب
السماء ويستجاب دعاء المسلم عند إقامة الصلاة وعند نزول الغيث وعند زحف
الصفوف في سبيل الله وعند رؤية الكعبة". وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا
فاءت الأوفياء وهبت الرياح فارفعوا إلى الله حوائجكم فإنها ساعة الأوابين إنه كان للأوابين
غفوراً". وعن أبي أمامة قال قلت: يا رسول الله، أي الدعاء أسمع؟ قال: "جوف الليل
وأدبار المكتوبات". وعن ابن عمر قال: أفضل الساعات مواقيت الصلاة فادعوا فيها.
وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "خير يومٍ طلعت في
الشمس يوم الجمعة إن فيه لساعةً لا يوافقها عبدٌ يصلي يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه
إياه". وقد اختلف في ابتداء وقت هذه الساعة فقيل: أول ساعةٍ من طلوع الشمس، وقيل:
آخر ساعةٍ من غروبها، وقيل: عند جلوس الإمام على المنبر، وقيل: من الزوال إلى ابتداء
الصلاة، وقيل: من بعد العصر إلى الغروب، وقيل: إنها تنتقل في ساعات اليوم كما تنتقل ليلة
القدر في شهر رمضان. روي عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري قال: قال لي عبد الله
بن عمر رضي الله عنهم: أسمعت أباك يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في
شأن ساعة الجمعة؟ قال: نعم، سمعته يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في

شأن ساعة الجمعة يقول: "هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة". وعن فاطمة
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها عن أبيها صلى الله عليه وسلم أنه
قال: "إن في الجمعة لساعةً لا يوافقها مسلمٌ يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه". فقلت: يا
أبت، أي ساعةٍ هي؟ قال: "إذا تدلى نصف الشمس للغروب". فكانت فاطمة رضي الله
عنها إذا كان يوم الجمعة تأمر غلاماً لها يقال له زيد يرصد لها الشمس، فإذا تدلى نصف
الشمس للغروب أعلمها، فتقوم فتدخل المسجد فتدعو حتى تغرب الشمس وتصلي.
وحيث ذكرنا هذه المراتب فلنذكر الأدعية المنصوص عليها.
دعوات ساعات الأيام السبعة ولياليها
كما أورد الشيخ أبو العباس أحمد بن علي بن يوسف القرشي البوني رحمه الله تعالى
دعوات الساعات في اللمعة النورانية فبدأ بيوم الأحد وذكر دعاء كل ساعةٍ منه، ثم ذكر يوم
الاثنين فقال: ساعة كذا يدعى فيها بدعاء ساعة كذا من يوم الأحد، ثم ذكر يوم الثلاثاء
فقال: ساعة كذا يدعى فيها بدعاء كذا من يوم الاثنين وكذلك في بقية ساعات الأيام
والليالي، يذكر كل ساعةٍ ويحيل في دعائها على ساعةٍ من اليوم أو الليلة التي قبلها. فرأيت
أن الراغب في الدعاء يحتاج في معرفته إلى كشفٍ طويلٍ وتحقيقٍ إلى أن يصل إلى تلك
الساعة من يوم الأحد، وربما تعذر ذلك على كثيرٍ من الناس، فرتبت الأدعية على ما
ستقف إن شاء الله تعالى عليه ليسهل على المتناول طريقها ويدنو من المحاول تحقيقها، فقلت
وبالله التوفيق:
دعاءٌ يدعى به في الساعة الأولى من يوم الأحد، وفي الثامنة من ليلة الاثنين، وفي العاشرة
من يوم الاثنين، وفي الخامسة من ليلة الثلاثاء، وفي السابعة من يوم الثلاثاء، وفي الثانية من ليلة
الأربعاء وفي الرابعة من يوم الأربعاء، والحادية عشرة من ليلة الخميس، والحادية عشرة من
ليلة الجمعة والعاشرة من يوم الجمعة، وفي الثامنة من ليلة السبت وفي السابعة من يوم
السبت، وفي الخامسة من ليلة الأحد، وهو:
"رب اغمسني في بحرٍ من نور هيبتك حتى أخرج منه وفي وجهي شعاعات هيبةٍ تخطف

أبصار الحاسدين من الجن والإنس فتعميهم عن رمي سهام الحسد في قرطاس نعمتي،
واحجبني عنهم بحجاب النور الذي باطنه النور وظاهره النار. أسألك باسمك النور
وبوجهك النور يا نور النور أن تحجبني في نور اسمك حجاباً يمنعني من كل نقصٍ يمازج مني
جوهراً أو عرضاً إنك نور الكل ومنور الكل بنورك".
قال البوني: تدعو بهذا الدعاء ثمانياً وأربعين مرةً في هذه الساعة على وضوءٍ بعد صلاة
ركعتين فيما يتعلق بسؤال الهيبة وإقامة الكلمة وقهر العدو. ويناسب هذه الدعاء من
القرآن قوله تعالى: "الله نور السماوات والأرض" الآية، قال: من قرأ هذه الآية هذا العدد
المتقدم في بيتٍ مظلمٍ وعيناه مغلقتان شاهد أنواراً عجيبةً تملأ قلبه، وإن استدام ذلك
تشكلت له في عالم الحس. وهو ذكرٌ يصلح لأرباب الهمم وأهل الخلوات، وكاتبه وحامله
تظهر له زياداتٌ في قوى نفسه وقهر عدوه وخصمه لم يكن يعدها من قبل، ومن أمكنه أن
يداوي به العلل الكائنة في الرأس خصوصاً من البرودة وجد تأثير ذلك لوقته.
دعاءٌ يدعى به في الساعة الثانية من يوم الأحد والتاسعة من ليلة الاثنين وفي الحادية عشر
من يوم الاثنين، وفي السادسة من ليلة الثلاثاء وفي الثامنة من يوم الثلاثاء، وفي الثالثة من ليلة
الأربعاء وفي الخامسة من يوم الأربعاء، وفي الثانية عشر من ليلة الخميس وفي الثانية من يوم
الخميس، وفي الحادية عشر من يوم الجمعة، وفي التاسعة من ليلة السبت وفي الثامنة من يوم
السبت، وفي السادسة من ليلة الأحد وهو:
"رب فرحني بما ترضى به عني فرحاً يبهجني بجميل المسار، حتى لا ينبسط شيءٌ من
وجودي إلا بما بسطه جودك العلي. رب فرحني بنيل المراد منك بفناء إرادتي مني حتى لا
يكون في كوني إرادةٌ إلا إرادتك محفوظةً من عوارض التكوين، وأبهج بذلك في سر سماء
الأفراح في الوجودين برزق الباطن والظاهر، إنك باسط الرزق والرحمة يا ذا الجود الباسط يا
ذا البسط والجود".
هذا الذكر من ذكره في ساعةٍ من هذه الساعات تسعاً وأربعين مرةً أذهب الله تعالى عن

قلبه الحزن وعن صدره الحرج والضيق، ونفى عنه كل همٍ وغم، وبه يدعوا المسجونون
والمأسورون والمحزونون فيفرج الله تعالى عنهم، وذلك بعد صلاة تسليمتين، والآيات المناسبة
لهذا القسم "فرحين بما آتاهم الله من فضله" الآية، "قل بفضل الله وبرحمته" الآية. قال
البوني: ويقدم على ذكر هذه الآيات: اللهم اجعلني من الفرحين بما آتاهم الله من فضله، يقول
ذلك بعد الذكر الأول مثل العدد المذكور، فيرى المهموم من فضل الله تعالى به عجباً، ويزداد
به ذلك السرور سروراً لا يعرف سببه. ويصلح هذا الذكر لأرباب الفيض من أهل الخلوات
فإنهم يستروحون منه أنساً في خلواتهم ومخاطباتٍ بألفاظٍ مختلفةٍ بقدر الفيض والمقام
والسبب، يعرف ذلك من كانت له إحاطةٌ بكشف أسرار الدعوات والأسماء.
دعاءٌ يدعى به في الساعة الثالثة من يوم الأحد، والعاشرة من ليلة الاثنين وفي الثانية عشرة
من ليلة الاثنين وفي الثانية عشرة من يوم الاثنين، وفي السابعة من ليلة الثلاثاء وفي التاسعة من
يوم الثلاثاء، وفي الرابعة من ليلة الأربعاء وفي السادسة من يوم الأربعاء، وفي الأولى من ليلة
الخميس وفي الثالثة من يوم الخميس، وفي الأولى من ليلة الجمعة وفي الثانية عشرة من يوم
الجمعة، وفي العاشرة من ليلة السبت وفي التاسعة من يوم السبت، وفي السابعة من ليلة
الأحد. وهو:
"رب قلبني في أطوار معارف أسمائك تقليباً تشهدني به في ذرات وجودي ما أودعته
ذرات وجودي الملك والملكوت حتى أعاين سريان قدرك في معالم المعلومات، فلا يبقى
معلومٌ إلا وبيدي سر دقيقةٍ منه مجذوبةٍ بيد الكمال ونور الطلوع، وأذهب ظلمة الإكراه
حتى أتصرف في المهج بمبهجات المحبة إنك أنت المحب المحبوب يا مقلب القلوب".
قال: من دعا بهذا الاسم والذكر ست عشرة مرةً بعد صلاة ثلاث تسليماتٍ قلب الله قلبه
عن كل خاطر فيه نقصٌ إلى كل خاطرٍ فيه كمالٌ في حقه، ويصلح لأرباب الاستخارات،
وفيه لسرعة قضاء الحاجات معنًى بديع. والآيات المناسبة له "قوله الحق، وله املك"، وقوله

تعالى: "يكور الليل على النهار" إلى آخر الآية، وقوله تعالى: "فإن مع العسر يسراً إن مع
العسر يسراً" الآية، وما يناسب ذلك من القرآن.
وهو ذكرٌ يصلح لأرباب القلوب من تكرار الخواطر والوساوس، وله في تقلب الأحوال أمورٌ
عجيبةٌ عظيمةٌ لمن فهم ذلك، وكذلك من كتب الذكر كله وعلقه عليه عصمه الله في تقلباته
من الآفات حتى في أمور دنياه وآخرته.
دعاءٌ يدعى به في الساعة الرابعة من يوم الأحد، وفي الحادية عشرة من ليلة الاثنين وفي
الأولى من يوم الاثنين، وفي الثامنة من ليلة الثلاثاء وفي العاشرة من يوم الثلاثاء، وفي الخامسة
من ليلة الأربعاء وفي السابعة من يوم الأربعاء، وفي الثانية من ليلة الخميس وفي الرابعة من يوم
الخميس، وفي الثانية من ليلة الجمعة والأولى من يوم الجمعة، وفي الحادية عشر من ليلة
السبت وفي العاشرة من يوم السبت، وفي الثامنة من ليلة الأحد. وهو:
"رب قابلني بنور اسمك مقابلةً تملئ وجودي ظاهراً وباطناً حتى تمحو مني حظوظ
الأشكال كلها فيبدوا لي في وجودي ومن وجودي سر ما كتبه قلم تقديرك من كل مستودعٍ
في مستقرٍ ومستقرٍ في مستودعٍ فلا يخفى علي ما غاب عني فأنظرني بك وأنظر من سواي
بنور اسمك فأرى الكمال المطلق في الملك المطلق، يا مودع الأنوار قلوب عباده الأبرار يا
سريع يا قريب".
قال: من دعا في ساعةٍ من هذه الأبيات ست عشرة مرةً ثم قصد أي حاجةٍ أراد، أسرع
الله تعالى قضاءها ونمى له ما يملكه من مالٍ أو جاهٍ أو حالٍ أو مقام. ومن خاصة هذا
الذكر وضع البركة في أي شيءٍ وضع عليه. ويصلح هذا الذكر لمطالبي المكاشفات من
أرباب الخلوات فإنهم إذا داوموا هذا الذكر ألقي إليهم الخاطر الصحيح. قال: وإن أضيف
له يا سريع يا قريب يا مبين ظهر ما يريد من كشف العواقب في الأفعال المرتطبة بعالم الغيب
والشهادة.
دعاءٌ يدعى به في الساعة الخامسة من يوم الأحد، وفي الثانية عشرة من ليلة الاثنين وفي
الثانية من يوم الاثنين، وفي التاسعة من ليلة الثلاثاء وفي الحادية عشرة من يوم الثلاثاء، وفي

السادسة من ليلة الأربعاء في الثامنة من يوم الأربعاء، وفي الثالثة من ليلة الخميس وفي
الخامسة من يوم الخميس، وفي الثالثة من يوم الجمعة، وفي الثانية عشرة من ليلة السبت وفي
الحادية عشرة من يوم السبت، وفي التاسعة من ليلة الأحد. وهو:
"رب أسألك مدداً روحانياً تقوي به قواي الكلية والجزئية حتى أقهر بمبادئ نفسي كل
نفسٍ قاهرةٍ فتنقبض لي رقابها انقباضاً تسقط بها قواها، فلا يبقى في الكون ذي روحٍ إلا
ونار القهر أخمدت ظهوره، يا شديد يا ذا البطش يا قهار يا جبار أسألك بما أودعته عزرائيل
من قوى أسمائك القهرية فانفعلت له النفوس بالقهر أن تكسوني ذلك السر في هذه الساعة
حتى ألين به كل صعب، وأذل به كل منيعٍ بقوتك يا ذا القوة المتين".
قال: من دعا بهذا الدعاء في ساعةٍ من هذه الساعات تسعاً وثمانين مرة، ثم دعا على ظالمٍ
أخذ لوقته، وذلك بعد صلاة خمس تسليماتٍ بالفاتحة لا غير. ويناسب هذا الدعاء من
آي القرآن العظيم "وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمةٌ إن أخذه أليمٌ شديد".
قال: في هذا الذكر قمع الجبابرة، وقطع دابر الظالمين، وخراب ديار الماردين، وما شابه ذلك.
وهو ذكرٌ يليق بالسالكين في مبادئ الرياضيات والمنتهين في مقامات التجلي إلى الخلوة، وهو
من الأسرار العجيبة، ولا يذكره من غلبته الشيخوخة إلا وجد في قلبه خفقاناً بالخاصية،
ولا يذكره محمومٌ إلا برئ من حماه لوقته، وإن كتبه وعلقه عليه دامت صحته.
دعاءٌ يدعى به في الساعة السادسة من يوم الأحد، وفي الأولى من ليلة الاثنين وفي الثالثة
من يوم الاثنين، وفي العاشرة من ليلة الثلاثاء وفي الثانية عشرة من يوم الثلاثاء،وفي السابعة من
ليلة الأربعاء، وفي التاسعة من يوم الأربعاء، وفي الرابعة من ليلة الخميس وفي السادسة من يوم
الخميس، وفي الرابعة من ليلة الجمعة وفي الثالثة من يوم الجمعة، وفي الأولى من ليلة السبت
وفي الثانية عشرة من يوم السبت، وفي العاشرة من ليلة الأحد. وهو:
"رب صفني من كدرات الأغيار صفاء من صفته يد عنايتك من نقص التكوين حتى ينجلي

في مرآة قلبي ومستوى نفسي كل اسمٍ انطبع في قوة
جبرائيل فقوي به على كشف ما في اللوح
من أسرار أسمائك ومجامع رسائلك، فكل نفسٍ منفوسة امتدت
لها من دقائقه دقيقةٌ طرفها
منه والثاني لمن هو به، ومجامع هذه الدقائق في دقيقة الاسم
الجبرائيلي العالم العليم العلام، يا
ذا الكرم الذي علم بالقلم، فمواد الوحي والإلهام والتحديث
والفهم تسري بنفحةٍ منه في هذه
الساعة إلى مثلها. إلهي منطقني بالدقيقة العظمى منه حتى
أتلقى عنك بما به تلقى عنك
جبرائيل مما أملأ به وجودي بلا ميلٍ لغلبةٍ حتى أتلذذ بمصافاتك
تلذذ جبريل برسائلك، إنك
علام الغيوب".
قال: من دعا به خمساً وعشرين مرةً في ساعةٍ من هذه
الساعات ألهم رشده في عواقب
أموره. والاسم اللائق بهذا الدعاء يا علام الغيوب يا عالم
الخفيات وما شاكل هذا النمط
من الأسماء، ومن القرآن العظيم "وعنده مفاتح الغيب" الآية.
قال: وهو من الكبريت الأحمر
وبعضه من الدرياق الأكبر. وهذا الذكر للذي فتح عليه بابٌ من
المعارف فإنه مهما
استدامه ألهم قلبه إلى علومٍ جليلةٍ، ويخاطب في نفسه
بإلقاءاتٍ من وحي الإلهام، ويخاطبه
الحيوان بمعنى يفهمه فيستفيد علوماً عظيمةً، يعرف ذلك
أرباب المنازلات لفهم الحديث.
دعاءٌ يدعى بع في الساعة السابعة من يوم الأحد، وفي الثانية
من ليلة الاثنين وفي الرابعة من
يوم الاثنين، وفي الحادية عشر من ليلة الثلاثاء وفي الأولى من
يوم الثلاثاء، وفي الثامنة من ليلة
الأربعاء وفي العاشرة من يوم الأربعاء، وفي الخامسة من ليلة
الخميس وفي السابعة من يوم
الخميس، وفي الخامسة من ليلة الجمعة وفي الرابعة من يوم
الجمعة، وفي الثانية من ليلة السبت
وفي الأولى من يوم السبت، وفي الحادية عشرة من ليلة الأحد.
وهو:
"رب أوقفني موقف العز حتى لا أجد في ذرةً ولا رقيقةً ولا
دقيقةً إلا وقد غشاها من عز
عزتك ما منعها من الذل لغيرك، حتى لا أشهد ذل من سواي
لعزتي بك مؤيداً برقيقةٍ من
الرعب يخضع لها كل شيطانٍ مريد، وجبارٍ عنيد، وأبق على ذل
العبودية في العزة بقاءً

يبسط لسان الاعتراف، ويقبض لسان الدعوى، إنك العزيز الجبار المتكبر القهار".
قال: من دعا بهذا الدعاء في هذه الساعة أو في ساعةٍ من هذه الساعات ست عشرة مرةً
بعد صلاةٍ وحضور قلبٍ نصر على أي عدوٍ قصده ظاهراً وباطناً.
دعاءٌ يدعى به في الساعة الثامنة من يوم الأحد، وفي الثالثة من يوم الاثنين وفي الخامسة من
يوم الاثنين، وفي الثانية عشرة من ليلة الثلاثاء، وفي الثانية من يوم الثلاثاء، وفي التاسعة من
ليلة الأربعاء وفي الحادية عشر من يوم الأربعاء، وفي السادسة من ليلة الخميس وفي الثامنة
من يوم الخميس، وفي السادسة من ليلة الجمعة وفي الخامسة من يوم الجمعة، وفي الثالثة من
ليلة السبت وفي الثانية من يوم السبت، وفي الثانية عشرة من ليلة الأحد. وهو:
"إلهي أطلع على وجودي شمس شهودي منك في الأكوان والألوان حتى أمشي بما
أشهدتني في آفاق الملكوت منه معنى كلمة التكوين فينفعل لي كل مكونٍ انفعاله للكلمة
بإذنك الذي سخرت به ما في الوجودين بلا ظلمة وضعٍ ولا ظلمة طبع، إنك منور الكل
بكلك ومنور الأنوار بنورك الذي صدوره عن اسمك النور والظاهر والحي والقيوم، كل
شيءٍ هالكٌ إلا وجهك" الآية.
قال البوني: لا يذكر أحدٌ هذا الذكر في ساعةٍ من هذه الساعات تسعاً وأربعين مرةً إلا
كساه الله نوراً يجد ذلك في نفسه، وييسر عليه المقسوم من الرزق، وتسري كلمته في
الأسباب سرياناً عجيباً. وهو ذكرٌ يصلح لأرباب المكاشفات يثبت لهم ما يكاشفون.
دعاءٌ يدعى به في الساعة التاسعة من يوم الأحد، وفي الرابعة من ليلة الاثنين وفي السادسة
من يوم الاثنين، وفي الأولى من ليلة الثلاثاء وفي الثالثة من يوم الثلاثاء، وفي العاشرة من ليلة
الأربعاء وفي الثانية عشرة من يوم الأربعاء، وفي السابعة من ليلة الخميس وفي التاسعة من يوم
الخميس، وفي السابعة من ليلة الجمعة وفي السادسة من يوم الجمعة، وفي الرابعة من ليلة
السبت وفي الثالثة من يوم السبت، وفي الأولى من ليلة الأحد. وهو:
"سيدي أدخلني في بواطن رياض اسمك من الباب الخاص الذي لا يحجب بنورٍ ولا بظلمةٍ

ولا بشيءٍ منه ولا بشيءٍ خارجٍ عنه وأطلق يد قواي في نيل النعمة، وألهمني تحقيق ذوق
كل مذوق منه حتى أكون بك فيه وأكون فيه بك مبتهجاً منك وبك، رب إنك لطيفٌ
عطوفٌ رحيمٌ رحمن".
قال: هذا الذكر بخاصيةٍ فيه يجلب الفرح ويذهب الحزن ويطيب الوقت ويجلو الكرب،
ومن دعا به أربعين مرةً في ساعةٍ من هذه الساعات على طهارةٍ واستقبالٍ فرج به كربه
وانجلى غمه.
دعاءٌ يدعى به في الساعة العاشرة من يوم الأحد، وفي الخامسة من ليلة الاثنين وفي السابعة
من يوم الاثنين، وفي الثانية من ليلة الثلاثاء وفي الرابعة من يوم الثلاثاء، وفي الحادية عشرة من
ليلة الأربعاء وفي الأولى من يوم الأربعاء، وفي الثامنة من ليلة الخميس وفي العاشرة من يوم
الخميس، وفي الخامسة من ليلة السبت وفي الرابعة من يوم السبت، وفي الثانية من ليلة
الأحد. وهو:
"يا من نسبة العلوم إلى علمه نسبة لا شيء لشيءٍ لا يتناهى، أظهرت الحروف بالقلم فكان
لها صريفٌ في ألواح الملكوت قام لها مقام مخارج الحروف من الحلق والصدر واللها
واللسان، كل جنسٍ صدر عنه اسمٌ لا يعلم تركيبه سوى ملك قلمكٍ، وكل نوعٍ صدر عنه
مركباً، فلوح إسرافيل أظهره بقوة ما في آحاد كلياته من جزئيات تراكيبه، أسألك بهذا السر
الخفي الذي وقف العقل دونه وتقدم إليك السر بسرٍ أودعته فيه يوم إمكان وجوده، أسألك
كشف حجاب الغيب حتى أعاين الغيب بما به حي الروح الباقي، يا حي، ياه يا هو، يا
أنت يا مهيمن يا خالق يا بارئ أنت هو".
قال البوني: هذا الذكر من ذكره في ساعةٍ من هذه الساعات مائة مرةٍ يسر له قضاء أي
حاجةٍ قصدها بغير مشقةٍ.
دعاءٌ يدعى به في الساعة الحادية عشرة من يوم الأحد، وفي السادسة من ليلة الاثنين وفي
الثامنة من يوم الاثنين، وفي الثالثة من ليلة الثلاثاء وفي الخامسة من يوم الثلاثاء، وفي الثانية
عشرة من ليلة الأربعاء وفي الثانية من يوم الأربعاء، وفي التاسعة من ليلة الخميس وفي الحادية

عشرة من يوم الخميس، وفي التاسعة من ليلة الجمعة وفي الثامنة من يوم الجمعة وفي السادسة
من ليلة السبت وفي الخامسة من يوم السبت، وفي الثالثة من ليلة الأحد. وهو:
"يا من لوجوده العلي باعتبار حكمته إلى كل موجودٍ حصل من وجوده اسمٌ يليق به هو
مفتاحه الخاص، ومعناه المغيب، وحقيقته الوجودية وسره القابل، فما في الأكوان جوهر فردٍ
من جواهر آحاد العالم العلوي والسفلي إلا ومقاليد أحكامه متعلقةٌ باسمٍ من أسمائه،
واجتماعها برقائقها بيد اسمك الذي استأثرت به عن جميع خلقك فلم يظهر لهم إلا ما
ناسب الأفعال، فأسماؤك إلهي لا تحصى، ومعلوماتك لا نهاية لها، أسألك غمسةً في بحر
هذا النور حتى أعود إلى الكمال الأول فأتصرف في الكون باسم الكمال تصرفاً ينفي
النقص بالوقوف على عبودية النقص، إنك المعز المذل اللطيف الخبير العدل المجيب".
قال: من ذكر هذا الذكر ست عشرة مرةً في ساعةٍ من هذه الساعات ثم سأل الله تعالى
فيها رزقاً، وتيسير أسبابٍ، وسكون بحرٍ هائجٍ، وسلطانٍ غاصبٍ، ونفسٍ متمردةٍ من
شيطاني الإنس والجن وما ناسب ذلك إلا أجيب له لوقته، وذلك على طهارةٍ وصلاةٍ وجمع
همةٍ في موضعٍ خالٍ من الأصوات.
دعاءٌ يدعى به في الساعة الثانية عشرة من يوم الأحد، والسابعة من ليلة الاثنين والتاسعة
من يوم الاثنين، وفي الرابعة من ليلة الثلاثاء وفي السادسة من يوم الثلاثاء، وفي الأولى من ليلة
الأربعاء وفي الثالثة من يوم الأربعاء، وفي العاشرة من ليلة الخميس وفي الثانية عشرة من يوم
الخميس، وفي العاشرة من ليلة الجمعة وفي التاسعة من يوم الجمعة، وفي السابعة من ليلة
السبت وفي السادسة من يوم السبت، وفي الرابعة من ليلة الأحد. وهو:
"تعاليت يا من تقاصر كل فكرٍ عن حصر معنًى من معاني أسمائه، فكل علوٍ ورفعةٍ فمن
ذلك العلو والرفعة صدوره ظاهراً وباطناً، وتقدس مجدك يا من أستار عرشه أظهر فيها
كبرياءه ومجده، أسألك بالصفات التي لا تعلق لها بموجود، يا ذا العظمة والكبرياء والجلال

والجمال والبهاء، أسألك الأنس بمقابلات سر القدر أنساً يمحو آثار وحشة الفكر حتى
يطيب وقتي بك فأطيب بوقتي لك، فلا يتحرك ذو طبعٍ لمخالفتي إلا صغر لعظمتك وقصم
بكبريائك، إنك جبار الأرض والسماء، وقاهر الكل بقهرك يا مجيب".
قال البوني: من ذكر هذا الذكر سبعاً وعشرين مرةً في ساعةٍ من هذه الساعات ودعا بما
يريد كفي لوقته شر ما يحاذره. فهذه دعوات ساعات الأيام والليالي.
ذكر ما يدعى به في المساء والصباح
والغدو والرواح والصلاة والصوم، والجماع والنوم، والورد والصدر،
والسفر والحضر، وغير ذلك.
فأما ما يقال عند المساء والصباح، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال
لأبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه وقد سأله فقال: يا رسول الله مرني بشيءٍ أقوله إذا
أصبحت وإذا أمسيت. فقال: "قل اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السماوات والأرض
رب كل شيءٍ ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان
وشركه قلهن إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك". وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم إذا أصبح يقول: "أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا
محمدٍ صلى الله عليه وسلم وملة أبينا إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين". وكان صلى
الله عليه وسلم إذا أصبح قال: "أصبحنا وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والخلق والأمر
والليل والنهار وما سكن فيهما من شيءٍ لله وحده لا شريك له اللهم اجعل أول هذا النهار
لنا صلاحاً وأوسطه فلاحاً وآخره نجاحاً أسألك خير الدنيا وخير الآخرة يا أرحم
الراحمين". وكان صلى الله عليه وسلم يقول إذا أصبح: "اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا
وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور". وإذا أمسى قال: "اللهم بك أمسينا وبك نحيا وبك
نموت". وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من قال حين يصبح أو يمسي اللهم أنت ربي
لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر

ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليك وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فمات
من يومه أو من ليلته دخل الجنة". وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من قال لا إله إلا
الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير بعد ما يصلي الغداة
عشر مراتٍ كتب الله له عشر حسناتٍ ومحا عنه عشر سيئاتٍ ورفع له عشر درجاتٍ
وكن له عدل رقبتين من ولد إسماعيل وكن له حجاباً من الشيطان حتى يمسي فإن قالها
حين يمسي كان له مثل ذلك وكن له حجاباً من الشيطان حتى يصبح"، وفي روايةٍ: "من
قالها في يومٍ مائة مرةٍ كانت له عدل عشر رقابٍ وكتبت له مائة حسنةٍ ومحيت عنه مائة
سيئةٍ وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء به
إلا رجلٌ عمل أكثر منه ومن قال سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرةٍ حطت خطاياه وإن
كانت مثل زبد البحر". وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من قال حين يمسي أعوذ
بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق لم تضره لدغة عقربٍ حتى يصبح". وعنه صلى
الله عليه وسلم: "من قال حين يصبح في أول يومه أو في أول ليلته باسم الله الذي لا يضر مع
اسمه شيءٌ في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاثاً لم يضره شيءٌ في ذلك اليوم أو
تلك الليلة". وعنه صلى الله عليه وسلم: "من قال إذا أصبح باسم الله العلي الأعلى
الذي لا ولد له ولا صاحبة ولا شريك أشهد أن نوحاً رسول الله وأن إبراهيم خليل الله
وأن موسى نجي الله وأن داود خليفة الله وأن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم وأن
محمداً رسول الله وخاتم النبيين لا نبي بعده لم تلسعه حيةٌ ولا عقرب ولم يخف من سلطانٍ
ولا كاهنٍ ولا ساحرٍ حتى يمسي وإذا قالها إذا أمسى لم يخف شيئاً من ذلك حتى
يصبح".
وأما ما يقال عند النوم، روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "وإذا أخذت
مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل أسلمت وجهي

إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رهبةً ورغبةً إليك لا ملجأ ولا منجي منك
إلا إليك اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت فإن مت من ليلتك مت على
فطرة الإسلام واجعلهن آخر ما تتكلم به". قال البراء بن عازب: فرددتها على النبي صلى
الله عليه وسلم، فلما بلغت اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت قلت: ورسولك قال: "ونبيك
الذي أرسلت". وعن عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان إذا قام من الليل يقول: "اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ولك الحمد
أنت قيام السماوات والأرض ومن فيهن أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق ولقاؤك حقٌ
والجنة حقٌ والنار حقٌ والساعة حقٌ اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك
أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما
أعلنت أنت إلهي لا إله إلا أنت".
وأما ما يقال عند دخول المنزل والمسجد والخروج منهما، روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال: "إذا ولج الرجل بيته فليقل باسم الله اللهم إني أسألك خير المولج وخير
المخرج باسم الله ولجنا وباسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا ثم ليسلم على أهله. وعنه
صلى الله عليه وسلم: "إذا دخل الرجل بيته فقال باسم الله قعد الشيطان على الباب وقال
ما من مقيلٍ فهل من غداءٍ فإذا أتي بغدائه فقال باسم الله قال ما من غداء ولا مقيل".
وعنه صلى الله عليه وسلم: "إذا خرج الرجل من بيته فقال سبحان الله قال الملك هديت
وإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله قال الملك وقيت فإذا قال توكلت على الله يقول الملك
كفيت يقول الشيطان عند ذلك كيف أعمل بمن كفي وهدي ووقي". وعن أم سلمة رضي
الله عنها قالت: ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيته صباحاً قط إلا قال:
"اللهم إني أعوذ بك أن أزل أو أضل أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي". وعنه صلى الله
عليه وسلم: "ما من مسلمٍ خرج من بيته يريد سفراً أو غيره فقال حين يخرج باسم الله

آمنت بالله اعتصمت بالله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله إلا رزق خير ذلك
المخرج وصرف عنه شر ذلك المخرج". وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال فضيل بن
مرزوق - أحسبه رفعه - قال: "من قال حين يخرج إلى الصلاة اللهم إني أسألك بحق
السائلين عليك وبحق ممشاي هذا إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعةً خرجت
خوف سخطك وابتغاء مرضاتك أسألك أن تنقذني من النار وان تغفر ذنوبي إنه لا يغفر
الذنوب إلا أنت وكل الله به سبعين ألف مللكً يستغفرون له وأقبل الله عليه بوجهه حتى
يفرغ من صلاته". وعن فاطمة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذا دخل المسجد قال: "باسم الله والسلام على رسول الله اللهم اغفر لي وافتح لي
أبواب رحمتك وإذا خرج قال باسم الله والسلام على رسول الله اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح
لي أبواب فضلك". وقال صلى الله عليه وسلم: "إذا دخل أحدكم المسجد فليقل اللهم
افتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج فليقل اللهم إني أسألك من فضلك".
وأما ما يقال عند النداء، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا كان عند
الآذان فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء وإذا كان عند الإقامة لم ترد دعوة". وعنه
صلى الله عليه وسلم: "من قال حين يسمع المؤذن وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا
شريك له وأن محمداً عبده ورسوله رضيت بالله رباً وبمحمدٍ رسولاً وبالإسلام ديناً غفر له
ذنبه". وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من سمع المؤذن فقال اللهم رب هذه الدعوة
التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت
له شفاعتي يوم القيامة". وعنه صلى الله عليه وسلم: "إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول
ثم صلوا علي فإنه من صلى علي مرةً صلى الله عليه بها عشراً".
وأما ما يقال عند دخول الخلاء، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل
الخلاء قال: "اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث" وإذا خرج قال: "غفرانك". وفي لفظٍ

إذا خرج قال: "الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني". وعن انسٍ رضي الله عنه
قالً: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء قال: "اللهم إني أعوذ بك من الرجس
النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم"، وإذا خرج قال: "الحمد لله الذي أذهب عني
الأذى وعافاني".
وأما ما يقال عند الوضوء وغسل الأعضاء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا
صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه". وعن عليٍ ابن أبي طالبٍ
رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا علي إذا توضأت فقل باسم
الله والصلاة على رسول الله". وعن محمد بن الحنفية قال: دخلت على والدي علي بن
أبي طالبٍ - رضي الله عنهما - وإذا عن يمينه إناءٌ به من ماءٍ، فسمى ثم سكب على
يمينه ثم تمضمض فقال: اللهم حصن فرجي واستر عورتي ولا تشمت بي الأعداء، ثم
تمضمض واستنشق وقال: اللهم لقني حجتي ولا تحرمني رائحة الجنة. ثم غسل وجهه وقال:
اللهم بيض وجهي يوم تسود الوجوه ولا تسود وجهي يوم تبيض الوجوه. ثم سكب على
يمينه فقال: اللهم أعطني كتابي بيميني والخلد بشمالي. ثم سكب على شماله اللهم لا تعطني
كتابي بشمالي ولا تجعلها مغلولة إلى عنقي ثم مسح برأسه وقال: اللهم غشنا برحمتك فإنا
نخشى عذابك، اللهم لا تجمع بين نواصينا وأقدامنا. ثم مسح عنقه فقال: اللهم نجنا من
مقطعات النيران وأغلالها. ثم غسل قدميه فقال: اللهم ثبت قدمي على الصراط المستقيم
يوم تزل فيه الأقدام. ثم استوى قائماً فقال: اللهم كما طهرتنا بالماء فطهرنا من الذنوب، ثم
قال بيده هكذا، يقطر الماء من أنامله، ثم قال: يا بني، افعل كفعلي هذا فإنه ما من قطرةٍ
تقطر من أناملك إلا خلق الله منها ملكاً يستغفر لك إلى يوم القيامة. يا بني، من فعل كفعلي
هذا تساقطت عنه الذنوب كما يتساقط الورق عن الشجر يوم الريح العاصف. وعن عليٍ
رضي الله عنه قال: دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يا عليٌ إذا توضأت

فقل اللهم إني أسألك تمام الوضوء وتمام مغفرتك ورضوانك". وعن عمر بن الخطاب رضي
الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من توضأ فأحسن وضوءه ثم قال أشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صادقاً من قلبه فتح الله له
ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها يشاء". وعن عليٍ رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم: "يا علي إذا فرغت من وضوئك فقل أشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين تخرج
من ذنوبك كيوم ولدتك أمك وتفتح لك ثمانية أبواب الجنة فيقال ادخل من أيها شئت".
وأما أدعية الصلاة، فهي إما أن تقع قبلها أو فيها أو بعدها. فأما ما يقال قبلها فقد روي
عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها بأي شيءٍ
كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة إذا قام من الليل؟ قال: إذا قام يفتتح صلاته
يقول: "اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة
أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلفت فيه من الحق بإذنك إنك
تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيم".
وأما ما يدعى به في نفس الصلاة، فقد روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم إذا افتتح الصلاة رفع يديه حذو منكبيه ثم يقول: "سبحانك اللهم
وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك". وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:
كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كبر في الصلاة سكت هنيهةً قبل أن يقرأ. فقلت: "يا
رسول الله، بأبي أنت وأمي، ما تقول في سكوتك بين التكبير والقراءة؟ قال: "أقول اللهم
باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقني من الخطايا كما ينقى
الثوب الأبيض من الدنس واغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبرد". وعن جبير بن مطعم
رضي الله عنه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي قال: فكبر فقال: "الله أكبر كبيراً

ثلاث مراتٍ والحمد لله كثيراً ثلاث مراتٍ وسبحان الله بكرةً وأصيلاً ثلاث مراتٍ اللهم إني
أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه". قال راويه عمرو بن مرة: نفخه:
الكبر، ونفثه: السحر، وهمزه: الموتة، وهي الجنون. وعن علي بن أبي طالب رضي الله
عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا افتتح الصلاة كبر ثم قال: "وجهت وجهي للذي
فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي
ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين اللهم أنت الملك لا إله إلا
أنت أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعاً لا يغفر
الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها
لا يصرف سيئها إلا أنت لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك وأنا بك
وإليك تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك". فإذا ركع قال: "اللهم لك ركعت وبك
آمنت ولك أسلمت خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي". فإذا رفع رأسه
قال: "سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد ملء السماوات والأرض وما بينهما وملء ما
شئت من شيءٍ بعد". فإذا سجد قال: "اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت
سجد وجهي للذي خلقه وصوره فأحسن صوره وشق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن
الخالقين". فإذا فرغ من الصلاة وسلم قال: "اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما
أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت به أعلم مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا
أنت". وقد ورد في لفظٍ آخر أنه يقول: اللهم اغفر لي إلى آخر الدعاء بين التشهد والتسليم.
وعن حذيفة رضي الله عنه قال: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول
في ركوعه: "سبحان ربي الأعلى". وفي لفظٍ أنه كان يقول ذلك ثلاث مراتٍ. وعن عائشة
رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده وركوعه: "سبوح
قدوس رب الملائكة والروح". وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه من الركوع قال: "ربنا لك الحمد ملئ السماوات
والأرض وملئ ما شئت ممن شيءٍ بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبدٌ
اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما مانعت لا ينفع منك ذلك الجد منك الجد". وعن
النبي صلى الله عليه وسلم: "من قال وهو ساجدٌ ثلاث مراتٍ رب اغفر لي لم يرفع رأسه
حتى غفر له". وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن، وكان يقول: "التحيات المباركات
الصلوات الطيبات لله سلامٌ عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته سلامٌ علينا وعلى عباد الله
الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله". وروي: "السلام" في
الموضعين. وعن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: كنا نقول في الصلاة خلف رسول
الله صلى الله عليه وسلم: السلام على الله السلام على فلان. فقال لنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذات يوم: "إن الله هو السلام فإذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل التحيات لله
والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد
الله الصالحين فإذا قالها أصابت كل عبدٍ صالحٍ في السماء والأرض أشهد أن لا إله إلا الله
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ثم يتخير في المسألة ما شاء". وقد علم رسول الله صلى
الله عليه وسلم أصحابه الصلاة عليه. وقد سأله كعب بن عجرة عنها فقال: "قولوا اللهم
صلي على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد
وبارك على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد".
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا فرغ أحدكم من
التشهد فليتعوذ بالله من أربعٍ: من عذاب جهنم وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات وشر
المسيح الدجال". وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن أبا بكرٍ الصديق رضي الله عنه
قال: قلت يا رسول الله: علمني دعاءً أدعو به في الصلاة وفي بيتي قال: "قل اللهم إني

ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرةً من عندك إنك أنت
الغفور الرحيم". وروى بعد قوله من عندك: "وارحمني إنك أنت التواب الرحيم".
وأما ما يدعى به بعد التسليم، فقد روي عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول دبر كل صلاةٍ: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله
الحمد يحيي يميت وهو على كل شيءٍ قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت
ولا ينفع ذا الجد منك الجد". وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم من صلاته يقول بصوته الأعلى: "لا إله إلا الله وحده لا
شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير لا حول ولا قوة إلا بالله ولا نعبد إلا
إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون".
وفي طريقٍ آخر: "له الدين وهو على كل شيءٍ قدير". وعن أم سلمة رضي الله عنها أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى الصبح قال: "اللهم إني أسألك علماً نافعاً
ورزقاً طيباً وعملاً متقبلاً". وعن أنسٍ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم:
"من قال حين ينصرف من صلاته سبحان الله العظيم وبحمده لا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم ثلاث مراتٍ فإنه مغفورٌ له". وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاةٍ لم يمنعه من دخول الجنة إلا
أن يموت". وعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما
من عبدٍ بسط كفيه في دبر صلاته ثم يقول إلهي إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب إله جبريل
وميكائيل وإسرافيل أسألك أن تستجيب دعوتي وتعصمني في ديني فإني مبتلى وتنالني
برحمتك فإني مذنبٌ وتنفي عني الفقر فإني مستمسك إلا كان حقاً على الله ألا يرد يديه
خائبتين". وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من قال دبر
كل صلاةٍ الحمد لله ثلاثاً وثلاثين مرةً وسبحان الله ثلاثاً وثلاثين مرةً والله أكبر ثلاثاً وثلاثين

مرةً وتمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير
غفرت ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر". وعن عليٍ رضي الله عنه أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يقول في آخر وتره: "اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ
بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على
نفسك". وعن الحسن بن عليٍ رضي الله عنهما قال: علمني رسول الله صلى الله عليه
وسلم كلماتٍ أقولهن في الوتر، وفي لفظ: في قنوت الوتر: "اللهم اهدني فيمن هديت وعافني
فيمنن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت إنك تقضي
ولا يقضى عليك وإنه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت". وعن أبي هريرة رضي الله
عنه قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازةٍ فقال: "اللهم اغفر لحينا
وميتنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنثانا وشاهدنا وغائبنا اللهم من أحييته منا فأحيه على
الإيمان ومن توفيته منا فتوفه على الإسلام اللهم لا تحرمنا أجره ولا تضلنا بعده". وعن
علي رضي الله عنه قال: دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يا علي إذا
صليت على جنازة رجلٍ فقل اللهم هذا عبدك ابن عبدك ابن أمتك ماضٍ فيه حكمك
خلقته ولم يكن شيئاً مذكوراً نزل بك وأنت خير منزولٍ به اللهم لقنه حجته وألحقه بنبيه
محمدٍ صلى الله عليه وسلم وثبته القول الثابت فإنه افتقر إليك واستغنيت عنه كان يشهد
أن لا إله إلا الله فاغفر له وارحمه ولا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده اللهم إن كان زاكياً فزكه
وإن كان خاطئاً فاغفر له. وإذا صليت على جنازة امرأةٍ فقل اللهم أنت خلقتها وأنت
أحييتها وأنت أمتها تعلم سرها وعلانيتها جئناك شفعاء لها فاغفر لها وارحمها ولا تحرمنا
أجرها ولا تفتنا بعدها. وإذا صليت على جنازة طفلٍ فقل اللهم اجعله لوالديه سلفاً
واجعله لهما ذخراً واجعله لهما رشداً واجعله لهما نوراً واجعله لهما فرطاً وأعقب لوالديه
الجنة ولا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده". وعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت

النبي صلى الله عليه وسلم وصلى على جنازةٍ يقول: "اللهم اغفر له وارحمه واعف عنه
وعافه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بماءٍ وثلجٍ وبردٍ ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب
الأبيض من الدنس وأبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجه
وقه فتنة القبر وعذاب القبر وعذاب النار". قال عوف رضي الله عنه: فتمنيت لو كنت أنا
الميت لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وأما ما يقال عند رؤية الجنازة والتلقين والدفن، وما في ذلك من الأجر، روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من رأى جنازةً فقال الله أكبر صدق الله ورسوله هذا
ما وعدنا الله ورسوله اللهم زدنا إيماناً وتسليماً كتب له عشرون حسنةً في كل يومٍ من يوم
يقولها إلى يوم القيامة". وقال صلى الله عليه وسلم: "لقنوا موتاكم لا إله إلا الله". وقال
صلى الله عليه وسلم: "إذا وضعتم موتاكم في القبر فقولوا باسم الله وعلى ملة رسول
الله". وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا سوى على الميت التراب قال: "اللهم
أسلمه إليك الأهل والمال والعشيرة وذنبه عظيمٌ فاغفر له". وعن سعيد بن عبد الله
الأودي قال: شهدت أبا أمامة وهو في النزع فقال: إذا أنا مت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن نصنع بموتانا، أمرنا فقال: "إذا مات أحدٌ من إخوانكم فسويتم
التراب على قبره فليقم أحدكم على رأس قبره فليقل يا فلان بن فلانة فإنه يسمعه ولا يجيبه
ثم يقول يا فلان بن فلانة فإنه يستوي قاعداً ثم يقول يا فلان بن فلانة فإنه يقول أرشدنا رحمك
الله ولكن لا تشعرون فليقل اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن
محمداً عبده ورسوله وأنك رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ نبياً وبالقرآن إماماً فإن
منكراً ونكيراً يأخذ كل واحدٍ منهما بيدٍ صاحبه ويقول انطلق بنا ما نقعد عند من لقن
حجته فيكون الله حجيجه دونهما". فقال رجلٌ: يا رسول الله فإن لم يعرف أمه؟ قال:
"فينسبه إلى حواء يا فلان ابن حواء".
وأما ما يقال عند زيارة القبور، عن عائشة رضي الله عنها أنها تبعت النبي صلى الله

عليه وسلم إلى زيارة البقيع فقال لها: "قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمؤمنات
ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ". وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذ أتى المقابر قال: "السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين
وإنا إن شاء الله بكم لاحقون أنتم لنا فرطٌ ونحن لكم تبعٌ أسأل الله العافية لنا ولكم".
وأما ما يقال عند الإفطار من الصوم، والأكل والشرب، روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه كان إذا أفطر قال: "اللهم لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا فتقبل منا إنك أنت
السميع العليم". وعنه صلى الله عليه وسلم: "من قال اللهم لك صمت وعلى رزقك
أفطرت وعليك توكلت كتب له من الأجر بعدد من صام ذلك اليوم". وعن أنس بن مالكٍ
رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن أحدكم لتوضع مائدةٌ بين
يديه فما تكاد أن ترفع حتى يغفر له". قيل يا رسول الله وكيف ذلك؟ قال: "لأنه يسمي الله
إذا وضعت المائدة وأكل ويحمد الله وإذا رفعت". وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال: "إذا نسي أحدكم أن يذكر اسم الله في أول طعامه فليقل باسم
الله أوله وآخره". وعنه صلى الله عليه وسلم: "من أكل طعاماً ثم قال الحمد لله الذي
أطعمني هذا الطعام ورزقنيه بغير حولٍ مني ولا قوةٍ غفر له ما تقدم من ذنبه". وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم إذا أكل قال: "الحمد لله الذي أطعم وسقى وسوغه وجعل له
مخرجاً". ومن رواية أنسٍ: "الحمد لله الذي أطعمني وسقاني وهداني وكل بلاءٍ حسنٍ
أبلاني الحمد لله الرازق ذي القوة اللهم لا تنزع منا صالحاً أعطيتناه ولا صالحاً رزقتناه
واجعلنا لك من الشاكرين". وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل قال:
"الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وأشبعنا وآوانا وكفانا". وعن عليٍ رضي الله عنه قال:
دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يا علي إذا شربت ماءً فقل الحمد لله الذي
سقانا ماءً عذباً فراتاً برحمته ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا تكتب شاكراً". وكان رسول

الله صلى الله عليه وسلم إذا أفطر عند أهل بيتٍ قال لهم: "أفطر عندكم الصائمون وأكل
طعامكم الأبرار ونزلت عليكم الملائكة"، وروي: "وصلت عليكم الملائكة وذكركم الله
فيمن عنده".
وأما ما يقال عند لباس الثوب وإلباسه، وعند النظر في المرآة والتسريح وفي المجلس، روى
أبو سعيدٍ الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استجد
ثوباً - سماه باسمه قميصاً أو إزاراً أو عمامةً - يقول: "اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه اللهم
إني أسألك من خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له". وعن عليٍ
رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا علي إذا لبست ثوباً فقل
باسم الله الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأستغني به عن الناس لم يبلغ الثوب
رقبتك حتى يغفر لك يا علي من لبس ثوباً جديداً وكسا أسماله عرياناً أو مسكيناً كان في
جوار الله وأمنه وحفظه ما دام عليه منه سلك". وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"من لبس ثوباً فقال الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حولٍ مني ولا قوةٍ غفر له
ما تقدم من ذنبه وما تأخر". وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله
عليه وسلم إذا نظر في المرآة يقول: "الحمد لله رب العالمين الذي خلقني وسوى خلقي
وجعلني بشراً سوياً ولا حول ولا قوة إلا بالله". قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: فما
تركتها منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: لا يمس وجهه من قالها
سوءٌ أبدا. وعن علي رضي الله عنه قال: دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:
"يا علي إذا نظرت في المرآة فقل اللهم كما حسنت خلقي فأحسن خلقي وارزقني". وعن
الرضى علي بن موسى عن أبيه عن آبائه أباً فأباً رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال: "من أمر المشط على رأسه ولحيته في كل يومٍ سبع مراتٍ وقال في كل مرةٍ
سبحان الله العظيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم لم يقارنه ذنب". وعن أبي هريرة

رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من جلس في مجلسٍ كثر لغطه فيه
فقال قبلً أن يقوم سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك غفر الله
له ما كان في مجلسه ذلك".
وأما ما يقال في المرض والرقى والوساوس والحريق، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يقول للمريض: "باسم الله تربة أرضنا وريقة بعضنا يشفى
سقيمنا بإذن ربنا". وعن عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه قال: قدمت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبي وجعٌ قد كاد يبطلني فقال لي صلى الله عليه وسلم:
"اجعل يدك اليمنى عليه ثم قل باسم الله أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد سبع
مراتٍ، ففعلت ذلك فشفاني الله تعالى. وعنه صلى عليه وسلم: "من عاد مريضاً لم يحضر
أجله فقال عنده سبع مراتٍ أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا عافاه الله
من ذلك المرض". وكان صلى الله عليه وسلم إذا دخل على مريضٍ وضع يده اليمنى على
خده وقال: "أذهب الباس، رب الناس واشف أنت الشافي شفاءً لا يغادر سقماً". وعن
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ في أذن مبتلًى فأفاق، فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم: "ما قرأت في أذنه"، قال: قرأت "أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً" إلى آخر
السورة. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لو أن رجلاً موقناً قرأ بها على جبلٍ لزال".
وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من رأى صاحب بلاءٍ فقال الحمد لله
الذي عافاني مما ابتلاك وفضلني عليك وعلى كثيرٍ ممن خلق الله عافاه الله من ذلك البلاء
كائناً ما كان أبداً ما عاش". وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أرقي رسول الله
صلى الله عليه وسلم من العين فأضع يدي على صدره وأقول: أذهب الباس، رب الناس،
بيدك الشفاء ولا كاشف إلا أنت. وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما رفع الحديث أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال: "هذه الكلمات دواءٌ من كل داءٍ أعوذ بكلمات الله التامة

وأسمائه كلها عامةً من السامة والهامة وشر العين اللامة ومن شر حاسدٍ إذا حسد ومن
شر أبي قترة وما ولد له ثلاثون من الملائكة أتوا ربهم عز وجل فقالوا وصبٌ بأرضنا فقال
خذوا تربةً من أرضكم وامسحوا بوصبكم رقية محمدٍ رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أخذ عليها صفداً أو كتمها أحداً فلا أفلح أبداً". وعن عليٍ رضي الله عنه قال: من
اشتكى ضرسه فليأخذ التراب من موضع سجوده ثم يمسح يده على الموضع الذي
يشتكي، ثم يقول: باسم الله، والشافي الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وعن أبي الدرداء
رضي الله عنه أنه أتاه رجلٌ فذكر له أن أباه احتبس بوله وأصابته حصاةٌ منعته البول فعلمه
رقيةً سمعها من النبي صلى الله عليه وسلم وهي: "ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك
أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض واغفر لنا حوبنا
وخطايانا أنت رب الطيبين فأنزل شفاءً من شفائك ورحمةً من رحمتك على الوجع فيبرأ"،
فأمره برقيةٍ فرقاه بها فبرئ. وعن عليٍ رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام أتى النبي
صلى الله عليه وسلم فوافقه مغماً، فقال: يا محمد، ما هذا الغم الذي أراه على وجهك؟
قال: "الحسن والحسين أصابتهما عين". فقال: يا محمد صدق العين فإن العين حق ثم
قال: أفلا عوذتهما بهؤلاء الكلمات، فقال: "وما هن يا جبريل"، فقال: "قل اللهم ذا السلطان
العظيم، ذا المن القديم، ذا الوجه الكريم، والكلمات التامات، والدعوات المستجابات عاف
الحسن والحسين من أنفس الجن وأعين الإنس". فقالها النبي صلى الله عليه وسلم فقاما
يلعبان بين يديه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: "عوذوا أنفسكم بهذا التعوذ
فإنه لم يتعوذ المتعوذون بمثله". وعن عليٍ رضي الله عنه قال: دعاني النبي صلى الله عليه
وسلم فقال: "أمان لك من الحرق أن تقول سبحانك ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت
رب العرش العظيم" وعنه أيضاً رضي الله عنه قال: دعاني رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال: "يا علي أمانٌ لك من الوسواس أن تقرأ "وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين

الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً". "وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على
أدبارهم نفوراً".
وأما ما يقال عند دخول السوق وشراء الجارية والدابة، روي أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان إذا دخل السوق قال: "اللهم إني أسألك من خير هذه السوق وأعوذ بك
من الكفر والفسوق". وعن عليٍ رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم: "يا علي إذا دخلت السوق فقل حين تدخل باسم الله وبالله أشهد أن لا إله إلا الله
وأشهد أن محمداً عبد ورسوله يقول الله عز وجل عبدي هذا ذكرني والناس غافلون
اشهدوا أني قد غفرت له". وعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال: "من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
يحي ويميت وهو حيٌ لا يموت بيده الخير وهو على كل شيءٍ قدير كتب الله له ألف ألف
حسنةٍ ورفع له ألف ألف درجةٍ" أو قال: "وبنى له بيتاً في الجنة". وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم: "إذا أفاد أحدكم الجارية أو المرأة أو الدابة فليأخذ بناصيتها وليدع بالبركة
وليقل اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلت عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلت
عليه فإن كان بعيراً فليأخذه بذروة سنامه".
وأما ما يقال عند هبوب الريح وفي الرعد والمطر، عن أبي بن كعبٍ رضي الله عنه أن
الريح هاجت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبها رجلٌ فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم: "لا تسبها فإنها مأمورةٌ ولكن قل اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها
وخير ما أمرت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أمرت به". وعن ابن عمر
رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع الرعد أو البرق قال:
"اللهم لا تقتلنا غضباً ولا تقتلنا بغتةً وعافنا قبل ذلك". وعن عائشة رضي الله عنها أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع الرعد والصواعق قال: "اللهم لا تهلكنا
بغضبك ولا تقتلنا بعذابك وعافنا قبل ذلك". وعن أنسٍ أن النبي صلى الله عليه وسلم

كان لا يرفع يديه في شيءٍ من الدعاء إلا في الاستسقاء حتى يرى بياض إبطيه. وعن كعب
بن مرة السلمي رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءه
رجلٌ فقال: يا رسول الله، استسق الله لمضر،فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه
وقال: "اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريعاً مريئاً عاجلاً غير رائثٍ نافعاً غير ضار". قال: فما
جمعوا حتى أحيوا. فأتوه فشكوا إليه المطر فقالوا: يا رسول الله قد تهدمت البيوت. فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه: "اللهم حوالينا لا علينا"، فجعل السحاب يتقطع
يميناً وشمالاً. وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى
ناشئاً في أفق السماء ترك العمل وإن كان في صلاة، ثم يقول: "اللهم إني أعوذ بك من
شرها"، فإن رأى مطراً قال: "اللهم صيباً هنيئاً". وعنها رضي الله عنها قالت: كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى المطر قال: "اللهم صيباً نافعاً".
وأما ما يقال في الخوف والشدائد، عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال: "إذا تخوف الرجل من السلطان فليقل اللهم رب السموات السبع
ورب العرش العظيم كن لي جاراً من فلان بن فلان يسمي الذي يريد وشر الجن والإنس
وأحزابهم وأتباعهم أن يفرط علي أحدٌ منهم أو يطغى عز جارك وجل ثناؤك ولا إله
غيرك". وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: "من خاف من
السلطان أو غيره فليفزع إلى هذه الدعوة الله أكبر وأعز من خلقه جميعاً الله أكبر وأعز مما
أخاف وأحذر وأعوذ بالله الذي لا إله إلا هو ممسك السماوات السبع أن يقعن على الأرض
إلا بإذنه من شر فلان ابن فلان يا رب كن لي جاراً من شره عز جارك وجل ثناؤك ولا إله
إلا أنت العلي العظيم يقولهن ثلاث مراتٍ إلا أعاذه الله من شر ذلك". وعن عليٍ رضي الله
عنه قال: دعاني النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يا علي إذا اشتد بك أمرٌ فكبر ثلاثاً
وقل الله أكبر وأعز من كل شيءٍ والله أكبر أعز من خلقه وأقدر وأعز مما أخاف وأحذر

اللهم أدرأ بك في نحره وأعوذ بك من شره فإنك تكفي بإذن الله عز وجل".
وأما ما يقال في الغضب والفزع، عن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: استب رجلان
عند النبي صلى الله عليه وسلم فجعل أحدهما تحمر عيناه وتنتفخ أوداجه. فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم: "إني لأعرف كلمةً لو قالها لذهب عنه الذي يجد أعوذ بالله من
الشيطان الرجيم". وعن النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا فزع أحدكم فليقل أعوذ
بكلمات الله التامة من غضبه وعذابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون
فإنها لم تضره". قال فكان عبد الله يعلمها من بلغ من ولده، ومن لم يبلغ منهم كتبها في صكٍ
وعلقها عليه. وفي لفظٍ: "إذا فزع أحدكم في النوم فليقل" يعني الكلمات، وفي طريقٍ: كان
خالد بن الوليد رجلاً يفزع في نومه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له:
"إذا اضطجعت للنوم فقل" يعني الكلمات، فقالها فذهب ذلك عنه.
وأما ما يقال في السفر وركوب الدابة والسفينة ودخول القرية، عن عائشة رضي الله عنها
قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً توضأ فأسبغ وضوئه وصلى
ركعتين، ويقول وهو في مجلسه مستقبل القبلة: "الحمد لله الذي خلقني ولم أك شيئاً رب أعني
على أهوال الدنيا والآخرة ومن مصيبات الليالي والأيام في سفري فاحفظني وفي أهلي
فاخلفني". وعن النبي صلى الله عليه وسلم: "ما استخلف العبد في أهله إذا هو شد
عليه ثياب سفره خيراً من أربع ركعاتٍ يصليهن في بيته يقرأ في كل واحدةٍ بفاتحة الكاتب
وقل هو الله أحد ثم يقول اللهم إني أتقرب بهن إليك فاجعلهن خليفتي في أهلي ومالي قال
فهو خليفته في أهله وماله وولده ودورٍ حول داره حتى يرجع إلى داره". وعن أنسٍ رضي
الله عنه قال: لم يرد النبي صلى الله عليه وسلم سفراً قط إلا قال حين ينهض من جلوسه:
"بك انتشرت إليك وجهت وبك اعتصمت أنت ثقتي ورجائي اللهم اكفني ما يهمني وما لا
أهتم به وما أنت أعلم به مني اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني إلى الخير أينما

توجهت". وعن النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا ركبتم الإبل فتعوذوا
بالله واذكروا اسم الله عليه فإن على سنام كل بعيرٍ شيطاناً".وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذا استوى على بعيره يريد السفر كبر ثلاثاً ثم قال: سبحان الذي سخر لنا هذا
وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن
العمل ما ترضى اللهم هون لنا سفرنا هذا واطو عنا بعده اللهم أنت الصاحب في السفر
والخليفة في الأهل والمال والولد"، وإذا رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قالهن وزاد
فيهن: "آئبون تائبون لربنا حامدون". وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله
عليه وسلم كان إذا قفل من حجٍ أو عمرةٍ فأشرف على شرفٍ كبر ثلاثاً ثم قال: "لا إله إلا
الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير آئبون تائبون لربنا
حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده وكل شيءٍ هالكٌ إلا وجهه له
الحكم وإليه ترجعون اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في
الأهل والمال". وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: "أمانٌ لأمتي من الغرق إذا ركبوا السفن أن يقولوا باسم الله الرحمن الرحيم وما
قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطوياتٌ بيمينه سبحانه
وتعالى عما يشركون باسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفورٌ رحيم". وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا سافر فأقبل الليل قال: "يا أرض ربي وربك الله أعوذ بالله من
شرك وشر ما فيك وشر ما يدب عليك أعوذ بالله من أسدٍ وأسود ومن الحية والعقرب
ومن ساكن البلد ومن والدٍ وما ولد". وعن عليٍ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه قال: قال
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا علي إذا نزلت منزلاً فقل باسم الله اللهم أنزلنا
منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين ترزق خيره ويدفع عنك شره". وقال صلى الله عليه
وسلم: "من نزل منزلاً وقال أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق لم يضره شيءٌ

حتى يرتحل من منزله ذلك". وعن عليٍ رضي الله عنه قال: دعاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال: "إذا أردت الدخول إلى مدينةٍ أو قريةٍ فقل حين تعاينها اللهم إني أسألك
خير هذه القرية وخير ما كتبت فيها وأعوذ بك من شرها وشر ما كتبت فيها اللهم ارزقني
خيرها وأعوذ بك من شرها وحببنا إلى أهلها وحبب أهلها إلينا". وعن صهيبٍ رضي
الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ير قريةً يريد دخولها إلا قال: "اللهم رب السماوات
السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أقللن ورب الرياح وما ذرين ورب الشياطين وما
أضللن أسألك خير هذه القرية وخير ما فيها وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها". وعن
أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر فأراد أن
ينزل قريةً عدل إليها وقال: "الله أكبر ثلاثاً اللهم ارزقنا خيرها واصرف عنا وباءها وحببنا
إلى صالح أهلها وحببهم إلينا".
وأما ما يقال في الزواج والجماع، عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم: "إذا تزوج أحدكم ثم دخل على أهله فليقل اللهم بارك لي في
أهلي وبارك لأهلي في وارزقني منها وارزقها مني واجمع بيننا ما جمعت في خيرٍ وإذا فرقت
بيننا ففرق في خيرٍ". وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه
وسلم: "لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتني
فإن قضي بينهما ولدٌ لم يضره الشيطان"، أو قال: "لم يسلط عليه".
وأما ما يقال في قضاء الدين ونجاح الحوائج، عن أبي سعيدٍ رضي الله عنه قال: دخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يومٍ المسجد فإذا هو برجلٍ من الأنصار يقال له أبو
أمامة، فقال: "يا أبا أمامة مالي أراك جالساً في المسجد في غير وقت صلاةٍ"؟ قال: همومٌ
لزمتني وديونٌ يا رسول الله. قال: "أفلا أعلمك كلاماً إذا قلته أذهب الله همك عنك وقضى
عنك دينك"! قال: بلى يا رسول الله. قال: "قل إذا أصبحت وأمسيت اللهم إني أعوذ بك

من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من
غلبة الدين وقهر الرجال"، قال: ففعلت ذلك فأذهب الله همي وقضى عني ديني. وعن معاذ
ابن جبل رضي الله عنه أنه تخلف عن صلاةٍ من الصلوات ففقده النبي صلى الله عليه
وسلم. فلما جاءه قال: "ما خلفك عن الصلاة يا معاذ"؟ قال: ليوحنا اليهودي علي دينٌ
فخشيت إن خرجت أن يلزمني فلا أنا وصلت إليك ولا أنا كنت في أهلي. فقال صلى الله
عليه وسلم: "ألا أعلمك كلماتٍ إذا قلتها قضى الله عنك دينك ولو كان مثل الأرض أو
مثل صبرٍ ذهباً أو ورقاً قضاه الله عنك"! قلت بلى يا رسول الله قال: "قل اللهم مالك
الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير
إنك على كل شيءٍ قديرٌ. تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت
وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حسابٍ. رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما
تعطي منهما من تشاء وتمنع منهما من تشاء أسألك بعزتك ورحمتك أن تقضي عني ديني".
وعن عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: "من كانت له حاجةٌ إلى الله أو إلى أحدٍ من بني آدم فليتوضأ وليحسن الوضوء
وليصل ركعتين ثم ليثن على الله عز وجل ويصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليقل لا
إله إلا الله الحكيم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين أسألك
موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل برٍ والسلامة من كل ذنبٍ لا تدع لي ذنباً
إلا غفرته ولا هماً إلا فرجته ولا حاجةً هي لك رضاً إلا قضيتها". وعن عليٍ رضي الله
عنه قال: دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يا علي إذا خرجت من منزلك
تريد حاجةً فاقرأ آية الكرسي فإن حاجتك تقضى إن شاء الله تعالى". وعنه رضي الله
عنه قال: "إذا أراد أحدكم الحاجة فليبكر في طلبها يوم الخميس وليقرأ إذا خرج من بيته
آخر سورة آل عمران وآية الكرسي وإنا أنزلناه في ليلة القدر وأم الكتاب فإن فيها قضاء

حوائج الدنيا والآخرة".
وأما ما يقال في رد الضالة، من مكحولٍ رضي الله عنه أنه كان يدعو في الضالة: اللهم
هادي وراد الضوال اردد علي ضالتي ولا تعنني بطلبها ولا تفجعني بمصيبتها فإنها من
رزقك وعطائك. وكان يقول في الآبق: اللهم ضيق عليه البلاد واجعله في أضيق من
ضرورة الحمل حتى ترده.
دعاء الاستخارة عن أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول إذا أراد الأمر: "اللهم خر لي واختر لي". وعن جابرٍ بن عبد الله رضي
الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كمل يعلمنا
السورة من القرآن، يقول: "إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم
إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر
وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني
ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال في عاجل أمري وآجله - فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي
فيه وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال في عاجل
أمري وآجله - فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به ويسمي
حاجته".
أسماء الله الحسنى والاسم الأعظم
قال الله تعالى: "ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها". وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن لله عز وجل تسعةً وتسعين اسماً مائةً غير واحدٍ
إنه وترٌ يحب الوتر من أحصاها دخل الجنة هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن، الرحيم،
الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور،
الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز،
المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور،
العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع،

الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد،
المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد،
القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعال، البر، التواب،
المنتقم، العغو، الرءوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني،
المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور.
وقد نبه البوني رحمه الله في اللمعة النوارانية على كيفية العلم والعمل بأسماء الله الحسنى
وخاصية كل اسمٍ منها، ورتب ذلك وجعله عشرة أنماطٍ فقال: النمط الأول من نظم الأسماء اسمه الله،
والإله، والرب، والخالق، والبارئ، والمصور، والمبدئ، والمعيد، والمحيي، والمميت. قال
البوني: هذا النمط عشرة أسماءٍ لا تكون إلا أذكاراً للذاكرين على اختلاف أحوالهم. فالله
والإله ذكر الأكابر والمولهين في الغالب. والرب، والخالق، والبارئ ذكر الأكابر من السالكين
المريدين. والمصور، والمبدئ، والمعيد، والمحيي، والمميت ذكر عباد الله المتعبدين
والمتبصرين.
النمط الثاني
الأحد، الواحد، الصمد، الفعال، البصير، السميع، القادر، المقتدر، القوي، القائم. قال:
هذه الأسماء العشرة سلكٌ واحدٌ في تقارب الأذكار، وهذا القسم فيه أذكار السالكين
المتعلقين بأسرار التوحيد ذكرهم الأحد والواحد. وأما الصمد فذكرٌ يصلح للمرتاضين
بالجوع، فذاكره لا يحس بألم الجوع البتة ما لم يدخل عليه ذكراً غيره. والفعال اسمٌ للمغلوبين
بالخواطر والوساوس وكثرة الأفكار واغتمام القلب بهذا السبب، فمهما ذكره من هذه صفته
تقلبت أفكاره إلى ما يقع له به سرورٌ وفرح. وأما السميع البصير فتنزيهٌ جليل، وهو ذكرٌ
يصلح للملحين في الدعاء فإنه ربما أسرعت لهم الإجابة. وأما القادر، والمقتدر، والقوي،
والقائم فذكرٌ يصلح لأصحاب الإعياء والحرفة الثقيلة، ولو علم سره من يعاني الأثقال
واستدامه لم يحس بثقلٍ فيما يتعاطاه البتة، ومن نقشها في فص خاتمٍ وتختم به أدرك ذلك

لوقته، ومن ضعف عن شيءٍ ما وعلقه عليه وذكره قوي لوقته.
النمط الثالث
الحي، القيوم، الرحمن، الرحيم،
الملك القدير، العلي، العظيم، الكبير، المتعال. قال: هذا القسم من الأسماء يحتوي على
أذكار المراقبين، وفيه أعمالٌ جليلة البرهان. فالحي القيوم اسمان جليلان، ذكرٌ لأهل
الحضرة، وهو من أذكار إسرافيل وملائكة الصور أجمعين، يصلح أن يذكر من مبادئ الفجر
إلى طلوع الشمس، يجد ذاكره من الزيادة والخشية والتطلع إلى طلب الفضائل ما لم يعهده
قبل، ومن نقش الاسمين عند طلوع الشمس من يوم الجمعة مستقبل القبلة على ذكرٍ
وأمسكه عنه أحيا الله ذكره إن كان خاملاً، وأحيا رزقه إن كان قليلاً. وأما الرحمن
الرحيم فأذكارٌ شريفةٌ للمضطرين وأمان للخائفين لا ينقشه أحدٌ في خاتمٍ في يوم جمعةٍ آخر
النهار فيرى ما يكرهه ما دام عليه. ومن أكثر من ذكره كان ملطوفاً به في كل أموره. وأما
الملك والقدير فذكرٌ يذكر عند كل ذي ملكٍ وقدرةٍ فإنه ما من ملكٍ يستديم هذا الذكر في
عموم أوقاته إلا ثبت ملكه وانبسطت قدرته، ويصلح للسالك الذي تغلبه شهوات نفسه،
فإنه ما يستديم ذكره من هذا مقامه إلا بعث الله إليه قوةً ملكيةً تؤيده وتنصره على من
يخالفه من عوالمه. وأما العلي العظيم فللتنزيه. والكبير المتعال مناسبٌ للتنزيه أيضاً، وهما
اسمان لائقان بأهل التعظيم من أرباب الأحوال ليس للعامة في الذكر بهما قسم.
النمط الرابع
المهيمن، المقيت، العزيز، الجبار، المتكبر، المحيط، الحفيظ، الفاطر، المجيد، ذو الجلال. قال
البوني: أما المهيمن، والمقيت فللعلم والاستيلاء والمراقبة في الجزئيات والكليات. والعزيز،
والجبار، والمتكبر فمن أسماء صفات الذات اللازمة للخوف والرهبة والعظمة، لا يذكرها
ذليلٌ إلا عز، ولا حقيرٌ إلا ارتفع، ولا بين يدي جبارٍ إلا ذل وخضع، ولا يذكرها ملكٌ من
ملوك الأرض إلا وجد في نفسه ذلةً وانكساراً. وأما الحفيظ فإنه اسمٌ سريع الإجابة
للخائفين في الأسفار. وأما المحيط، والمجيد، والفاطر، وذو الجلال، فأسماه التنزيه وزياداتٌ في

التوحيد.
النمط الخامس
العليم، الحكيم، البديع،النور، القابض، الباسط، الأول الآخر، الظاهر، الباطن. قال: هذا
القسم من الأسماء جليل القدر عظيم الشأن. فأما العليم، والحكيم فللتوحيد الخاص، لا
يصلحان إلا لمن أبهم عليه أمرٌ من كشف سرٍ من أسرار الله تعالى يعسر على الفكر
إدراكه، فإنه إذا استدام ذكر العليم الحكيم يسر الله عليه علم ما سأل وعرفه الحكمة فيه،
ومنه اسمه البديع أيضاً مثل ذلك. وأما النور، والباسط، والظاهر، فذكر أرباب
المكاشفات. ومن أراد أن ينظر شيئاً في منامه فليذكر هذه الأسماء على طهارةٍ وهو في
فراشه إلى أن ينام على هذا الذكر، ويعمل همته فيما يريد فإنه يمثل له في نومه كشف ذلك.
وأما القابض، والأول، والآخر، والباطن، فكلها أسماءٌ للتعظيم والتوحيد.
النمط السادس
الحليم، الرءوف، المنان، الكريم، ذو الطول، الوهاب، الغفور، الغافر، العفو، المجيب. قال:
هذا النمط من الأسماء عليه مدار إبقاء الوجود ودفع الأضداد وجمع المتفرق. أما الحليم،
والرءوف، والمنان، فذكرٌ للخائفين، ما داومه من يخاف شيئاً إلا أوجد الله تعالى برد
الطمأنينة وسكن روعه. قال البوني: وذكر لي من له إطلاع أنه من استدام هذا الذكر إلى
أن يغلب عليه حالٌ منه على خلو معدةٍ ثم أمسك النار لم تعد عليه، ولو تنفس حينئذٍ
على قدرٍ تغلي سكن غليانها بإذن الله تعالى، ولا يكتبها أحدٌ ويقابل بها من يخاف منه إلا
أطفأ الله شره عند رؤيته، ولا يستديم هذا الذكر من غلبته شهوته إلا نزع الله منه النزوع
إليها في أثناء ذكره. وأما الكريم، الوهاب، وذو الطول، فلا يستديم على هذا الذكر من قدر
عليه رزقه ومسته حاجةٌ إلا يسر الله عليه من حيث لا يشعر، ومن نقش هذه الأسماء
وعلقها عليه لم يدر كيف ييسر الله عليه المطالب من غير عسر. وأما الغفور، والغافر،
والعفو، فنظمٌ متقاربٌ لسؤال دفع المؤلم خصوصاً من آلام الدين والدنيا. وأما المجيب، فيذكر
في آخر الدعوات.

النمط السابع
الكافي، الغني، الفتاح،
الرزاق، الودود، اللطيف، الواسع، الشهيد، نعم المولى ونعم النصير. قال: هذا النمط من
الأسماء جليل القدر، به ينزل الله الرغائب من كل مفضولٍ به على أحدٍ من عباده. فاسمه
الكافي، والغني، والفتاح، والرزاق لا يذكر أحدٌ هذه الأسماء الأربعة وهو يتمنى شيئاً لم تبلغه
أمنيته إلا بلغه بإذن الله تعالى من جهةٍ لا يعتمد عليها لم تخطر بباله. لا يذكر أحدٌ هذا
الذكر على القليل إلا كثره الله ولا على طعامٍ إلا ظهرت فيه زيادة، ولا يذكره من هو في رتبةٍ
وهمته طالبةٌ أعلى منها إلا يسر الله له الوصول إليها. وأما الودود، واللطيف، والواسع،
والشهيد، فنمطٌ جليل النظم لأرباب الهجوع والخلوة، واللطيف خصوصاً لتفريج الكرب في
أوقات الشدائد لا يضاف إليه غيره، لا يذكره من يؤلمه شيءٌ في نفسه وبدنه إلا أزاله الله
عنه أثناء الذكر.
النمط الثامن
الشديد ذو القوة، المتين، السريع، الرقيب، المقتدر، القاهر، الوارث، الباعث، القوي. هذا
النمط من الأسماء عظيم الشأن فأما الشديد، وذو القوة، والقاهر، والمقتدر، فهي أسماء
القهر لا يذكرها ضعيف الهمة إلا قويت نفسه، ولا يدعو بها أحدٌ على ظالمٍ في احتراق
الشهر في السابعة من الليل في بيتٍ مظلمٍ حاسر الرأس على الأرض لا حائل بينه وبينها
مائة مرةٍ يقول في آخرها: يا شديد خذ لي بحقي من فلانٍ، ولا يشخص شيئاً فالله أعلم بما
يعمل. قال: وقد جرب مئين من المرات. ولا ينقشها أحدٌ في خاتمٍ ويتختم به إلا ألبسه الله
تعالى مهابةً يدركها من نفسه ويدركها غيره منه، ويرتاع منه كل جبارٍ عنيدٍ عند رؤيته،
حتى كأن الجبال على كاهله ما دام ينظر إلى من هو معه. وأما السريع، والرقيب، والمتين،
فذكرٌ لأرباب المراقبة في الأفعال تنفتح لهم بذلك مكاشفاتٌ وأسرارٌ. وأما الوارث،
والباعث، فلحكمة الاعتبار والتصديق بآثار القدرة.
النمط التاسع
التواب، الشاكر، الولي، الحسيب، الوكيل، القريب، الصادق، البر، الباقي، الخلاق. قال:

هذا القسم مرتبٌ على مقامات السالكين، فالتواب للتائبين، والشاكر للشاكرين، والولي
للأولياء، والحسيب لأهل الكفاية، والوكيل للمتوكلين، والقريب من أهل القرب، والصادق مع
الصادقين، والبر مع أهل البر، والباقي مع أهل الشهداء، والخلاق لذوي الاعتبار. وللمشايخ
في هذا الميدان مجالٌ رحبٌ بحسب اختلاف أحوالهم.
النمط العاشر
الهادي، الخبير، المبين، علام الغيوب، ذو الجلال والإكرام، القدوس، السلام، المؤمن، وينتظم
في ذلك المعز، والمذل، وما في آخر سورة الإخلاص. قال: فالهادي، والخبير، والمبين، لمن
أراد كشف عواقب الأمور بجوعٍ وسهر، ويذكر هذه الأسماء وعلى رأس مائةٍ من أعداد
الذكر يقول: اهدني يا هادي، وخبرني يا خبير، وبين لي يا مبين، ويسمي ما يريده وذلك في
جوف الليل، فإذا أدركه النوم مثل له كشف ما أراد من أي نوعٍ شاء. هذا مختصر ما قاله
البوني في ترتيب أسماء الله الحسنى.
وأما ما ورد في الاسم الأعظم، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سمع
رجلاً يقول: اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد، الصمد، الذي لم
يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فقال: "لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سأل به أعطى
وإذا دعي به أجاب". وعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: دخلت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم المسجد فإذا رجلٌ من الأنصار يقال له أبو عياشٍ الزرقي يصلي،
فدنوتٌ منه، فدعا في صلاته: اللهم إني أسألك - بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع
السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام - أن تغفر لي. فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: "لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى". وعن
أسماء بنت يزيدٍ رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اسم الله الأعظم في
هاتين الآيتين وإلهكم إلهٌ واحدٌ لا إله إلا هو الرحمن الرحيم" وفاتحة سورة آل عمران "الم الله
لا إله إلا هو الحي القيوم". وعن أبي أمامة واسمه صدي بن عجلان الباهلي رضي الله

عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن اسم الله الأعظم لفي ثلاث سورٍ من
القرآن في البقرة وآل عمران وطه". قال فالتمستهما فوجدت في البقرة آية الكرسي "الله لا إله
إلا هو الحي القيوم"، وفاتحة آل عمران "الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم"، وفي طه "عنت
الوجوه للحي القيوم".
والأدعية المختارة كثيرةٌ وقد أتينا منها بما فيه كفايةً لمن توجه إلى الله تعالى وسأله.
ولنختم هذا الباب بما ختم البخاري كتابه: كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في
الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.
القسم الخامس
في الملك وما يشترط فيه
وما يحتاج إليه وما يجب له على الرعية وما يجب للرعية عليه، ويتصل به ذكر الوزراء
وقادة الجيوش وأوصاف السلاح وولاة المناصب الدينية والكتّاب والبلغاء.
وفيه أربعة عشر باباً:
الباب الأول
شروط الإمامة الشرعية والعرفية
الشروط الشرعية
فقد ذكر منها الشيخ الإمام أبو عبد الله الحسين ابن الحسن بن محمد بن الحليم الحليمي
الجرجاني الشافعي - رحمه الله - في كتابه المترجم "بالمنهاج" لمعة واضحة البيان، حسنة
التبيان؛ اكتفينا بإيرادها عما سواها، واقتصرنا عليها دون ما عداها؛ لجمعها أكثر
الشروط مع إيجاز اللفظ وإصابة الغرض، على ما ستقف عليه إن شاء الله تعالى.
قال الحليمي: إذا أراد أهل الاجتهاد نصب إمام حين لا إمام لهم، فأول شرائطه أن يكون
من قريش. والثانية أن يكون عالماً بأحكام الدين من الصلاة وأخذ الصدقات ومصارفها
والقضايا والجهاد بالمسلمين وقسم الغنائم والنظر في حدود الله تعالى إذا رفعت إليه فيقيمها
أو يدرأها وغير ذلك. والثالثة أن يكون عدلاً في دينه وتعاطيه ومعاملاته.
فأما اشتراط النسب؛ فلما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الأئمة من

قريش..." وأنه صلى الله عليه وسلم قال: "قدموا قريشاً ولا تقدموها ولولا أن تبطر
قريش لأخبرتها بما لها عند الله تعالى".
وأما اشتراط العلم بأحكام الصلاة والزكاة والجهاد والقضاء والحدود والأموال التي يتولاها
الأئمة، فإنه لا يمكنه أن يقوم بحقها والواجب فيها إلا بعد العلم، لتكون معالم الدنيا قائمة،
وأحكام الله تعالى بين عباده جارية. فإذا لم يكن عنده من العلم ما يتوصل به إلى ما يحتاج
الإمام إليه فوجوده وعدمه بمنزلة واحدة. وينبغي أن يكون شجاعاً شهماً، لأن رأس أمور
الناس الجهاد؛ فإذا كان من يتولى أمورهم جباناً فشلاً منعه ذلك من مجاهدة المشركين
وحمله على أن يترك كثيراً من حقوق المسلمين فكان ضررهم به أكثر من نفعهم.
وأما اشتراط العدالة، فلأن الإمام إذا كان يتولى حقوق الله تعالى وحقوق المسلمين فمنصبه
منصب الأمانة ائتمانٌ له على الحقوق؛ ولا يجوز أن يؤتمن على حقوق الله تعالى من ظهرت
خيانته لله ولعباده، ولأن الفاسق ناقص الإيمان فلا يجوز أن يشرف بالتولية على المسلمين
الذين فيهم من هو كامل الإيمان وأقرب إلى كماله منه، كما لا يجوز أن يولّى شيئاً من أمور
المسلمين كافر، ولأن الفاسق لا يرضى للشهادة فكان بألاّ يرضى للحكم وهو أرفع منزلةً من
الشهادة أولى، وإذا لم يرض للحكم كان بألاّ يرضى للإمامة التي هي أجمع من الحكم أولى،
والله أعلم، ولأنه إذا لم يكن يصلح نفسه فهو في حق غيره أكثر تضييعاً ولإصلاحه أشد
عجزاً، ومن كان بهذه المنزلة فهو أبعد الناس من موقف الأئمة.
وإذا اجتمعت هذه الشرائط التي ذكرناها في رجل، فإن كان الإمام الذي تقدمه ولاّه في
حياته ما يتولاّه إما استخلافاً عند عجزه عن القيام ما عليه فيه، وإما انخلاعاً إليه فلا
اعتراض في ذلك عليه، وإن كان أوصى له بالولاية بعد موته فالأظهر جواز ذلك. قال: فإن
لم يكن لمن جمع شرائط الإمامة عهدٌ من إمام قبله واحتيج إلى نصب إمام للمسلمين فاجتمع
أربعون عدلاً من المسلمين أحدهم عالم يصلح للقضاء بين الناس، فعقدوا لرجل جمع
الشرائط التي تقدم ذكرها بعد إمعان النظر والمبالغة بالاجتهاد، ثبتت له الإمامة ووجبت

طاعته. وينبغي أن يبدأ العالم الذي بينهم بالعقد ثم الذين ليسوا في العلم والرأي مثله.
قال: وإذا لم يجدوا من قريش من توجد فيه شرائط الإمام - وهذا بعيد جداً وإنما هي
مسائل توضع لاحتمال الوقوع - فعند ذلك يكون الإمام من أقرب القبائل إلى قريش، فيكون
من كنانة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله اصطفى كنانة من العرب واصطفى قريشاً
من كنانة"؛ فإن لم يوجد فيهم كان من أقرب العرب من كنانة، حتى إذا استوفي بنو إسماعيل
لم يعدل إلى بني إسحاق، وإن كانوا أقرب لأنهما ابنا إبراهيم، ولكن إلى جدهم من العرب،
ثم الأقرب فالأقرب.
وإذا وجد قرشي عالم غير عدل وقرشيٌ عدلٌ غير عالم وكنانيٌ عالم عدل، قال الحليمي:
الأشبه عندي أن يقدم القرشي العدل، فإن أشكل عليه شيء عمل فيه برأي أهل العلم.
وإذا خلع الإمام نفسه ولم يولّ أحداً مكانه، فإن كان الإمام صالحاً للإمامة بالإطلاق فذلك
منه غير نافذ، لأنه نصب ناظراً للمسلمين، وخلعه نفسه في هذه الحالة ضررٌ عليهم، لأنه
يدعهم بلا إمام ويعرّضهم للاجتهاد في نصب غيره، وقد يصيبون في ذلك أو يخطئون.
وإذا أمّر الإمام أمراء واستقضى قضاةً ثم مات، كان أمراؤه وقضاته على أعمالهم كما
كانوا في حياته ولا ينعزلون، وليسوا كالوكيل ينعزل بموت الموكل، لأن الوكالة نيابة، والولاية
شركة. هذا ما قاله الحليمي، والله تعالى أعلم. فهذه الشرعية التي لابد منها في حق
الإمام.
الشروط العرفية والاصطلاحية
وهي ما ينبغي أن يأتيه الملك من جميل الفعال، ويذره من قبيح الخصال.
قال معاوية بن أبي سفيان: مهما كان في الملك فلا ينبغي أن تكون فيه خمس خصال: لا
ينبغي أن يكون كذاباً، فإنه إذا كان كذاباً فوعد بخير لم يرج، وإن وعد بشر لم يخف؛ ولا
ينبغي أن يكون بخيلاً، فإنه إذا كان بخيلاً لم يناصحه أحد، ولا تصلح الولاية إلاّ بالمناصحة؛
ولا ينبغي أن يكون حديداً، فإنه إذا كان حديداً مع القدرة هلكت الرعية؛ ولا ينبغي أن

يكون حسوداً، فإنه إذا كان حسوداً لم يشرف أحدً، ولا يصلح الناس إلاّ على أشرافهم؛
ولا ينبغي أن يكون جباناً، فإنه إذا كان جباناً اجترأ عليه عدوه.
وقال ابن المقفع: ليس للملك أن يغضب، لأن القدرة من وراء حاجته؛ وليس له أن يكذب،
لأنه لا يقدر على استكراهه على غير ما يريد؛ وليس له أن يبخل، لأنه أقل الناس عذراً في
خوف الفقر؛ وليس له أن يكون حقوداً، لأن خطره أعظم من المجازاة.
وقالت الحكماء: يجب على الملك أن يتلبس بثلاث خصال: تأخيره العقوبة في سلطان
الغضب، وتعجيل مكافأة المحسن، والعمل بالأناة فيما يحدث؛ فأن له في تأخير العقوبة
إمكاناً، وفي تعجيل المكافأة بالإحسان المسارعة في الطاعة من الرعية، وفي الأناة انفساح
الرأي وإيضاح الصواب.
وقالوا: ينبغي للملك أن يأنف أن يكون في رعيته من هو أفضل منه ديناً، كما يأنف من أن
يكون منهم من هو أنفذ منه أمراً.
وقيل: لا ينبغي للملك أن يسرع إلى حبس من يكتفى له بالجفاء والوعيد.
وقالوا: ينبغي للملك أن تعرفه رعيته بالأمانة، ولا يعجل بالعقاب ولا بالثواب، فإن ذلك أدوم
لخوف الخائف ورجاء الراجي.
وقال بعض حكماء الفرس: أحزم الملوك من غلب جده هزله، وقهر رأيه هواه، وعبر عن
ضميره فعله، ولم يخدعه رضاه عن حظه، ولا غضبه عن كيده.

الباب الثاني
في صفات الملك وأخلاقه
وما يفضل به على غيره، وذكر ما نقل من أقوال الخلفاء والملوك الدالة على علو هممهم وكرم
شيمهم.

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه: السلطان زمام الأمور، ونظام الحقوق، وقوام الحدود،
والقطب الذي عليه مدار الدين والدنيا؛ وهو حمى الله في بلاده، وظله الممدود على عباده،
به يمنع حريمهم، وينصر مظلومهم، ويقمع ظالمهم، ويؤمن خائفهم.
وقال بعض البلغاء: الملك من تبيض آثار آياديه، وتسود أيام أعاديه؛
وتخضر مواقع سيبه، وتحمر مواضع سيفه؛ وتصفر وجوه حساده، وتروق أعين أنداده.

وقال سهل بن هارون: الملك صبي الرضا، كهل الغضب؛ يأمر بالقتل وهو يضحك،
ويستأصل شأفة القوم وهو يمزح، يخلط الجد بالهزل، ويتجاوز في العقوبة قدر الذنب، وربما
أحفظه الذنب اليسير، وربما أعرض صفحاً عن الخطب الكبير؛ أسباب الموت والحياة
متعلقة بطرف لسانه، لا يعرف ألم العقوبة فيبقي، ولا يؤنب على بادرة فينتهي، يخطئ
فيصوب ويصيب فيفترض، مفتون الهوى فظ الخليقة أخرق العقوبة، لا يمنعه من ذي
الخاصة به ما يعلم من عنايته وطول صحبته أن يقتله بخطرة من خطرات موجدته، ثم لا
ينفك أن يخطب إليه موضعه، فلا الثاني بالأول يعتبر، ولا الملك عن مثل ما فرط منه
يزدجر.
قال عمرو بن هند: الملوك يشتمون بالأفعال لا بالأقوال، ويسفهون بالأيدي لا بالألسن.
قال معبد بن علقمة:
وتجهل أيدينا ويحلم رأينا ونشتم بالأفعال لا بالتكلم
وأما ما يفضل به الملك على غيره، فقد قيل: تميّز الملك على غيره إنما يكون بفضيلة الذات
لا بفضيلة الآلات. وفضل ذات الملك بخمس خصال: رحمة تشمل رعيته، ويقظة تحوطهم،
وصولة تذبّ عنهم، ولين يكيد به الأعداء، وحزم ينتهز به الفرص، فهذه فضيلة الذات.
وأما فضيلة الآلات، فاتخاذ المباني الوثيقة العلية، والملابس الأنيقة السنية، والذخائر
النفيسة، والمطاعم الشهية، والمراكب البهية.
وقالت أم مالك طخارستان لنصر بن سيار: ينبغي للملك أن يكون على ستة أشياء
خاصة به: وزير يثق به ويفضي إليه بسره، وحصن إذا فزع يأوي إليه، وسيف إذا نزل به
أمرٌ لم يخف أن يخونه، وذخيرة خفيفة إذا نابته نائبة استعان بها، وامرأة جميلة إذا دخل
عليها أذهبت همّه، وطبّاخ إذا لم يشته الطعام عمل له ما يشتهيه.
أقوال الخلفاء والملوك
الدالة على عظم هممهم، وكرم أخلاقهم وشيمهم، وشدة كيدهم، وقوة أيدهم.
قيل للإسكندر وهو يحارب دارا: إن دارا في ثمانين ألفاً، فقال: إن القصّاب لا يهوله كثرة
الغنم.

واصطنع أنوشروان رجلاً، فقيل له: إنه لا قديم له، فقال: اصطناعنا إيّاه بيته وشرفه، ولما
رهن حاجب ابن زرارة قوسه عند كسرى قال: لولا أنهم عندي أقل من القوس لم أقبلها.
قال النعمان بن المنذر:
يعفو الملوك عن الكثير   من الذنوب لفضلها
ولقد تعاقب في اليسير   وليس ذلك لجهلها
لكن ليرجى عفوها   ويخاف شدّة نكلها
ومن كلام معاوية: تحن الزمان، من رفعناه ارتفع، ومن وضعناه اتضع. وكان يقول: إني
لآنف أن يكون في الأرض جهلٌ لا يسعه حلمي، وذنبٌ لا يسعه عفوي، وحاجةٌ لا يسعها
جودي. وقال معاوية أيضاً: إني لأرفع نفسي أن يكون ذنب أوسع من حلمي، وما غضبي
على من أملك، أو ما غضبي على من لا أملك! يريد إني إذا كنت مالكاً للمذنب، فإني
قادر على الانتقام منه، فلم ألزم نفسي الغضب! وإن لم أكن أملكه فليس يضره غضبي، فلم
أغضب عليه فأضرّ نفسي ولا أضره!
ومن كلام السفاح: ما أقبح بنا أن تكون الدنيا لنا وأولياؤنا خالون من حسن آثارنا!.
ومن كلام المأمون: إنما تطلب الدنيا لتملك، فإذا ملكت فلتوهب. وكان يقول: إنما يستكثر
من الذهب والفضة من يقلاّن عنده.
ومن كلام العباس بن محمد الرشيد: إنما هو درهمك وسيفك، فازرع بهذا من شكرك،
واحصد بهذا من كفرك؛ فقال: يا عم، والله ما للملك غير هذا. كما قيل:
لم أر شيئاً صادقاً نفعه   للمرء كالدرهم والسيف
يقضي له الدرهم حاجاته   والسيف يحميه من الحيف
قيل: لما أشير على الإسكندر بتبيت الفرس، قال: لا أجعل غلبتي سرقة.
وقيل له: لو تزوجت ببنت دارا! فقال: لا تغلبني امرأة غلبت أباها.
ومن كلام أنوشروان: إن الملك إذا كثرت أمواله مما يأخذ من رعيته كان كمن يعمر سطح
بيته مما يقتلع من قواعد بنيانه. وكان يقول وجدنا للّذة العفو ما لم نجد للّذة العقوبة.
ومن كلام المنصور: يحتمل الملوك كل شيء إلا ثلاثة: القدح في الملك، وإفشاء السر،
والتعرض للحرم.
الباب الثالث

فيما للملك على الرعايا
من الطاعة والنصيحة والتعظيم والتوقير.
وأما الطاعة فواجبة على سائر الرعية، لأن الله تعالى قرن طاعة أولي الأمر بطاعته وطاعة
رسوله، ونص على ذلك في محكم تنزيله فقال تعالى: "يا أيّها الذّين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا
الرسول وأولي الأمر منكم"، فبأمره تبارك وتعالى وجبت، وبسنة رسوله صلى الله عليه
وسلم تأكدت وترتبت. روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم: "من أطاعني فقد أطاع الله ومن يعصني فقد عصى الله ومن يطع الأمير
فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني" وهذا الحديث ثابت في صحيح مسلم. وعنه
صلى الله عليه وسلم أنه قال: "اسمعوا وأطيعوا ولو أمرّ عليكم عبدٌ حبشي كأن رأسه
زبيبة". فقد تبين بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وجوب طاعة الإمام على
كل مسلم.
وأما النصيحة، فلما روي عن تميم الداري رضي اله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم: "إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة"؛ قالوا: لمن يا
رسول الله؟ قال: "لله ولكتابه ورسوله وأئمة المؤمنين" أو قال: "أئمة المسلمين وعامتهم".
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله عز
وجل رضي لكم ثلاثاً وسخط لكم ثلاثاً رضي لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن
تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاّه الله عز وجل أمركم".
وقال أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الخيري رحمه الله تعالى: فانصح للسلطان وأكثر له من
الدعاء بالصلاح والرشاد في القول والعمل، فإنهم إذا صلحوا صلح العباد والبلاد بصلاحهم،
وإياك أن تدعوا عليهم فيزدادوا شراً ويزداد البلاء بالمسلمين، وإياك أن تأتيهم أو تتصنع
لإتيانهم أو تحب أن يأتوك، واهرب منهم ما استطعت.
وفي كتاب للهند أن رجلاً دخل على بعض ملوكهم فقال: أيها الملك، إن نصيحتك واجبة في
الصغير الحقير والكبير الخطير، ولولا الثقة بفضيلة رأيك واحتمال ما يسوء موقعه منك في

جنب صلاح العامة وتلافي الخاصة لكان خرقاً مني أن أقول، ولكّنا إذا رجعنا إلى أن بقائنا
مشمولٌ ببقائك، وأنفسنا معلقةٌ بنفسك لم نجد بدّاً من أداء الحق إليك وإن أنت لم تسلني
ذلك؛ فإنه يقال: من كتم السلطان نصيحته والأطباء مرضه والإخوان بثّه فقد أخلّ بنفسه.
وأنا أعلم أن كل ما كان من كلام يكرهه سامعه، لم يتشجع عليه قائله إلا أن يثق بعقل المقول
إليه، فإنه إذا كان عاقلاً احتمل ذلك، لأنه ما كان فيه من نفعٍ فهو للسامع دون القائل. وإنك
أيها الملك ذو فضيلة في الرأي وتصرف في العلم، وإنما يشجعني ذلك على أن أخبرك بما
تكره واثقاً بمعرفتك بنصحي لك وإيثاري إياك على نفسي.
وقال عمرو بن عتبة للوليد بن يزيد حين تغيّر الناس له: يا أمير المؤمنين، إنه ينطقني الأمن
منك، وتسكتني الهيبة لك، وأراك تأمن أشياء أخافها عليك، أ فأسكت مطيعاً أم أقول
مشفقاً؟ قال: قل، مقبولٌ منك، ولله فينا علم غيبٍ نحن صائرون إليه، فقتل بعد ذلك
بأيام.
وقالوا: ينبغي لمن صحب السلطان ألاّ يكتم عنه نصيحته وإن استقلّها، وليكن كلامه له
كلام رفق لا كلام خرق، حتى يخبره بعيبه من غير أن يواجهه بذلك، ولكن يضرب له الأمثال
ويعرّفه بعيب غيره، ليعرف به عيب نفسه.
دخل الزّهريّ على الوليد بن عبد الملك فقال له: ما حديثٌ يحدّثنا به أهل الشام؟ قال:
وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: يحدثوننا أن الله إذا استرعى عبداً رعيته كتب له الحسنات
ولم يكتب له السيئات؛ قال: باطلٌ يا أمير المؤمنين، أنبيٌّ خليفةٌ أكرم على الله أم خليفةٌ غير
نبيّ؟ قال: نبيٌّ خليفةٌ؛ قال: فإن الله تعالى يقول لنبيه داود عليه السلام: "يا داود إنّا جعلناك
خليفةً بالأرض فاحكم بين النّاس بالحقّ ولا تتّبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله إنّ الّذين
يضلّون عن سبيل الله لهم عذابٌ شديدٌ بما نسوا يوم الحساب"؛ فهذا يا أمير المؤمنين وعيده
لنبيٍّ خليفة، فما ظنك بخليفةٍ غير نبيّ! قال: إنّ الناس ليعروننا من ديننا.
خطب المنصور فقال في خطبته ما كأنه تفسير ما أدمجه فيثاغورث وإيضاحه، وهو: معشر

الناس، لا تضمروا غش الأئمة فإنه من أضمر ذلك أظهره الله على سقطات لسانه، وقلبات
أحواله وسحنة وجهه.
قال: خرج الزّهريّ يوماً من مجلس هشام بن عبد الملك فقال: ما رأيت كاليوم ولا سمعت
كأربع كلمات تكلم بهنّ رجلٌ عند هشام بن عبد الملك، دخل عليه فقال: يا أمير المؤمنين،
احفظ عني أربع كلماتٍ فيهنّ صلاح ملكك، واستقامة رعيتك، قال: هاتهن؛ فقال: لا
تعدنّ عدةً لا تثق من نفسك بإنجازها، ولا يغرنّك المرتقى وإن كان سهلاً إذا كان المنحدر
وعراً، واعلم أن الأعمال جزاءٌ فاتق العواقب، وأن الأمور بغتاتٌ فكن على حذر، قال
عيسى بن دأب: فحدّثت الهادي بها وفي يده لقمة قد رفعها إلى فيه فأمسكها، وقال:
ويحك! أعد عليّ؛ فقلت: يا أمير المؤمنين؛ أسغ لقمتك؛ فقال: حديثك أعجب إليّ.
وقال ابن المقفع: اعلم أن السلطان يقبل من الوزراء التبخيل ويعدّه منهم شفقةً ويحمدهم
عليه وإن كان جواداً، فإن كنت مبخّلاً غششت صاحبك بفساد مروءته، وإن كنت
مسخيّاً لم تأمن من إضرار ذلك بمنزلتك؛ فالرأي تصحيح النصيحة على وجهها، والتماس
المخرج من العيب واللائمة فيما تترك من تبخيل صاحبك، فلا يعرف منك فيما تدعوه إلي
ميلاً إلى شيء من هواك، ولا طلباً لغير ما ترجو أن يزينه وينفعه.
وأما تعظيمه وتوقيره والأدب في خدمته والتمسك بجماعته، فلما روي عن أبي بكرٍ
الصديق رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "السلطان ظل
الله في أرضه فمن أكرمه أكرمه الله ومن أهانه أهانه الله".
وعن أبي عبيدة الجراح رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول: "لا تسبوا السلطان فإنه فيء الله في أرضه".
وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "إنه كائنٌ
بعدي سلطانٌ فلا تذّلوه فمن أراد أن يذلّه فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه وليس بمقبولٍ
توبته حتى يسد الثلّمة التي ثلم ثم يعود فيكون فيمن يعزّه".
وقد روي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا مررت

ببلدٍ ليس فيه سلطانٌ فلا تدخله فإنما السلطان ظلّ الله ورمحه في الأرض".
وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات ميتةً جاهليةً".
وعن أبي رجاء العطاردي قال: سمعت ابن عباس يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من رأى من أميره ما يكرهه فليصبر فإنه ليس أحدٌ يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتةً جاهلية". رواه بخاري.
فقد تبين لك في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوب تعظيم السلطان وتوقيره.
وقال بزرجمهر: من جالس الملوك بغير أدب فقد خاطر بنفسه.
وقال ابن المقفع: من خدم السلطان فعليه بالملازمة من غير معاتبة.
وقال: إن سأل السلطان غيرك فلا تكن المجيب عنه، فإن استلابك الكلام خفةٌ منك واستخفافٌ بالسائل والمسئول؛ وما أنت قائل إن قال لك: ما إياك سألت! أو قال لك المسئول عند المسألة يعاد له بها: يا هذا، دونك فأجب؟ وإذا لم يقصد الملك بمسئلته رجلاً بعينه وعمّ بها جميع من عنده فلا تبادرنّ بالجواب، ولا تسابق الجلساء ولا تواثب بالكلام مواثبة، فإنك إن سبقت القوم إلى الجواب صاروا لكلامك خصوماً فتعقبوه بالعيب له والطعن فيه، وإذا أنت لم تعجل بالجواب وخليّته للقوم عرضت قولهم على عينك، ثم تدبرته وفكرت فيه وفيما عندك، ثم هيأت من تفكيرك ومما سمعت جواباً مرضياً، ثم استدبرت به أقاويلهم حتى تصغي إليك الأسماع، ويهدأ عنك الخصوم. فإن لم يبلغك الكلام واكتفى بغيرك وانقطع الحديث فلا يكوننّ من الغبن عند نفسك فوت ما فاتك من الجواب، فإن صيانة القول خيرٌ من سوء موضعه. وقال: إذا كلّمك السلطان فاستمع لكلامه واصغ إليه، ولا تشغل طرفك بنظر، ولا أطرافك بعمل، ولا قلبك بحديث نفس، واحذر هذا من نفسك وتعهّدها به. وقال: لا تشكونّ إلى وزراء السلطان ودخلائه ما اطلعت عليه منه من رأى أنت تكرهه، فإنك تكون قد فطنتهم لهواه والميل عليك معه. وقال: لا تكونن صحبتك

للملوك إلا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم في المكروه عندك، وموافقتهم فيما
خالفك، وتقدير الأمور على أهوائهم دون هواك، وعلى ألاّ تكتمهم سرّك ولا تستطلعهم
على ما كتموك، وتخفي ما أطلعوك عليه عن الناس كلهم حتى تحمي نفسك الحديث به،
وعلى الاجتهاد في طلب رضاهم، والتلطّف لحاجاتهم، والتثبيت لحجتهم، والتصديق
لمقالتهم، والتزين لرأيهم، وقلة الامتعاض لما فعلوا إذا أساءوا، وترك الانتحال لما فعلوا إذا
أحسنوا، وكثرة النشر لمحاسنهم، وحسن الستر لمساوئهم، والمقاربة لمن قاربوا وإن كان
بعيداً، والمباعدة لمن باعدوا وإن كان قريباً، والاهتمام بأمورهم وإن لم يهتموا، والحفظ
لأمورهم وإن ضيّعوا، والذكر لأمورهم وإن نسوا، والتخفيف بمؤنتك عنهم، والاحتمال لكل
مؤنة لهم، والرضا منهم بالعفو، وقلة الرضا من نفسك بالمجهود.
فإن كنت حافظاً إذا ولّوك، حذرً إذا قربوك، أميناً إذا ائتمنوك، ذليلاً إذا صرموك، راضياً
إذا أسخطوك، تعلمهم وكأنك تتعلم منهم، وتؤدبهم وكأنك تتأدب منهم، وتشكرهم ولا
تحمّلهم الشكر، وإلاّ فالبعد منهم كل البعد.
ومن الآداب العرفية في صحبة الملوك وخدمتهم، ألاّ يسلّم على قادمٍ بين أيديهم، وإنما
استسنّ ذلك زياد بن أبيه، وذلك أن عبد الله بن عباس قدم على معاوية بن أبي سفيان
وعنده زياد، فرحب به معاوية وألطفه وقربه ولم يكلمه زياد بكلمة، فابتدأه ابن عباس وقال:
ما حالك يا أبا المغيرة! كأنك أردت أن تحدث بيننا وبينك هجرة؛ قال: لا، ولكنه لا يسلّم
على قادم بين يدي أمير المؤمنين؛ فقال له ابن عباس: ما ترك الناس التحية بينهم عند
أمرائهم؛ فقال له معاوية: كف عنه يا بن عباس، فإنك لا تشاء أن تغلب إلا غلبت.
وقالوا: كن على التماس الخطأ بالسكوت بين يدي السلطان أحرص منك على التماسه
بالكلام.
وقالوا: مساءلة الملوك عن أحوالهم من تحية النّوكى.
وقالوا: لا تسلم على الملك، فإنه إن أجابك شقّ عليه، وإن لم يجبك شقّ عليك.

وقال الفضل بن الربيع: سنتان مهملتان عند الملوك: السلام والتشميت، لأنهم يصانون عن
كل ما يقتضي جواباً.
وقيل: لا يقدر على صحبة السلطان إلا من يستقل بما حمّلوه، ولا يلحف إذا سألهم، ولا
يغترّ بهم إذا رضوا عنه، ولا يتغير لهم إذا سخطوا عليه، ولا يطغى إذا سلطوه، ولا يبطر
إذا أكرموه.
وقال فيلسوف: إذا قربك السلطان فكن منه على حدّ السّنان، وإن استرسل إليك فلا
تأمن انقلابه عليك، وارفق به رفقك بالصبيّ، وكلمه بما يشتهي.
قال الصاحب بن عباد:
إذا ولاّك سلطانٌ فزده من التعظيم واحذره وراقب
فما السلطان إلا البحر عظماً وقرب البحر محذور العواقب
وقال أبو الفتح البستيّ: أجهل الناس من كان مدلاًّ على السلطان مذلاًّ للإخوان.
قال الشعبي: قال لي ابن عباس: قال لي أبي: إني أرى هذا الرجل - يعني عمر بن الخطاب
- يستفهمك ويقدّمك على الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإني
موصيك بخلالٍ أربع: لا تفشينّ له سرّاً، ولا يجرّبنّ عليك كذباً، ولا تطو عنه نصيحة، ولا
تغتابنّ عنده أحداً؛ قال الشعبي: فقلت لابن عباس: كل واحدةٍ خير من ألف، قال: إي
والله ومن عشرة آلاف!.
الباب الرابع:
في وصايا الملوك
كتب أرسطاطاليس إلى الإسكندر: أن املك الرعية بالإحسان إليها تظفر بالمحبة منها،
فإنّ طلبك الناس بإحسانك هو أدوم بقاءً منه باعتسافك؛ واعلم أنك إنما تملك الأبدان
فاجمع لها القلوب؛ واعلم أنّ الرعية إذا قدرت أن تقول قدرت أن تفعل.
وهذا مخالف لما حكي عن معاوية أنّ رجلاً أغلظ عليه فحلم عنه؛ قيل له: أتحلم عن
مثل هذا؟ فقال: إنا لا نحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا.
وكتب إلى الإسكندر: اعلم أنك غير مستصلح رعيتك وأنت مفسد، ولا مرشدهم وأنت
غاوٍ، ولا هاديهم وأنت ضالّ؛ وكيف يقدر الأعمى على الهدى، والفقير على الغنى، والذليل
على العزّ!.

وقال أنوشروان: ثمانية أشياء هي أساس الملك، يأتي بأربعة، ويحذر أربعة؛ فالذي يأتي به:
النصح في الدين، وكفاء الأمين، وتقديم الحزم، وإمضاء العزم.
والذي يحذره: غشّ الوزير، وسوء التدبير، وخبث النية، وظلم الرعية.
وقال أردشير لأصحابه: إني إنما أملك الأجساد لا النيات، وأحكم بالعدل لا بالرضا،
وأفحص عن الأعمال لا عن السرائر.
وقال أبرويز لابنه شيرويه: لا توسعنّ على جندك سعةً يستغنون بها عنك فيطغوا، ولا
تضيق عليهم ضيقاً يضجون به منك، ولكن أعطهم عطاءً قصداً وامنعهم منعاً جميلاً،
وابسط لهم في الرجاء، ولا تبسط لهم في العطاء.
وكتب إليه أيضاً من الحبس: اعلم أن كلمةً منك تسفك دماً وأخرى تحقن دماً، وأن
سخط سيفك مسلول على من سخطت عليه، وأن رضاك بركةٌ مستفادةٌ على من رضيت
عنه، وأنّ نفاذ أمرك مع ظهور كلامك، فاحترس في غضبك من قولك أن يخطئ، ومن لونك
أن يتغيّر، ومن جسدك أن يخفّ، فإن الملوك تعاقب حزماً وتعفو حلماً. واعلم أنك تجلّ
عن الغضب، وأن ملكك يصغر عن رضاك، فقدر لسخطك من العقاب ما تقدر لرضاك
من الثواب.
وكتب إليه أيضاً من الحبس: اختر لولايتك امرأً كان وضيعاً فرفعته، وذا شرفٍ كان مهملاً
فاصطنعته، ولا تجعله امرأً أصبته بعقوبة فاتضع لها، ولا امرأً أطاعك بعدما أذللته، ولا
أحداً ممن يقع في خلدك أنّ إزالة سلطانك أحبّ إليه من ثبوته؛ وإياك أن تستعمله ضرعاً
غمراً، كثيراً إعجابه بنفسه، قليلاً تجربته في غيره، ولا كبيراً مدبراً قد أخذ الدهر من عقله
كما أخذت السّنّ من جسمه.
قال لقيط الإيادي:
فقلّدوا أمركم لله درّكم رحب الذّراع بأمر الحرب مضطلعا
لا مترفاً إن رخاء العيش ساعده ولا إذا عضّ مكروهٌ به خشعا
مازال يحلب درّ الدهر أشطره يكون متّبعاً طوراً ومتّبعا
حتّى استمرّت على شزرٍ مريرته مستحصد الرأي لا قحماً ولا ضرعا
وكتب سابور بن أردشير في عهده إلى ولده:ليكن وزيرك مقبول القول عندك، قويّ المنزلة

لديك، يمنعه مكانه منك وما يثق به من لطافة منزلته، من
الخشوع لأحدٍ أو الضراعة أو
المداهنة لأحد في شيء مما تحت يده، لتبعثه الثقة بك على
محض النصيحة لك، والمنابذة
لمن أراد غشك وانتقاصك حقّك. وإن أورد عليك رأياً يخالفك ولا
يوافق الصواب عندك،
فلا تجبهه جبه الظّنين، ولا ترده عليه بالتجهّم فيفتّ ذلك في
عضده، ويقبضه عن إبثاثك كل
رأيٍ يلوح صوابه، بل اقبل ما ارتضيت من قوله، وعرّفه ما
تخوفت من ضرر الرأي الذي
انصرفت عنه، لينتفع بأدبك فيما يستقبل الرأي فيه. واحذر كل
الحذر أن تنزل هذه المنزلة
سواه ممن يطيف بك من خدمك وخاصتك، وأن تسهل لأحد منهم
سبيل الانبساط
بالنطق عندك والإفاضة في أمور ولايتك ورعيتك، فإنه لا يوثق
بصحة رأيهم، ولا يؤمن
الانتشار فيما أفضي من السر إليهم.
وقال ابن المقفع: عوّد نفسك الصبر على من خالفك من ذوي
النصيحة، والتجرع لمرارة
قولهم وعذلهم، ولا تسهلنّ سبيل ذلك إلا لأهل الفضل والعقل
والسن والمروءة في ستر، لئلا
ينتشر من ذلك ما يجترىء به سفيه أو يستخف به شانئ. واعلم
أن رأيك لا يتسع لكل
شيء ففرغه لمهم ما يعنيك، وأن مالك لا يتسع للناس فاخصص
به أهل الحق، وأن كرامتك
لا تطيق العامة فتوخّ بها أهل الفضل، وأن ليلك ونهارك لا
يستوعبان حاجاتك وإن دأبت
فيهما، فأحسن قسمتهما بين عملك ودعتك. واعلم أن ما شغلت
من رأيك بغير المهم
أزرى بك، وما صرفت من مالك في الباطل فقدته حين تريده
للحق، وما عدلت به من
كرامتك إلى أهل النقص أضرّ بك في العجز عن أهل الفضل.
وكتب عبد الله بن عباس إلى الحسن بن عليّ لما ولاّه الناس
أمرهم بعد عليّ رضي الله
عنهما: أن شمّر للحرب، وجاهد عدوّك، واشتر من الضنين دينه
بما لا يثلم دينك، ووال
أهل البيوتات تستصلح به عشائرهم.
وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: يجب على الوالي أن
يتعهد أموره ويتفقد أعوانه
حتى لا يخفى عليه إحسان محسن ولا إساءة مسيء، ثم لا يترك
أحدهما بغير جزاء، فإنه

إذا ترك ذلك تهاون المحسن واجترأ المسيء، وفسد الأمر وضاع العمل.
وقال بعض الحكماء: الملك المنعم إذا أفاض المكارم واغتفر الجرائم ارتبط بذلك خلوص
نية من قرب منه وهم الأقل، وانفساح الأمل ممن بعد عنه وهم الأكثر، فيستخلص حينئذ
ضمائر الكل من حيث لم يصل معروفه إلا إلى البعض.
ولم أر فيما طالعته من هذا المعنى أجمع للوصايا ولا أشمل من عهدٍ كتبه عليّ بن أبي
طالب رضي الله عنه إلى مالك بن الحارث الأشتر حين ولاّه مصر، فأحببت أن أورده على
طوله وآتي على جملته وتفصيله، لأن مثل هذا العهد لا يهمل، وسبيل فضله لا يجهل، وهو:
هذا ما أمر به عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين
ولاّه مصر: جباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها، أمره بتقوى
الله وإيثار طاعته واتباع ما أمره به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا
باتباعها، ولا يشقى إلا بالعدول عنها؛ وأن ينصر الله تعالى بيده وقلبه ولسانه، فإنه جلّ
اسمه قد تكفل بنصر من نصره وإعزاز من أعزه؛ وأمره أن يكسر نفسه عند الشهوات
ويزعها عند الجمحات، فإن النفس لأمارةٌ بالسوء.
ثم اعلم يا مالك أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول من قبلك من عدل وجور،
وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمر الولاة قبلك، ويقولون فيك
ما كنت تقول فيهم.
وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده. فليكن أحب الذخائر
إليك ذخيرة العمل الصالح. فاملك هواك وشحّ بنفسك عما لا يحل لك؛ فإن الشح بالنفس
الإنصاف منها فيما أحبت أو كرهت.
وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم؛ والطف بهم، ولا تكوننّ عليهم سبعاً ضارياً تغتنم
أكلهم؛ فإنهم صنفان: إما أخٌ في الدين، وإما نظيرٌ لك في الخلق، يفرط منهم الزلل وتعرض لهم
العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ؛ فأعطهم من صفحك وعفوك مثل الذي تحب أن
يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك؛ والله فوق من ولاّك؛

وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم، فلا تنصبن نفسك لحرب الله، فإنه لا قوة لك بنقمته، ولا
غنى بك من عفوه ورحمته.
ولا تندمنّ على عفو، ولا تبجحنّ بعقوبة، ولا تسرعنّ إلى بادرة وجدت منها مندوحة،
ولا تقولنّ: مؤمّر آمر فأطاع، فإن ذلك إدغالٌ في القلب ومنهكةٌ للدين وتقرب من الغير.
فإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبّهةً أو مخيلةً، فانظر إلى عظم ملك الله تعالى
فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فإن ذلك يطامن إليك من طماحك،
ويكفّ عنك من غربك ويفيء إليك بما عزب عنك من عقلك.
وإياك ومساماة الله في عظمته والتشبه به في جبروته، فإن الله يذّل كل جبّار ويهين كل
مختال.
أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك وممن لك فيه هوىً من رعيتك،
فإنك إلاّ تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله
أدحض حجته وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب.
وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامةٍ على ظلم فإن الله سميعٌ
دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد.
وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمّها في العدل وأجمعها لرضا الرعية، فإن
سخط العامة يجحف برضا الخاصة، وإن سخط الخاصة يغتفر برضا العامة.
وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤنةً في الرخاء، وأقل معونةً في البلاء، وأكره
للإنصاف، وأسأل بالإلحاف، وأقلّ شكراً عند العطاء، وأبطأ عذراً عند المنع، وأضعف
صبراً عند ملمات الدهر من أهل الخاصة، وإن عمود الدين وجماع المسلمين والعدة للأعداء
العامة من الأمة؛ فليكن صغوك لهم وميلك معهم.
وليكن أبعد رعيتك منك وأشنؤهم عندك أطلبهم لعيوب الناس، فإن في الناس عيوباً
الوالي أحقّ بسترها، فلا تكشفنّ عما غاب عنك منها، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك،
والله حكمٌ على ما غاب عنك منها.
فاستر العورة ما استطعت يستر الله ما تحب ستره من عيبك.
أطلق عن الناس عقدة كل حقد، واقطع عنهم سبب كل وتر، وتغاب عن كل ما لا يصلح

لك.
ولا تعجلنّ إلى تصديق ساعٍ، فإن الساعي غاشّ وإن تشبه بالناصحين.
ولا تدخلنّ في مشورتك بخيلاً فيعدل عن الفضل ويعدك الفقر، ولا جباناً فيضعفك عن
الأمور، ولا حريصاً فيزين لك الشره بالجور؛ فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتّى يجمعها
سوء الظن بالله.
واعلم أن شرّ وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً ومن شركهم في الآثام، فلا يكوننّ لك
بطانةً، فإنهم أعوان الأثمة وإخوان الظّلمة. وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم
ونفاذهم، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم، ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه ولا آثماً على
إثمه، أولئك أخف عليك مؤنةً وأحسن لك معونة، وأحنى عليك عطفاً وأقلّ لغيرك إلفاً،
فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك. ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم للحق، وأقلّهم
مساعدةً فيما يكون منك مما كره الله تعالى لأوليائه واقعاً من هواك حيث وقع. ثم رضهم
على ألاّ يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله، فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو وتدني إلى
العزة. ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلةٍ واحدةٍ، فإن في ذلك تزهيداً لأهل
الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة، وألزم كلاًّ منهم ما ألزم نفسه.
واعلم أنه ليس شيء أدعى إلى حسن ظنّ والٍ برعيته من إحسانه إليهم وتخفيف المؤنات
عليهم وترك استكراهه إياهم على ما ليس له قبلهم.
وليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك، فإن حسن الظن يقطع عنك
نصباً طويلاً.
وإن أحق من حسن ظنك به من حسن بلاؤك عنده، وإن أحق من ساء ظنك به لمن
ساء بلاؤك عنده.
ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها
الرعية، ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن، فيكون الأجر لمن سنها،
والوزر عليك بما نقضت منها.
وأكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، وإقامة ما

استقام به الناس قبلك.
واعلم أن الرعية طبقاتٌ لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها
جنود الله، ومنها كتّاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق،
ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات،
ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة، وكلٌ قد سمّى الله سهمه، ووضع على
حدّه فريضته في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم عهداً منه محفوظاً.
فالجنود بإذن الله حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبل الأمن، وليس تقوم الرعية إلا
بهم،
ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم
ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم.
ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون من
المعاقد، ويجمعون من المنافع، ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها.
ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم، ويقومون
به في أسواقهم، ويكفونهم من الرفق بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم.
ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم؛ وفي الله لكلٍ
سعة؛ ولكلٍ على الوالي حقٌ بقدرٍ ما يصلحه.
وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين
نفسه على لزوم الحق والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل.
فولّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله تعالى ولرسوله ولإمامك، وأنقاهم، جيباً، وأفضلهم
حلماً، ممن يبطئ عن الغضب ويستريح إلى العذر ورفق بالضعفاء وينبو عن الأقوياء، وممن لا
يثيره العنف ولا يقعد به الضعف.
ثم ألحق بذوي الأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة أهل النجدة
والشجاعة والسخاء والسماحة، فإنهم جماع الكرم وشعب العرف؛ ثم تفقد من أمورهم ما
يتفقده الوالدان من ولدهما.

ولا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به؛ ولا تحقرنّ لطفاً تعاهدهم به وإن قلّ، فإنه داعيةٌ لهم
إلى بذل النصيحة لك، وحسن الظن بك.
ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالاً على جسيمها، فإن لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون
به، وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه.
وليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم
ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم حتى يكون همّهم همّاً واحداً في جهاد العدو، فإن
عطفك عليهم يعطف عليك قلوبهم؛ وإن أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد
وظهور مودة الرعية؛ وإنه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدرهم، ولا تصح نصيحتهم إلا
بحيطتهم على ولاة أمورهم وقلة استثقال دولهم وترك استبطاء انقطاع مدتهم، فافسح في
آمالهم وواصل في حسن الثناء عليهم وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم، فإن كثرة الذكر
لحسن فعالهم تهز الشجاع وتحرض الجبان إن شاء الله.
ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى.
ولا تضّمّن بلاء امرئ إلى غيره، ولا تقصرنّ به دون غاية بلائه.
ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً، ولا ضعة امرئ إلى أن
تستصغر من بلائه ما كان عظيماً.
واردد إلى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب ويشتبه عليك من الأمور؛ فقد قال الله
تعالى لقوم أحب إرشادهم: "يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر
منكم فإن تنازعتم في شيءٍ فردّوه إلى الله والرسول"؛ فالراد إلى الله هو الآخذ بمحكم
كتابه، والراد إلى الرسول الآخذ بسنته الجامعة غير المتفرقة.
ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور، ولا تممكه
الخصوم، ولا يتمادى في الذلة، ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه
على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، أوقفهم في الشبهات، وآخذهم بالحجج،
وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصرمهم عند إيضاح
الحكم، ممن لا يزدهيه إطراء، ولا يستميله إغراء؛ وأولئك قليل.
ثم أكثر تعاهد قضائه؛ وافسح له في البذل ما يريح علته وتقل معه حاجته إلى الناس،

وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له
عندك.
فانظر في ذلك نظراً بليغاً؛ فإن هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار يعمل فيه بالهوى
وتطلب به الدنيا.
ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً ولا تولهم محاباة وأثرة، فإنهما جماعٌ من شعب
الجور والخيانة.
وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدمة،
فإنهم أكرم أخلاقاً وأصح أعراضاً، وأقل في المطامع إسرافاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً.
ثم أسبغ عليهم الأرزاق،فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنىً لهم عن تناول ما
تحت أيديهم، وحجةٌ عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك.
ثم تفقد أعمالهم، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم ، فإن تعاهدك في السر
لأمورهم حدوةً لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية.
وتحفظ من الأعوان، فإن أحدٌ منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار
عيونك اكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من
عمله، ثم نصبته بمقام الذلة، ووسمته بالخيانة، وقلدته عار التهمة.
وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإن صلاحهم وصلاحه صلاح لمن سواهم، ولا صلاح
لمن سواهم إلا بهم، لأن الناس كلهم عيالٌ على الخراج وأهله.
وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلا
بالعمارة؛ ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا
قليلاً.
فإن شكوا ثقلاً أو علةً أو انقطاع شرب أو بالةٍ أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف
بها عطش، خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم؛ ولا يثقلنّ عليك شيء خففت به
المؤنة عنهم، فإنه ذخرٌ يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك، مع استجلابك
حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم، معتمداً فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من

إجماحك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم ورفقك بهم.
فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد، احتملوه طيبةً أنفسهم به، فإن
العمران يحتمل ما حملته، وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها، وإنما يعوز أهلها
لإشراف أنفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر.
واستعمل من يحب أن يدخر حسن الثناء من الرعية والمثوبة من الله عز وجل والرضا من
الإمام.
ثم انظر في حال الكتاب فولّ أمورك خيرهم.
واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكايدك وأسرارك بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق ممن
لا تبطره الكرامة فيجترئ بها عليك في خلافٍ لك بحضرة ملأ، ولا تقصر به الغفلة عن
إيراد مكاتبات عمالك عليك وإصدار جوابها على الصواب منها عنك، وفيما يأخذ لك
ويعطى منك، ولا يضعف عقداً اعتقده لك، ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك، ولا يجهل
مبلغ قدر نفسه في الأمور، فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل.
ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك، فإن الرجال
يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم؛ وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة
شيء؛ ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك، فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثراً،
وأعرفهم بالأمانة وجهاً، فإن ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره.
واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منه لا يقهره كبيرها ولا يتشتت عليه كثيرها.
ومهما كان في كتابك من عيبٍ فتغابيت عنه ألزمته.
ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات، وأوص بهم خيراً المقيم منهم والمضطرب بماله
والمترفق ببدنه، فإنهم موادّ المنافع وأسباب المرافق وجلاّبها من المباعد والمطارح في برّك
وبحرك وسهلك وجبلك وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترئون عليها، فإنهم سلمٌ لا
تخاف بائقته، وصلحٌ لا تخشى غائلته.
وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك.

واعلم أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً واحتكاراً للمنافع في المبايعات، وذلك
باب مضرة للعامة، وعيبٍ على الولاة، فامنع من الاحتكار، فإن رسول الله صلى الله عليه
وسلم منع منه.
وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين البائع والمبتاع، فمن
قارف حكرة بعد نهيك إياه فنكّل به وعاقبه من غير إسراف.
ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين المحتاجين وأهل البؤسى
والزمنى، فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً، فاحفظ الله ما استحفظك فيهم، واجعل لهم
قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلاّت صوافى الإسلام في كل بلد، فإن للأقصى منهم مثل
الذي للأدنى.
وكلٌ قد استرعيت حقه فلا يشغلنّك عنهم بطر فإنك لا تعذر بتضييعك التافه لأحكامك
الكثير المهم، فلا تشخص همّك عنهم ولا تصعر خدّك لهم؛ وتفقد أمور من لا يصل إليك
منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال، ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع،
فليرفع إليك أمورهم؛ ثم اعمل فيهم بالاعذار إلى الله سبحانه وتعالى في تأدية حقه إليه.
وتعهد أهل اليتم وذوي الرّقة في السنّ ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه.
وذلك على الولاة ثقيل؛ والحق كله ثقيل وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا
أنفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم.
واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم في شخصك وتجلس لهم فيه مجلساً عاماً
فتتواضع فيه لله الذي خلقك وتبعد عنهم جندك وأعوانك من حراسك وشرطك حتى
يكلمك متكلمهم غير متعتع فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في غير
موطن: "لن تقدّس أمةٌ لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متعتع.
ثم احتمل الخرق منهم والعيّ، ونحّ عنك الضيق والأنف يبسط الله عليك بذلك أكناف
رحمته ويوجب لك ثواب طاعته، وأعط ما أعطيت هنيئاً، وامنع في إجمال وإعذار.
ثم أمورٌ من أمورك لابدّ لك من مباشرتها: منها إجابة عمالك بما لا يغني عنه كتابك،

ومنها إصدار حاجات الناس عند ورودها عليك مما تحرج به صدور أعوانك.
وأمض لكل يوم عمله فإن لكل يوم ما فيه.
واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت وأجزل تلك الأقسام، وإن كانت
كلها لله إذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية.
وليكن في خاصة ما تخلص لله به دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصة، فأعط الله من
بدنك في ليلك ونهارك، ووفّ ما تقربت به إلى الله تعالى من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا
منقوص بالغاً من بدنك ما بلغ.
وإذا قمت في صلاتك للناس فلا تكوننّ منفراً ولا مضيعاً، فإن في الناس من به العلة وله
الحاجة؛ وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وجهني إلى اليمن كيف أصلي
بهم؟ فقال: "كصلاة أضعفهم وكن بالمؤمنين رحيماً".
وأما بعد هذا فلا يطولنّ احتجابك عن رعيتك، فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من
الضيق وقلة علم بالأمور.
والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه، فيصغر عندهم الكبير ويعظم
الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل.
وإنما الوالي بشر لا يعرف ما يوارى عنه الناس من الأمور؛ وليست على الحق سماتٌ
تعرف بها ضروب الصدق من الكذب.
وإنما أنت أحد رجلين: إما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق، ففيم احتجابك من
واجب حق تعطيه أو فعل كريم تسديه؟ وإما امرؤ مبتلىً بالمنع، فما أسرع كف الناس عن
مسألتك إذا يئسوا من ذلك! مع أن أكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤنة فيه عليك من
شكاة مظلمةٍ أو طلب إنصافٍ في معاملة.
ثم إن للوالي خاصةً وبطانة فيهم استئثارٌ وتطاول وقلة إنصاف في معاملة، فاحسم مادة
ذلك بقطع أسباب تلك الأحوال. ولا تقطعنّ لأحد من حاشيتك وخاصتك قطيعة، ولا
يطمعنّ منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب أو عمل مشترك يحملون
مؤنته على غيرهم، فيكون مهنأ ذلك لهم دونك، وعيبه عليك في الدنيا والآخرة.
وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد، وكن في ذلك صابراً محتسباً واقعاً ذلك من قرابتك

وخاصتك حيث وقع؛ وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه، فإن مغبة ذلك محمودة.
وإن ظنت الرعية بك حيفاً فأصحر لهم بعذرك واعدل عنك ظنونهم بإصحارك، فإن في
ذلك إعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق.
ولا تدفعنّ صلحاً دعاك إليه عدوك ولله فيه رضاً، فإن في الصلح دعةً لجنودك وراحةً من
همومك وأمناً لبلادك.
ولكن احذر كل الحذر من عدوّك بعد صلحه، فإن العدو ربما قارب ليتغفل، فخذ بالحزم
واتهم في ذلك حسن الظن.
فإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة وألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك
بالأمانة واجعل نفسك جنّة دون ما أعطيت، فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشدّ
عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود؛ وقد لزم ذلك
المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر.
فلا تغدرنّ بذمتك ولا تخيسنّ بعهدك ولا تختلنّ عدوك، فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهلٍ
شقي.
وقد جعل الله عهده وذمته أمناً قضاه بين العباد برحمته، وحرماً يسكنون إلى منعته
ويستفيضون إلى جواره، فلا إدغال ولا مدالسة ولا خداع فيه.
ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل.
ولا تعولنّ على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة.
ولا يدعونّك ضيق أمرٍ لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق، فإن صبرك على
ضيقٍ ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وأن تحيط بك من الله طلبة
فلا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك.
إياك والدماء وسفكها بغير حلّها، فإنه ليس شيءٍ أدعى لنقمةٍ ولا أعظم تبعةٍ ولا أحرى
بزوال نعمةٍ وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقّها، والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين
العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة؛ فلا تقوينّ سلطانك بسفك دمٍ حرام، فإن ذلك
مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله.
فلا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد، لأن فيه قود البدن.

فإن ابتليت بخطأ وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بعقوبة؛ فإن في الوكزة فما فوقها
مقتلة، فلا تطمحنّ بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم.
وإياك والإعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الإطراء، فإن ذلك من أوثق فرص
الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين.
وإياك والمنّ على رعيتك بإحسانك، والتزيد فيما كان من فعلك، وأن تعدهم فتتبع موعدك
بخلف، فإن المنّ يبطل الإحسان، والتزيد يذهب بنور الحق، والخلف يوجب المقت عند الله
والناس.
قال الله تعالى: "كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون".
وإياك والعجلة بالأمور قبل أوانها، أو التسقط فيها عند إمكانها، أو اللجاجة فيها إذا
تنكرت، أو الوهن عنها إذا استوضحت؛ فضع كل أمر موضعه وأوقع كل عمل موقعه.
وإياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة، والتغابي عما يعنى به مما قد وضح لعيون الناظرين،
فإنه مأخوذ منك لغيرك، وعما قليلٍ تنكشف عنك أغطية الأمور وينتصف منك المظلوم.
املك حميّة أنفك وسورة حدّك وسطوة يدك وغرب لسانك، واحترس من كل ذلك بكف
البادرة وتأخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار، ولن تحكم ذلك من نفسك
حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك.
والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة، أو سنة فاضلة، أو أثر
عن نبينا صلى الله عليه وسلم، أو فريضة في كتاب الله، فتقتدي بما شاهدت مما عملنا به
فيها، وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا، واستوثقت به من الحجة
لنفسي عليك لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها.
وأنا أسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته على إعطاء كل ذي رغبة: أن يوفقني وإياك لما
فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه، مع حسن الثناء في العباد وجميل
الأثر في البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة، وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة.
إنّا لله وإنّا إليه راجعون.
تم العهد بعون الله تعالى.

وقيل ينبغي للملك أن يوق العنف باللطف، والتوفير بالتوقير، ولا يتخذ أعواناً إلا أعياناً، ولا
إخلاء إلا أجلاء، ولا ندماء إلا كرماء، ولا جلساء إلا ظرفاء.

الباب الخامس

فيما يجب على الملك للرعايا

ويجب على الملك أن يبسط لرعيته بساطاً، ويبني لهم من الأمن فسطاطاً، وينشر عليهم
ألوية حلمٍ خفقت ذوائبها،ويسلسل لهم أنهار برٍّ امتدت دوائبها؛ ويكف عنهم أكف المظالم،
ويوكف عليهم سحائب المكارم.
وأهم ما قدم من ذلك العدل.

العدل وثمرته وصفة الإمام العادل

والعدل واجب على كل من استرعى رعيةً من إمام وغيره؛ قال الله تعالى: "إنّ الله يأمر
بالعدل والإحسان"، وقال تعالى: "وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب
المقسطين"، وقال تعالى: "وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى"، وقال تعالى: "يا داود إنّا
جعلناك خليفةً في الأرض فاحكم بين الناس بالحقّ ولا تتبع الهوى"، وقال تعالى: "الّذين إن
مكنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة
الأمور".
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عدل ساعة في حكمة خيرٌ من عبادة ستين
سنة".
وقال صلى الله عليه وسلم: "ألا كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام الذي على
الناس راعٍ وهو مسئول عنهم والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم والمرأة راعية
على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه
فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته".
قال بعض الشعراء:
فكلكم راعٍ ونحن رعية   وكلٌ سيلقى ربه فيحاسبه
وقالت الحكماء: إمام عادل خير من مطر وابل، وإمام غشوم خير من فتنة تدوم.
يقال: إن جمشيد أحد ملوك الفرس الأول، لما ملك الأقاليم عمل أربعة خواتيم: خاتماً
للحرب والشرطة وكتب عليه الأناة، وخاتماً للخراج وكتب عليه العمارة، وخاتماً للبريد

وكتب عليه الوحا، وخاتماً للمظالم وكتب عليه العدل، فبقيت هذه الرسوم في ملوك الفرس
إلى أن جاء الإسلام.
وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: إذا كان الإمام عادلاً فله الأجر وعليك الشكر،
وإذا كان جائراً فله الوزر وعليك الصبر.
وقال أردشير لابنه: يا بني إن الملك والعدل أخوان لا غنى لأحدهما عن صاحبه،فالملك
أسٌّ والعدل حارس،فما لم يكن له أس فمهدوم، وما لم يكن له حارس فضائع، يا بني اجعل
حديثك مع أهل المراتب، وعطيتك لأهل الجهاد، وبشرك لأهل الدين، وبرّك لمن عناه ما
عناك من ذوي العقول.
وقال بعض الحكماء: يجب على السلطان أن يلتزم العدل في ظاهر أفعاله لإقامة أمر
سلطانه، وفي باطن ضميره لإقامة أمر دينه، فإذا فسدت السياسة ذهب السلطان؛ ومدار
السياسة كلها على العدل والإنصاف، فلا يقوم السلطان لأهل الكفر والإيمان إلا بهما، ولا
يدور إلا عليهما.
وقال عبد الملك بن مروان لبنيه: كلكم يترشح لهذا الأمر، ولا يصلح له منكم إلا من له
سيفٌ مسلول، ومالٌ مبذول؛ وعدلٌ تطمئن إليه القلوب.
وخطب سعيد بن سويد بحمص، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إن للإسلام
حائطاً منيعاً وباباً وثيقاً؛ فحائط الإسلام الحق وبابه العدل؛ ولا يزال الإسلام منيعاً ما اشتد
السلطان؛ وليس شدة السلطان قتلاً بالسيف ولا ضرباً بالسوط، ولكن قضاءٌ بالحق وأخذٌ
بالعدل.
وكتب إلى عمر بن عبد العزيز بعض عماله يستأذنه في تحصين مدينة، فكتب إليه: حصّنها
بالعدل ونقّ طريقها من الظلم.
وقال معاوية: إني لأستحي أن أظلم من لا يجد علي ناصراً إلا الله.
وقال المهدي للربيع بن جهم وهو والٍ على أرض فارس: يا ربيع، انشر الحق والزم القصد
وابسط العدل وارفق بالرعية، واعلم أن أعدل الناس من أنصف من نفسه، وأجورهم من
ظلم الناس لغيره.
وقال جعفر بن يحيى: الخراج عمود الملك، وما استغزر بمثل العدل، ولا استنزر بمثل

الظلم.
وقال عمرو بن العاص: لا سلطان إلا برجال، ولا رجال إلا بمال، ولا مال إلا بعمارة، ولا
عمارة إلا بعدل.
وقيل: سأل الإسكندر حكماء بابل، فقال: أيما أبلغ عندكم، الشجاعة أم العدل؟ فقالوا
إذا استعملنا العدل استغنينا عن الشجاعة.
ولما جيء بالهرمزان ملك خوزستان أسيراً إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لم يزل
الموكّل به يقتفي أثر عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى وجده بالمسجد نائماً متوسداً
درته، فلما رآه الهرمزان قال: هذا هو الملك؟ قيل نعم، فقال له: عدلت فأمنت فنمت،
والله إني قد خدمت أربعة من ملوك الأكاسرة أصحاب التيجان فما هبت أحداً منهم
هيبتي لصاحب هذه الدرة.
وقالوا: إذا عدل الإمام خصب الزمان.
وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الأرض لتزين في أعين الناس إذا كان عليها إمامٌ
عادل، وتقبح إذا كان عليها إمام جائر.
وحكي أن كسرى أبرويز نزل متنكراً بامرأة، فحلبت له بقرة فرآها حلبت لبناً كثيراً، فقال
لها: كم يلزمك في السنة على هذه البقرة للسلطان؟ فقالت: درهم واحد؛ فقال: أين ترتع
وبكم منها ينتفع؟ فقالت: ترتع في أراضي السلطان، ولي منها قوتي وقوت عيالي؛ فقال في
نفسه: إن الواجب أن أجعل إتاوة على البقور فلأصحابها نفعٌ عظيم؛ فما لبث أن قالت
المرأة: أوّه، إن سلطاننا همّ يجور، فقال أبرويز: لمه؟ فقالت: لأن درّ البقرة انقطع، وإن جور
السلطان مقتض لجدب الزمان؛ فأقلع عما كان همّ به. وكان يقول بعد ذلك: إذا همّ الإمام
بجور ارتفعت البركة.
وقال سقراط: ينبوع فرح العالم الملك العادل، وينبوع حزنهم الملك الجائر.
وقال الفضل: لو كان عندي دعوةٌ مستجابة لم أجعلها إلا في الإمام. فإنه إذا صلح
أخصبت البلاد وأمنت العباد؛ فقبّل ابن المبارك رأسه وقال: لا يحسبنّ هذا غيرك.
وقال قدامة: حسبكم دلالةً على فضيلة العدل أن الجور الذي هو ضدّه لا يقوم إلا به؛

وذلك أن اللصوص إذا أخذوا الأموال واقتسموها بينهم احتاجوا إلى استعمال العدل في
اقتسامهم وإلا أضر ذلك بهم.
صفة الإمام العادل.
كتب عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة إلى الحسن ابن أبي الحسن البصري أن يكتب له
صفة الإمام العادل؛ فكتب إليه الحسن: اعلم يا أمير المؤمنين، أن الله جعل الإمام العادل
قوام كل مائل، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم،
ومفزع كل ملهوف.
والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله والحازم الرفيق الذي يرتاد لها
أطيب المراعي، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع، ويكنفها من أذى الحر
والقر.
والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده، يسعى لهم صغاراً، ويعلمهم كباراً،
يكسب لهم في حياته، ويدخر لهم بعد وفاته.
والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرّة الرفيقة بولدها، حملته كرها، ووضعته
كرها، وربته طفلا، تسهر لسهره وتسكن لسكونه، وترضعه تارة وتفطمه أخرى، وتفرح
بعافيته، وتغتم بشكايته.
والإمام العادل يا أمير المؤمنين وصي اليتامى، وخازن المساكين، يربي صغيرهم ويمون
كبيرهم.
والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوارح، تصلح الجوارح بصلاحه، وتفسد
بفساده.
والإمام العادل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وعباده، يسمع كلام الله ويسمعهم، وينظر
إلى الله ويريهم، وينقاد لله ويقودهم.
فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله، فبددّ
المال وشرّد العيال فأفقر أهله وأهلك ماله.
واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش، فكيف إذا
أتاها من يليها! وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده، فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم!
واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده، وقلّة أشياعك عنده وأنصارك عليه، فتزود له وما

بعده من الفزع الأكبر.
واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلاً غير منزلك الذي أنت به، يطول فيه ثواؤك، ويفارقك
أحباؤك، ويسلمونك في قعره فريداً وحيداً؛ فتزود له ما يصحبك يوم يفرّ المرء من أخيه وأمه
وأبيه وصاحبته وبنيه.
واذكر يا أمير المؤمنين إذا بعثر ما في القبور، وحصّل ما في الصدور؛ فالأسرار ظاهرة،
والكتاب لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها؛ فالآن يا أمير المؤمنين وأنت في مهل، قبل
حلول الأجل، وانقطاع الأمل؛ لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين، ولا
تسلك بهم سبيل الظالمين، ولا تسلّط المستكبرين على المستضعفين، فإنهم لا يرقبون في
مؤمنٍ غلاًّ ولا ذمةً، فتبوء بأوزارك وأوزارٍ مع أوزارك، وتحمل أثقالك وأثقالاً مع أثقالك.
ولا يغرنّك الذين ينعمون بما فيه بؤسك، ويأكلون الطيبات من دنياهم بإذهاب طيباتك في
آخرتك.
ولا تنظرنّ إلى قدرك اليوم، ولكن انظر إلى قدرك غداً وأنت مأسور في حبائل الموت،
وموقوف بين يدي الله تعالى في مجمع الملائكة والمرسلين، وقد عنت الوجوه للحيّ القيوم.
إني يا أمير المؤمنين إن لم أبلغ في عظتي ما بلغه أولو النهي قبلي، فلم آلك شفقةً ونصحا؛
فأنزل كتابي هذا إليك كمداوي حبيبه يسقيه الأدوية الكريمة لما يرجو له بذلك من العافية
والصحة.
والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.
وحيثما ذكرنا العدل وصفة الإمام العادل فلنذكر الظلم وسوء عاقبته.
الظلم وسوء عاقبته
قال الله تعالى: "ألا لعنة الله على الظالمين"، وقال تعالى: "وأمّا القاسطون فكانوا لجهنّم
حطباً"، وقال تعالى: "ولا تحسبنّ الله غافلاً عمّا يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص
فيه الأبصار مهطعين"؛ قيل: هذا تعزية للمظلوم ووعيد للظالم.
قال تعالى: " إنّا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل
يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً". وقال تعالى: " وسيعلم الذين ظلموا أيّ

منقلبٍ ينقلبون". وقال تعالى: "وما للظالمين من أنصارٍ".
وقال تعالى: "فقطع دابر القوم الذين
ظلموا والحمد لله ربّ العالمين".
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة إمامٌ جائر" وفي لفظ
آخر: "أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدهم عذاباً إمامٌ جائر". وقال صلى الله عليه
وسلم: " اتقوا دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب" وفي لفظ: "فإنها مستجابة".
ويقال: ما أنعم الله على عبد نعمةٍ فظلم بها إلا كان حقيقاً على الله أن يزيلها.
وقال الأحنف: إذا دعتك نفسك إلى ظلم الناس فاذكر قدرة الله على عقوبتك، وانتقام الله
لهم، وذهاب ما آتيت إليهم عنهم.
وقال يوسف بن أسباط: من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصي الله.
وروي في الحديث: "إن الله تعالى يقول وعزتي لأجيبن دعوة المظلوم وإن كان كافراً".
وقال: "ما من عبد ظلم فشخص بصره إلى السماء ثم قال: يا ربّ؛ عبدك، ظلمت فلم
أنتصر إلا بك إلا قال الله لبيك عبدي لأنصرنّك ولو بعد حين".
وقيل: الظلم أدعى شيء إلى تغيير نعمةٍ وتعجيل نقمة.
وقال ابن عباس: ليس للظالم عهد، فإن عاهدته فانقضه، فإن الله تعالى يقول: "لا ينال
عهدي الظالمين".
وأجمعوا على أن المظلوم موقوف على النصرة لقوله تعالى: "ثمّ بغي عليه لينصرنّه الله".
والظالم مدرجة العقوبة وإن تنفّست مدّته.
وقيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: كان الرجل يظلم في الجاهلية فيدعو على من ظلمه
فيجاب عاجلاً ولا يرى ذلك في الإسلام؛ فقال: هذا حاجز بينهم وبين الظلم، وإن موعدكم
الآن الساعة، والساعة أدهى وأمر.
وقيل: تندمل من المظلوم جراحه، إذا انكسر من الظالم جناحه.
وقالوا: الجور آفة الزمان، ومحدث الحدثان؛ وجالب الإحن، ومسبّب المحن؛ ومحيل
الأحوال، وممحق الأموال؛ ومخلى الديار، ومحيي البوار. وهو مأخوذ من قولهم : جار عن
الطريق إذا نكب عنها، فكأنه عدل عن طريق العدل وحاد عن سبيله.
وفي الإسرائليات أن الله عز وجل أوحى إلى موسى عليه السلام: "يا موسى، قل لبني

إسرائيل: تجنبوا الظلم؛ وعزتي وجلالي إن له عندي مغبّة؛ قال: يا رب وما مغبته؟ قال:
يتم الولد، وتقليل العدد، وانقطاع الأمد، والثّواء في النار.
وقد أوردنا في ذلك ما يكتفي به من أن يعلم الله تعالى مسائله ومحاسبه، ومناقشه غداً
ومطالبه؛ وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، وموقف المظلوم لطلب حقه ممن ظلمه بملء فيه؛
وربما يعجّل له العقوبة في دنياه، ويضاعف عليه العذاب في أخراه، ويريه عاقبة بغيه في يوم
ينظر المرء ما قدمت يداه.
نسأل الله تعالى أن يحمينا أن نظلم أو نظلم، وأن يجعلنا ممن فوّض أمره إليه وسلّم، ولا
يمتحننا بمكروهٍ، فهو بضعفنا عن حمله أدرى، وبعجزنا أعلم، بمنّه وكرمه.
حسن السيرة والرفق بالرعية.
قال الله تعالى: "ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك".
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من أعطي حظه من الرفق فقد
أعطى حظّه من الخير كلّه، ومن حرم من الرّفق فقد حرم حظّه من الخير كله".
ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة أرسل إلى سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب فقال
لهما: أشيرا عليّ؛ فقال له سالم: اجعل الناس أباً وأخاً وابناً، فبرّ أباك، واحفظ أخاك،
وارحم ابنك.
وقال محمد بن كعب: أحبب للناس ما تحبّ لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، واعلم
أنك أوّل خليفة يموت.
وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة: أما بعد، فإذا أمكنتك القدرة على
المخلوق فاذكر قدرة الخالق عليك، واعلم أن ما لك عند الله مثل ما للرعية عندك.
وقال المنصور لابنه المهدي: يا بني لا تبرم أمراً حتى تفكر فيه، فإن فكرة العاقل مرآته تريه
حسناته وسيئاته؛ واعلم أن الخليفة لا يصلحه إلا التقوى، والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة،
والرعية لا يصلحها إلا العدل؛ وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنقص الناس عقلاً
من ظلم من هو دونه.
وقال خالد بن عبد الله القسريّ لبلال بن أبي بردة: لا يحملنّك فضل المقرة على شدة

السّطوة، ولا تطلب من رعيتك إلا ما تبذله لها، ف "إنّ الله مع الذّين اتقوا والذّين هم
محسنون".
وقيل: لما انصرف مروان بن الحكم من مصر إلى الشام، استعمل ابنه عبد العزيز على
مصر، وقال له حين ودعه: أرسل حكيماً ولا توصه؛ انظر أي بنيّ إلى أهل عملك، فإن كان
لهم عندك حقٌّ غدوةً فلا تؤخره إلى عشية، وإن كان لهم عشيةً فلا تؤخره إلى غدوة،
وأعطهم حقوقهم عند محلّها تستوجب بذلك الطاعة منهم.
وإياك أن يظهر لرعيتك منك كذب، فإنهم إن ظهر لهم منك كذب لم يصدقوك في الحق.
واستشر جلساءك وأهل العلم، فإن لم يستبن لك فاكتب إليّ يأتيك رأيي فيه إن شاء الله.
وإن كان بك غضب على أحد من رعيتك فلا تؤاخذه به عند سورة الغضب، واحبس
عقوبتك حتى يسكن غضبك ثم يكون منك ما يكون وأنت ساكن الغضب مطفأ الجمرة،
فإنّ أول من جعل السجن كان حليماً ذا أناة؛ ثم انظر إلى أهل الحسب والدين والمروءة،
فليكونوا أصحابك وجلساءك، ثم ا رفع منازلهم منك على غيرهم على غير استرسال ولا
انقباض، أقول هذا وأستخلف الله عليك.

الباب السادس

في حسن السياسة، وإقامة المملكة،

وما يتصل به الحزم والعزم، وانتهاز الفرص، والحلم، والعفو، والعقوبة، والانتقام.

فأما ما قيل في حسن السياسة وإقامة المملكة؛ قالوا: "من طلب الرياسة فليصبر على
مضض السياسة".
ويقال: "إذا صحت السياسة تمت الرياسة".
كتب الوليد بن عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف يأمره أن يكتب إليه بسيرته فكتب إليه:
إني أيقظت رأيي وأنمت هواي، وأدنيت السيد المطاع في قومه، ووليت الحرب الحازم في
أمره، وقلدت الخراج الموفر لأمانته، وقسمت لكل خصيم من نفسي قسماً، أعطيته حظّاً
من لطيف عنايتي ونظري، وصرفت السيف إلى النّطف المسيء، والثواب إلى المحسن
البريء؛ فخاف المريب صولة العقاب، وتمسك المحسن بحظّه من الثواب.

وقال الوليد بن عبد الملك لأبيه: يا أبت، ما السياسة؟ فقال: هيبة الخاصة مع صدق
مودتها، واقتياد قلوب العامة مع الإنصاف لها، واحتمال هفوات الصنائع.
وقيل: بلغ بعض الملوك سياسة ملكٍ آخر فكتب إليه: قد بلغت من حسن السياسة مبلغاً
لم يبلغه ملك في زمانك، فأفدني الذي بلغت به ذلك؛ فكتب إليه: لم أهزل في أمرٍ ولا نهيٍ ولا
وعدٍ، واستكفيتً أهل الكفاية وأثبت على العناء لا على الهوى، وأودعت القلوب هيبةً لم
يشبها مقت، وودّاً لم يشبه كذب، وعممت القوت، ومنعت الفضول.
وقيل إن أنوشروان كان يوّقع في عهود الولاة: سس خيار الناس بالمحبة، وامزج للعامة الرغبة
بالرهبة.ولما قدم سعد العشيرة في مائة من أولاده على ملك حمير سأله عن صلاح الملك؛
فقال: معدلةٌ شائعة، وهيبةٌ وازعة، ورعيةٌ طائعة؛ ففي المعدلة حياة الإمام، وفي الهيبة نفيٌ
للظلام وفي طاعة الرعية حسن التئام.
وقال أبو معاذ للمتوكل: إذا كنتم للناس أهل سياسة فسوسوا كرام الناس بالرفق والبذل،
وسوسوا لئام الناس بالذل يصلحوا على الذل، إن الذل يصلح الناس.
وقال أنوشروان: الناس ثلاثة طبقات، تسوسهم ثلاث سياسات، طبقة هم خاصة
الأشراف، تسوسهم باللين والعطف، وطبقة هم خاصة الأشرار، تسوسهم بالغلظة
والعنف، وطبقة هم العامة، تسوسهم بالشدة واللين.
وقال معاوية بن أبي سفيان: إني لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي
حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين العوام شعرةً ما انقطعت؛ قيل له: وكيف ذلك؟ قال:
كنت إذا جذبوها أرخيتها وإذا أرخوها جذبتها.
وقال المأمون: أسوس الملوك من ساس نفسه لرعيته، فأسقط مواقع حجتها عنه وقطع
مواقع حجته عنها.
وأما ما قيل في الحزم والعزم وانتهاز الفرصة؛ قالت الحكماء: أحزم الملوك من هزم جده
هزله، وغلب رأيه هواه، وأعرب عن ضميره فعله، ولم يختدعه رضاه عن سخطه، ولا
غضبه عن كيده.
وقيل لبعضهم: ما الحزم؟ فقال: التفكر في العواقب.

وقال عبد الملك بن مروان لابنه الوليد: يا بني، اعلم أنه ليس بين السلطان وبين أن يملك
الرعية أو تملكه الرعية إلا حزمٌ أو توان.
وقالوا: ينبغي للعاقل ألا يستصغر شيئاً من الخطأ والزلل، فإن من استصغر الصغير يوشك
أن يقع في الكبير، فقد رأينا الملك يؤتى من العدو المحتقر، ورأينا الصحة تؤتى من الدواء
اليسير، ورأينا الأنهار تنبثق من الجداول الصغار.
وقال مسلمة بن عبد الملك: ما أخذت أمراً قط بحزمٍ فلمت نفسي فيه وإن كانت العاقبة
عليّ، ولا أخذ أمراً قط وضيعت الحزم فيه فحمدت نفسي وإن كانت العاقبة لي.
وقال عبد الملك لعمر بن عبد العزيز: ما العزيمة في الأمر؟ فقال: إصداره إذا أورد بالحزم؛
قال: وهل بينهما فرق؟ قال: نعم، أم سمعت قول الشاعر:
ليست تكون عزيمةٌ ما لم يكن معها من الحزم المشيّد رافد
وقيل لملك سلب ملكه: ما الذي سلب ملكك؟ فقال: دفع شغل اليوم إلى الغد والتماس
عدّة بتضييع عدد، واستكفاء كل مخدوعٍ عن عقله.
والمخدوع عن عقله: من بلغ قدراً لا يستحقه أو أثيب ثواباً لا يستوجبه.
وفي كتب للهند: الحازم يحذر عدوّه على كل حال، يحذر المواثبة إن قرب، والمغارة إن بعد،
والكمين إن انكشف، والاستطراد إن ولّى.وقال صاحب كتاب كليلة ودمنة: إذا عرف
الملك أن رجلاً يساوى به في المنزلة والهمّة والمال واتّبع فليصرعه، فإن لم يفعل فهو
المصروع.
وقيل: من لم يقدّمه حزمه أخّره عجزه.
وقيل: من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ.
قال البحتري:
فتىً لم يضيّع وجه حزمٍ ولم يبت يلاحظ أعجاز الأمور تعقّبا
ومثله قول آخر:
وخير الأمر ما استقبلت منه وليس بأن تتّبعه اتّباعا
وقيل: من لم ينظر في العواقب فقد تعرض لحادثات النوائب.
قال الشاعر:
ومن ترك العواقب مهملاتٍ فأيسر سعيه أبداً تبار
وقال صاحب كتاب كليلة ودمنة: رأس الحزم للملك معرفته بأصحابه وإنزالهم منازلهم
واتهام بعضهم على بعض، فإنه إن وجد بعضهم إلى هلاك بعضٍ سبيلاً أو إلى تهجين بلاء

المبلين وإحسان المحسنين والتغطية على إساءة المسيئين، سارعوا إلى ذلك، واستحالوا
محاسن أمور المملكة، وهجّنوا محاسن رأيه؛ ولم يبرح منهم حاسد قد أفسد ناصحا،
وكاذب قد اتهم أمينا، ومحتالٌ قد أغضب بريئا.
وليس ينبغي للملك أن يفسد أهل الثقة في نفسه بغير أمرٍ يعرفه، بل ينبغي في فضل حلمه
وبسطة علمه الحيطة على رأيه فيهم، والمحاماة على حرمتهم وذمامهم، وألا يرتاح إلى
إفسادهم، فلم يزل جهّال الناس يحسدون علماءهم، وجبناؤهم شجعانهم، ولئامهم
كرماءهم، وفجّارهم أبرارهم، وشرارهم خيارهم.
وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: انتهزوا هذه الفرص فإنها تمرّ مرّ السحاب، ولا
تطلبوا أثرا بعد عين.
وكتب يزيد بن الوليد إلى مروان بن محمد، وقد بلغه عنه تلكؤ في بيعته: أما بعد فإني أراك
تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، فإذا أتاك كتابي فاعتمد أيهما شئت والسلام.
وكتب بد الله بن طاهر الخراسانيّ إلى الحسن بن عمر التغلبي: أما بعد، فإنه بلغني من قطع
الفسقة الطريق ما بلغني، فلا الطريق تحمي، ولا اللصوص تكفي، ولا الرعية ترضي، وتطمع
بعد هذا في الزيادة! إنك لمنفسح الأمل! وايم الله لتكفينّ من قبلك أو لأوجهنّ إليك رجالاً
لا تعرف مرّة من جشم، ولا عدياً من رهم. ولا حول ولا قوة إلا بالله.
وكتب الحجاج بن يوسف إلى قتيبة بن مسلمٍ والي خراسان: أما بعد، فإن وكيع بن
حسانٍ كان بالبصرة منه ما كان، ثم صار لصاً بسجستان، ثم صار إلى خراسان، فإذا
أتاك كتابي هذا فاهدم بناءه واحلل لواءه.
وكان على شرطة قتيبة فعزله وولى الضبيّ.
الحلم.
الحلم دفع السيئة بالحسنة.
وقيل: تجرع الغيظ،
وقيل: الحلم دعامة العقل، قال الله تعالى: "ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي
أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوةٌ كأنه وليٌّ حميمٌ وما يلقّاها إلا الذين صبروا وما يلقّاها
إلا ذو حظٍ عظيمٍ".
وقال علي رضي الله عنه: حلمك عن السفيه يكثر أنصارك عليه.

وقيل: ليس الحليم من إذا ظلم حلم حتى إذا قدر استنصر، ولكن الحليم من ظلم فإذا
قدر غفر.
وقيل: الحليم من لم يكن حلمه لفقد النصرة أو لعدم القدرة. وهو جوهر في الإنسان يصدر
عن صدر سالم من الغوائل والأذى، صافٍ من شوائب الكدر والقذى؛ لا يستطاع تعلماً،
ولا يدرك تفهماً وتبصراً؛ كما قال أبو الطيب:
وإذا الحلم لم يكن في طباع لم يحلّم تقادم الميلاد
ويدل على ذلك أنه غريزة في الإنسان.
وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأشجع عبد القيس: " يا أبا المنذر
إن فيك خصلتين يرضاهما الله ورسوله الحلم والأناة" فقال: يا رسول الله، أ شيء جبلني
الله عليه أم شيء اخترعته من قبل نفسي؟ قال: "بل شيء جبلك الله عليه"، قال: الحمد
لله الذي جبلني على خلق يرضاه الله ورسوله.
ومن الناس من يقول: إن الحلم ليس غريزة ولا طبيعة بل مكتسب مستفاد، تتمرن النفس
الأبية عليه، وتنقاد حباً في المحمدة إليه.
وقالوا: الحلم بالتحلم كما أن العلم بالتعلم؛ ويدل على ذلك ما حكي عن جعفر الصادق أنه
كان عنده عبد سيء الخلق، فقيل له: أما تأنف من مثل هذا عندك وأنت قادر على
الاستبدال به؟ فقال: إنما أتركه لأتعلم عليه الحلم.
ويحكى عنه أنه كان إذا أذنب إليه عبد أعتقه؛ فقيل له في ذلك؛ فقال: أريد بفعلي هذا
تعلم الحلم.
قال الشاعر:
وليس يتم الحلم للمرء راضياً إذا هو عند السخط لم يتحلم
كما لا يتم الجود للمرء موسراً إذا هو عند القتر لم يتحشم
وروي عن سري السقطي أنه قال: الحلم على خمسة أوجه: حلم غريزي، وهو هبة من
الله للعبد، يعفو عمن ظلمه، ويصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويحسن لمن أساء إليه؛
وحلم تحالم، يكظم غيظه رجاء الثواب وفي القلب كراهية؛ وحلم كبر، لا يرى المسيء أهلاً
أن يجاريه، وحلم مذموم، رياء وسمعة وهو حاقد ساكت يرائي به جلساءه، وحلم مهانة
وذلة وعجز وضعف نفس وصغر همة.
وقال أبو الهلال العسكري: أجمع كلمةٍ سمعناها في الحلم ما سمعت عم أبي يقول: الحلم

ذليل عزيز؛ وذلك أن صورة الحليم صورة الذليل الذي لا انتصار له، واحتمال السفيه
والتغافل عنه في ظاهر الحال ذل وإن لم يكن به.
وقيل: "الحليم مطية الجهول"؛ لاحتماله جهله وتركه الانتصاف منه. وقال الأول البيتين وقد
تقدما.
ولهذا قال شيخ من الأعراب وقد قيل له: ما الحلم؟ فقال: الذي تصبر عليه.
وقال: الحلم عقال الشر، وذلك أن من سمع مكروهة فسكت عنها انقطعت عنه أسبابها،
وإن أجاب اتصلت بأمثالها.
وقالوا: الحلم والأناة توءمان ينتجهما علو الهمة.
ومن كلام النبوة: "كاد الحليم أن يكون نبياً".
ورأى حكيمٌ رقة من ملك فقال: أيها الملك! ليس التاج الذي يفتخر به عظماء الملوك فضةً
ولا ذهباً، ولكنه الوقار المكلل بجواهر الحلم، وأحق الملوك بالبسطة، من حلم عند ظهور
السقطة.
وقال معاوية لابنه يزيد: عليك بالحلم والاحتمال حتى تمكنك الفرصة، فإذا أمكنتك
فعليك بالصفح، فإنه يدفع عنك معضلات الأمور، ويقيك مصارع المحذور.
وقال أيضاً: أفضل ما أعطي الرجل الحلم.
وقال: ما وجدت لذة هي عندي ألذ من غيظ أتجرعه وسفهٍ بحلم أقمعه.
وقالوا: الحلم مطية وطيئة تبلغ راكبها قاصية المجد، وتملكه ناصية الحمد.
وقال أبو هلال: ومن أشرف نعوت الإنسان أن يدعى حليماً، لأنه لا يدعاه حتى يكون
عاقلاً وعالماً ومصطبراً محتسباً وعفواً وصافحاً ومحتملاً وكاظماً. وهذه شرائف الأخلاق
وكرائم السجايا والخصال.
من اشتهر بالحلم واتصف به
كان ممن اشتهر بالحلم الأحنف بن قيس. قيل له: ممن تعلمت الحلم؟ قال: من قيس بن
عاصم المنقري، رأيته قاعداً بفناء داره محتبياً بحمائل سيفه يحدث قومه، حتى أتي
بمكتوف ورجلٍ مقتول، فقيل له: هذا ابن أخيك قتل ابنك؛ قال: فوالله ما حلّ حبوته ولا
قطع كلامه، ثم التفت إلى ابن أخيه فقال: يا بن أخي أثمت بربك، ورميت نفسك بسهمك،

وقتلت ابن عمك؛ ثم قال لابن له آخر: قم يا بني فواري أخاك
وحل كتاف ابن عمك وسق
إلى أمك مائة ناقة ديّة ابنها فإنها غريبة.
وقد ساق أبو هلال هذه القصة بسند وزاد فيها زيادة حسنة
نذكرها، فقال: إن قيس بن
عاصم لما فرغ من حديثه التفت إلى بعض بنيه، فقال: قم إلى
ابن عمك فأطلقه، وإلى
أخيك فادفنه.
فبدأ بإطلاق القاتل قبل دفن المقتول.
وقال في خبره: ثم اتكأ على شقه الأيسر وقال:
إني امرؤ لا يعتري خلقي   دنس يفنده ولا أفن
من منقرٍ في بيت مكرمةٍ   والفرع ينبت فوقه الغصن
خطباء حين يقول قائلهم   بيض الوجوه مصاقعٌ لسن
لا يفطنون لعيب جارهم   وهمو لحفظ جواره فطن
وقيل: قتل للأحنف بن قيس ولد وكان الذي قتله أخ للأحنف،
فجيء به مكتوفاً ليقيده؛
فلما رآه الأحنف بكى، وأنشد:
أقول للنفس تأساءً وتعزيةً   إحدى يدي أصابتني ولم ترد
كلاهما خلفٌ من فقد صاحبه   هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي
وممن اشتهر بالحلم معاوية بن أبي سفيان.
حكي أن رجلاً خاطر رجلاً أن يقوم إلى معاوية إذا سجد فيضع
يده على كفله ويقول:
سبحان الله يا أمير المؤمنين! ما أشبه عجيزتك بعجيزة أمك هند!
ففعل ذلك؛ فلما انفتل
معاوية عن صلاته قال له: يا أخي، إن أبا سفيان كان محتاجاً إلى
ذلك منها؛ فخذ ما
جعلوه لك. فأخذه؛ ثم خاطره آخر بعد ذلك أن يقوم إلى زياد وهو
في الخطبة فيقول: أيها
الأمير، من أمك، ففعل؛ فقال زياد: هذا يخبرك، وأشار إلى
صاحب الشرطة، فقدمه
وضرب عنقه؛ فلما بلغ ذلك معاوية قال: ما قتله غيري، ولو
أدبته على الأولى ما عاد إلى
الثانية.
قيل: ودخل خريم الناعم على معاوية بن أبي سفيان فنظر
معاوية إلى ساقيه، فقال: أي
ساقين! لو أنهما على جارية! فقال له خريم: في مثل عجيزتك
يا أمير المؤمنين؛ فقال:
واحدةٌ بواحدة والبادئ أظلم.
وقيل: خاطر رجل على أن يقوم إلى عمرو بن العاص وهو في
الخطبة فيقول له: أيها الأمير،
من أمك؛ ففعل؛ فقال عمرو: النابغة بنت عبد الله أصابتها رماح
العرب فبيعت بعكاظ؛

فاشتراها عبد الله بن جدعان فوهبها للعاصي بن وائل فولدت له فأنجبت، فإن كانوا
جعلوا لك شيئاً فخذه.
وقيل: أسمع رجل عمر بن عبد العزيز بعض ما يكره؛ فقال: لا عليك، إنما أردت أن
يستفزني الشيطان بعز السلطان فأنال منك اليوم ما تناله مني غداً، انصرف إذا شئت.
حكى صاحب العقد عن ابن عائشة أن رجلاً من أهل الشام دخل المدينة، قال: فرأيت
رجلاً راكباً على بغلة لم أر أحسن وجهاً ولا سمتاً ولا ثوباً ولا دابةً منه، قال: فمال قلبي
إليه، فسألت عنه، فقيل: هذا الحسن بن علي بن أبي طالب، فامتلأ قلبي بغضاً له
وحسدت علياً أن يكون له ولدٌ مثله، فصرت إليه فقلت: أنت ابن أبي طالب؟ قال: أنا ابن
ابنه، قلت: قلت فيك وفي أبيك أشتمهما، فلما انقضى كلامي، قال: أحسبك غريباً؛ فقلت:
أجل؛ قال: فإن احتجت إلى منزل أنزلناك أو إلى مالٍ آسيناك أو إلى حاجةٍ عاوناك؛
فانصرفت وما على الأرض أحب إلي منه.
حدّث زياد عن مالك بن أنس قال: بعث إليّ أبو جعفر المنصور وإلى ابن طاوس؛ فأتينا
فدخلنا عليه، فإذا هو جالس على فرش قد نضدت، وبين يديه أنطاعٌ قد بسطت، وجلاوزة
بأيديهم السيوف يضربون بها الأعناق، فأومأ إلينا أن اجلسا فجلسنا، ثم أطرق عنا طويلاً،
ثم رفع رأسه والتفت إلى ابن طاوس فقال: حدثني عن أبيك؛ قال: نعم، سمعت أبي يقول:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أن أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة رجلٌ أشركه الله في
حكمه فأدخل عليه الجور في عدله"؛ فأمسك ساعة؛ قال مالك: فضممت ثيابي من ثيابه
مخافة أن يملأني من دمه؛ ثم التفت إليه أبو جعفر فقال: عظني يا بن طاوس؛ قال: نعم يا
أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول: "ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق
مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد
فأكثروا فيها الفساد فصبّ عليهم ربك سوط عذابٍ إنّ ربك لبالمرصاد"؛ قال مالك:
فضممت ثيابي من ثيابه مخافة أن يملأني دمه؛ فأمسك ساعة حتى اسوّد ما بيننا وبينه،

ثم قال: يا بن طاوس ناولني هذه الدواة؛ فأمسك؛ فقال: ما يمنعك أن تناولنيها؟ قال:
أخشى أن تكتب بها معصيةٍ لله فأكون شريكك فيها؛ فلما سمع ذلك قال: قوما عني؛ فقال
ابن طاوس: ذلك ما كنا نبغي منذ اليوم.
قال مالك: فمازلت أعرف لابن طاوس فضله.
وقيل: دخل الحارث بن مسكين على المأمون فسأله عن مسألة؛ فقال: أقول فيها كما قال
مالك بن أنس لأبيك الرشيد؛ وذكر قوله فلم يعجب المأمون، فقال: لقد تتيست فيها وتتيس
مالك؛ فقال الحارث بن مسكين: فالسامع يا أمير المؤمنين من التيسين أتيس؛ فتغير وجه
المأمون، وقام الحارث وندم على ما كان منه؛ فلم يستقر في منزله حتى أتاه رسول المأمون،
فأيقن بالشر ولبس ثياب أكفانه، ثم أقبل حتى دخل عليه، فقربه المأمون من نفسه، ثم أقبل
عليه بوجهه وقال له: يا هذا، إن الله تبارك وتعالى قد أمر من هو خيرٌ منك بالإنة القول لمن
هو شرٌ مني، قال لنبيه موسى صلى الله عليه وسلم إذ أرسله إلى فرعون: "فقولا له قولاً
ليناً لعله يتذكر أو يخشى"؛ فقال الحارث بن مسكين: يا أمير المؤمنين، أبوء بالذنب وأستغفر
الرب؛ فقال: عفا الله عنك، انصرف إذا شئت.
وقد مدح الشعراء ذوي الحلم، فمن ذلك قول بعضهم:
لن يدرك المجد أقوامٌ وإن كرموا حتى يذلوا - وإن عزّوا - لأقوام
ويشتموا فترى الألوان مسفرةً لا ذل عجزٍ ولكن ذل أحلام
وقال آخر:
لقد أسمع القول الذي هو كلّما تذكرنيه النفس قلبي يصدع
فأبدي لمن أبداه مني بشاشةً كأني مسرورٌ بما منه أسمع
وما ذاك من عجزٍ به غير أنني أرى أن ترك الشر للشر أدفع
وقال مهيار:
وإذا الإباء المر قال لك: انتقم قالت خلائقك الكرام: بل احلم
شرعٌ من العفو انفردت بدينه وفضيلةٌ لسواك لم تتقدّم
حتى لقد ودّ البريء لو أنه أدلى إليك بفضل جاه المجرم
وقال آخر:
فدهره يصفح عن قدرةٍ ويغفر الذنب على علمه
كأنه يأنف من أن يرى ذنب امرئ أعظم من حلمه
وقال محمود الوراق:
إني وهبت لظالمي ظلمي وغفرت زلته على علمي
ورأيته أسدى إلي يداً لما أبان بجهله حلمي

فكأنما الإحسان كان له   وأنا المسيء إليه في الحكم
مازال يظلمني وأرحمه   حتى بكيت له من الظلم
وقال آخر:
وذي رحمٍ قلمت أظفار ضغنه   بحلمي عنه حين ليس له حلم
إذا سمته وصل القرابة سامني   قطيعتها، تلك السفاهة والإثم
فداويته بالحلم، والمرء قادرٌ   على سهمه ما كان في كفه السهم
لأستلّ منه الضغن حتى سللته   وإن كان ذا ضغنٍ يضيق به الحزم
وقد كره بعضهم الحلم في كل الأمور، فمن ذلك ما أنشد المبرد:
أبا حسنٍ ما أقبح الجهل بالفتى   وللحلم أحياناً من الجهل أقبح
إذا كان حلم المرء عون عدوه   عليه فإن الجهل أعفى وأروح
وقال آخر:
ترفعت عن شتم العشيرة إنني   رأيت أبي قد عف عن شتمهم قبلي
حليمٌ إذا ما الحلم كان جلالة   وأجهل أحياناً إذا التمسوا جهلي
وقال آخر:
"إذا الحلم لم ينفعك فالجهل أحزم"
وقال الأحنف: آفة الحلم الذل.
وقال: لا حلم لمن لا سفيه له.
وقال: ما قلّ سفهاء قومٍ إلا ذلوا.
وقال النابغة الجعدي:
ولا خير في حلم إذا لم تكن له   بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في جهلٍ إذا لم يكن له   حليمٌ إذا ما أورد الأمر أصدرا
ولما أنشد هذين البيتين النبي صلى الله عليه وسلم قال:
"أجدت لا يفضض الله فاك"؛
قال: فعاش مائةً وثلاثين سنة لم تنفض له ثنية.
وقال كعب بن زهير:
إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا   أصبت حليماً أو أصابك جاهل
العفو.
قال الله تعالى: "وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفورٌ رحيمٌ".
وقال تعالى: "فمن عفا وأصلح فأجره على الله".
وقال تعالى: "والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين".
وقال تعالى: "وأن تعفو أقرب للتقوى".
وقال تعالى: "فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره".
وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: "خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن

الجاهلين".
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن العفو لا يزيد العبد إلا عزا فاعفوا يعزكم الله".
وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلق في صعيدٍ واحد
حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر ينادي منادٍ من تحت العرش ألا من كان له على الله
حقٌّ فليقم فلا يقوم إلا من عفا عن مجرم".
وفي لفظ: "ينادي منادٍ يوم القيامة ألا من كان له أجراً على الله فليقم، فيقوم العافون عن
الناس".
وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما من إمامٍ عفا بعد قدرة إلا قيل له يوم القيامة
ادخل الجنة بغير حساب".
وقال معاذ بن جبل: لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قال لي: "يا معاذ
مازال جبريل يوصيني بالعفو فلولا علمي بالله لظننت أنه يوصيني بترك الحدود".
وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من عفا عن مظلمةٍ صغيرةٍ أو كبيرةٍ فأجره على الله
ومن كان أجره على الله فهو من المقربين يوم القيامة".
وعن عليّ بن الحسين أنه قال: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: ليقم أهل الفضل فيقوم ناس،
فيقال لهم: انطلقوا إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة وهم سائرون فيقولون لهم: أين تريدون؟
فيقولون: الجنة؛ فيقولون لهم: قبل الحساب؟ فيقولون: نعم؛ فيقولون: من أنتم؟ فيقولون:
نحن أهل الفضل؛ فيقولون: وما فضلكم؟ فيقولون: كنا إذا جهل علينا حلمنا، وإذا ظلمنا
صبرنا، وإذا أسيء إلينا عفونا؛ فيقولون: يحق لكم أن تكونوا من أهل الجنة فنعم أجر
العاملين.
وقيل لأبي الدرداء: من أعز الناس؟ فقال: الذين يعفون إذا قدروا؛ فاعفوا يعزكم الله
تعالى.
قيل: حد العفو ترك المكافأة عند القدرة قولاً وفعلاً.
وقيل: هو السكون عند الأحوال المهيجة للانتقام.
قال الأحنف: إياك وحميّة الأوغاد؛ قيل: وما هي؟ قال: يرون العفو مغرماً والتحمل
مغنماً.
وقيل لبعضهم: هل لك في الإنصاف، أو ما هو خير من الإنصاف؟ فقال: وما هو خير من

الإنصاف؟ فقال: العفو.
وقيل: العفو زكاة النفس.
وقيل: لذة العفو أطيب من لذة التشفي؛ لأن لذة العفو يلحقها حمد العاقبة، ولذة التشفي
يلحقها ذم الندم.
وقيل للإسكندر: أي شيء أنت أسرّ به مما ملكت؟ فقال: مكافأة من أحسن إليّ بأكثر
من إحسانه، وعفوي عمّن أساء بعد قدرتي عليه.
قال أشجع:
يعفو عن الذنب العظيم   وليس يعجزه انتصاره
صفحاً عن الجاني عليه وليس حاط به اقتداره
وقال المتنبي:
فتىً لا تسلب القتلى يداه   ويسلب عفوه الأسرى الوثاقا
وقال قابوس وشمكير: العفو عن المذنب من واجبات الكرم.
وقالوا: العفو يزين حالات من قدر، كما يزين الحلي قبيحات الصور.
وقال المنصور لولده المهدي: لذة العفو أطيب من لذة التشفي، وقد تقدم ذكر الدليل. وقال
الشاعر:
لذة العفو إن نظرت بعين العدل   أشفى من لذة الانتقام
هذه تكسب المحامد والأجر   وهذي تجيء بالآثام
قال عمر بن حبيب العدويّ: كنت في وفد أهل البصرة لما قدموا على المنصور يسألونه أن
يوليّ عليهم قاضياً، فبينا نحن عنده إذ جيء برجل مصفد بالحديد، يده مغلولة في عنقه،
فوقف
بين يديه فساءله طويلاً، ثم بسط له نطع وأمر بضرب عنقه، والرجل يحلف وهو يكذّبه، ولم
يتكلم أحدٌ من الجمع، فقمت وكنت أحدثهم سنّاً فقلت: يا أمير المؤمنين؛ أتاذن لي في
الكلام؟ فقال: قل؛ قلت: يروى عن ابن عمك رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:"من
اعتذر إليه أخوه المسلم فلم يقبل لم يرد على الحوض"وقد اعتذر إليك فاقبل منه عذره؛
فقال: يا غلام اضرب عنقه؛ قلت: إن أباك حدثني عن جدك عن ابن عباس أنه قال: قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من تحت العرش ليقم كل
من كان له عند الله يدٌ فلا يقوم إلا من عفا عن أخيه المسلم"، فقال: آالله أبي حدثك؟
فقلت: آالله إن أباك حدثني عن جدك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم؛

فقال أبو جعفر: صدق، حدثني أبي عن جدي عن ابن عباس بهذا؛ فقال: يا غلام خلّ له
السبيل، وأمر له بجائزة وولاني قضاء البصرة.
وقيل أتي المأمون برجل يريد أن يقتله وعلي بن موسى الرضا جالس، فقال: ما تقول يا أبا
الحسن؟ فقال: أقول: إن الله تعالى لا يزيدك بحسن العفو إلا عزاً؛ فعفا عنه. وكان المأمون
مؤثراً للعفو كأنه غريزة له؛ وهو الذي يقول: لقد حبب إلي العفو حتى إني أظن أني لا أثاب
عليه.
وأحضر إلى المأمون رجل قد أذنب، فقال له المأمون: أنت الذي فعلت كذا وكذا؟ قال:
نعم يا أمير المؤمنين، أنا الذي أسرف على نفسه واتكل على عفوك؛ فعفا عنه.
قال: ولما ظفر المأمون بإبراهيم بن المهدي أمر بإدخاله عليه، فلما مثل بين يديه قال: وليّ
الثأر محكم في القصاص، والعفو أقرب للتقوى، والقدرة تذهب الحفيظة، ومن مد له
الاعتذار في الأمل هجمت به الأناة على التلف، وقد جعل الله كل ذنب دون عفوك، فإن
صفحت فبكرمك، وإن أخذت فبحقك؛ قال المأمون: إني شاورت أبا إسحاق والعباس في
قتلك فأشارا علي به؛ قال: أما أن يكونا قد نصحاك في عظم قدر الملك ولما جرت عليه
السياسة فقد فعلا، ولكن أبيت أن تستجلب النصر إلا من حيث عودك الله، ثم استعبر
باكياً؛ فقال له المأمون: ما يبكيك؟ قال: جذلاً إذ كان ذنبي إلى من هذه صفته، ثم قال: إنه
وإن كان جرمي بلغ سفك دمي فحلم أمير المؤمنين وفضله يبلغاني عفوه، ولي بعد هذا
شفعة الإقرار بالذنب وحرمة الأب بعد الأب؛ قال المأمون: لو لم يكن في حق نسبك ما يبلغ
الصفح عن جرمك لبلغك إليه حسن تنصلك.
فكان تصويب إبراهيم لرأي أبي إسحاق والعباس ألطف في طلب الرضا ودفع المكروه عن
نفسه من تخطئتهما.
ثم قال المأمون لإسحاق بن العباس: لا تحسبني أغفلت إجلابك مع ابن المهدي وتأييدك
لرأيه وإيقادك لناره؛ فقال: والله لإجرام قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من
جرمي إليك، ولرحمي أمس من أرحامهم، وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

كما قال يوسف لإخوته" لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين"، وأنت يا
أمير المؤمنين أحق وارث لهذه المنة ومتمثلٍ بها؛ قال: هيهات! تلك أجرام جاهلية عفا
عنها الإسلام، وجرمك جرمٌ في إسلامك في دار خلافتك؛ قال يا أمير المؤمنين: فوالله
للمسلم أحق بإقالة العثرة وغفران الذنب من الكافر، هذا كتاب الله بيني وبينك، يقول الله
تعالى:"وسارعوا إلى مغفرةٍ من ربكم" الآية إلى"والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله
يحب المحسنين"، فهي للناس يا أمير المؤمنين سنة دخل فيها المسلم والكافر والشريف
والمشروف؛ قال: صدقت، اجلس وريت بك زنادي، وعفا عنه.
وقال أحمد بن أبي داود: ما رأيت رجلاً نزل به الموت فما شغله ذلك ولا أذهله عما كان
يجب أن يفعله إلا تميم ابن جميل، فإنه كان تغلب على شاطىء الفرات فظفر به، ووافى به
الرسول باب المعتصم في يوم الموكب في حين جلوسه للعامة فأدخل عليه، فلما مثل بين يديه
دعا بالنطع والسيف فأحضرا، وجعل تميم بن جميل يصعد النظر إلى ذلك ولا يقول شيئاً،
وجعل المعتصم يصعد النظر فيه ويصوبه، وكان جسيماً وسيماً، فرأى أن يستنطقه لينظر
أين جنانه ولسانه من منظره، فقال: يا تميم، إن كان لك عذر فأت به أو حجةٌ فأدل بها،
فقال: أما إذ قد أذنت لي يا أمير المؤمنين بالكلام فإني أقول: الحمد لله الذي أحسن كل
شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين،"ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين"، يا أمير
المؤمنين جبر الله بك صدع الدين ولأم بك شعث الأمة وأخمد بك شهاب الباطل وأوضح
بك سراج الحق يا أمير المؤمنين، إن الذنوب تخرس الألسنة، وتصدع الأفئدة، ولقد عظمت
الجريرة وكبر الذنب وساء الظن، ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك، وأرجو أن يكون أقربهما
منك وأسرعهما إليك أولاهما بإمامتك وأشبههما بخلافتك، ثم أنشد:

أرى الموت بين السيف والنطع كامناً يلاحظني من حيثما أتلفت
وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي وأي امرئٍ مما قضى الله يفلت!

ومن ذا الذي يدلي بعذرٍ وحجةٍ   وسيف المنايا بين عينيه مصلت
يعز على أبناء تغلب موقفٌ   يسلّ على السيف فيه وأسكت
وما جزعي من أن أموت وإنني   لأعلم أن الموت شيء مؤقت
ولكن خلفي صبيةً قد تركتهم   وأكبادهم من حسرةٍ تتفت
كأني أراهم حين أنعي إليهم   وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا
فإن عشت عاشوا خافضين بغبطةٍ   أذود الردى عنهم وإن مت موتوا
وكم قائلٍ: لا يبعد الله داره   وآخر جذلانٍ يسر ويشمت
قال: فتبسم المعتصم وقال: كاد والله يا تميم أن يسبق السيف العذل! اذهب فقد غفرت
لك الهفوة وتركتك للصبية.
وحكي: أن عبد الملك بن مروان غضب على رجل فهرب منه، فلما ظفر به أمر بقتله؛
فقال له الرجل: إن الله قد فعل ما أحببت من الظفر فافعل ما يحبه من العفو، فإن الانتقام
عدل والتجاوز فضل، والله يحب المحسنين؛ فعفا عنه.
وحكي عن محمد بن حميد الطوسي أنه كان يوماً على غدائه مع جلسائه إذا بصيحة
عظيمة على باب داره، فرفع رأسه وقال لبعض غلمانه: ما هذه الضجة؟ من كان على
الباب فليدخل؛ فخرج الغلام ثم عاد إليه وقال: إن فلاناً أخذ وقد أوثق بالحديد والغلمان
ينتظرون أمرك فيه؛ فرفع يده من الطعام؛ فقال رجل من جلسائه: الحمد لله الذي أمكنك
من عدوك، فسبيله أن تسقي الأرض من دمه؛ وأشار كلٌ من جلسائه عليه بقتله على
صفة اختارها، وهو ساكت؛ ثم قال: يا غلام، فك عنه وثاقه ويدخل إلينا مكرماً، فأدخل
عليه رجل لا دمّ فيه؛ فلما رآه هش إليه ورفع مجلسه وأمر بتجديد الطعام، وبسطه بالكلام
ولقمه حتى انتهى الطعام، ثم أمر له بكسوة حسنة وصلة، وأمر برده إلى أهله مكرماً ولم
يعاتبه على جرم ولا جنايةٍ، ثم التفت إلى جلسائه وقال لهم: إن أفضل الأصحاب من حض
الصاحب على المكارم، ونهاه عن ارتكاب المآثم؛ وحسّن لصاحبه أن يجازي الإحسان
بضعفه، والإساءة بصفحه؛ إنا إذا جازينا من أساء إلينا بمثل ما أساء فأين موقع الشكر
على النعمة فيما أتيح من الظفر! إنه ينبغي لمن حضر مجالس الملوك أن يمسك إلا عن قولٍ

سديد وأمر رشيد، فإن ذاك أدوم للنعمة وأجمع للألفة؛ إن الله تعالى يقول: "يا أيها الذين
آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم".
وقيل: بعث بعض الملوك في رجلٍ وجد عليه فظفر به، فلما مثل بين يديه قال: أيها الأمير،
إن الغضب شيطانٌ فاستعذ بالله منه، وإنما خلق العفو للمذنب والتجاوز للمسيء، فلا
يضيق على ما يسع الرعية من حلمك وعفوك؛ فعفا عنه وأطلق سبيله.
وقال خالد بن عبد الله لسليمان بن عبد الملك حين وجد عليه: يا أمير المؤمنين، إن
القدرة تذهب الحفيظة، وأنت تجلّ عن العقوبة، ونحن مقرون بالذنب، فإن تعف عني فأهل
ذلك أنت، وإن تعاقبني فأهل ذلك أنا؛ فعفا عنه.
وقيل: أتي الحجاج بأسرى من الخوارج، فأمر بضرب أعناقهم فقتلوا، حتى قدم شاب منهم
فقال: والله يا حجاج إن كنا أسأنا في الذنب فما أحسمت في العفو؛ فقال الحجاج: أفاً لهذه
الجيف! أما كان فيهم من يقول مثل هذا! وأمسك عن القتل.
وأتي الحجاج بأسرى فأمر بقتلهم، فقال له رجل منهم: لا جزاك الله يا حجاج عن السنة
خيراً، فإن الله تعالى يقول: "فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم
فشدوا الوثاق فإما مناً بعد وإما فداءً"، فهذا قول الله تعالى في كتابه، وقال شاعركم فيما
وصف به قومه من مكارم الأخلاق:
وما نقتل الأسرى ولكن نفكهم   إذا أثقل الأعناق حمل القلائد
فقال الحجاج: ويحكم! أعجزتم أن تخبروني ما أخبرني به هذا المنافق! وأمسك عمن
بقي.
العقوبة والانتقام.
ومن الناس من يرجح عقوبة المذنب على ذنبه، ومقابلة المسيء بما يستحقه من نكاله
وضربه؛ ورأى أن العفو عن المجرم موجب لتكراره، والإحسان إلى المسيء مقتضٍ لإصراره،
وقال: إن طباع اللؤم التي حملته على ذلك لا ترتدع بالإحسان، ومرارة الذنب التي استحلاها
لا تغيرها حلاوة الغفران.
وأخذ في ذلك بالكتاب والحديث، وقابل على الذنب القديم بالعذاب الحديث؛ قال الله

تعالى: "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم".
وقال تعالى: "وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به".
وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل أبي عزة، لما كان يتعرض له من أذى رسول
الله صلى عليه وسلم، وصلب عقبة بن أبي معيطٍ يوم بدر إلى شجرة؛ فقال: يا رسول الله،
أنا من بين قريش! قال: "نعم"؛ قال: فمن للصبية؟ قال: "النار".
وقيل: إنه أول مصلوبٍ صلب في الإسلام.
وكان النضر بن الحارث بن كلدة شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ
أسيراً يوم بدر، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله، فقتل صبراً بيد علي بن أبي طالب.
وقال علي رضي الله عنه: الخير بالخير والبادئ أفضل، والشر بالشر والبادئ أظلم.
وقال: "رد الحجر من حيث جاءك" فالشر لا يدفع إلا بالشر؛ وأنشد:
لئن كنت محتاجاً إلى الحلم إنني إلى الجهل في بعض الأحايين أحوج
ولي فرسٌ للخير بالخير ملجمٌ ولي فرسٌ للشر بالشر مسرج
فمن رام تقويمي فإني مقوّمٌ ومن رام تعويجي فإني معوّج
وقال الجاحظ: من قابل الإساءة بالإحسان فقد خالف الله في تدبيره، وظن أن رحمة الله
دون رحمته، فإن الله تعالى يقول: "من يعمل سوءاً يجز به"، وقال: "وجزاء سيئةٍ سيئةٌ
مثلها"، وقال تعالى: "فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره".
وقال أكثم بن ضيفي: من تعمد الذنب فلا ترحمه دون العقوبة، فإن الأدب رفق، والرفق
يمن.
قال أبو الطيب المتنبي:
من الحلم أن تستعمل الجهل دونه إذا اتسعت في الحلم طرق المظالم
وقالوا: تواضع للمحسن إليك وإن كان عبداً حبشياً، وانتصف ممن أساء إليك وإن كان
حراً قرشياً.
وقال الشعبي: يعجبني الرجل إذا سيم هواناً دعته الأنفة إلى المكافأة وجزاء سيئةٍ سيئةٌ
مثلها.

ورفع كلامه إلى الحجاج بن يوسف الثقفي فقال: لله دره! أي رجلٍ بين جنبيه! وتمثل بقول
الشاعر:
ولا خير في عرض امرئ لا يصونه ولا خير في حلم امرئ ذل جانبه
وقال رجل لابن سيرين: إني وقعت فيك فاجعلني في حل؛ قال: ما أحب أن أحل لك ما
حرم الله عليك.
وقالوا: من ترك العقوبة أغرى بالذنب، ولولا السيف كثر الحيف.
قال الشاعر:
إذا المرء أولاك الهوان فأوله هواناً وإن كانت قريباً أواصره
وإن أنت لم تقدر على أن تهينه فدعه إلى اليوم الذي أنت قادره
وقارب إذا ما لم تكن لك حيلةٌ وصمم إذا أيقنت أنك عاقره
وقيل: استؤمر عبد الله بن طاهر بن الحسين في رجلين كانا في السجن، أحدهما ضعيف
والآخر عليل، فوقع: الضعيف يقوى والعليل يبرأ، فإن يكن في الحبس ممن يؤمن شره غيرهما
فليفرج عنه ودعهما في موضعهما، فإنه من أطلق مثلهما على الناس فهو شرٌ منهما
وشريكهما في فعلهما.
وكتب رجل إلى المأمون - وكان قد طال حبسه - : أغفلت يا أمير المؤمنين أمري،
وتناسيت ذكري، ولم تتأمل حجتي وعذري، وقد مل من صبري الصبر، ومسني في حبسك
الضر؛ فأجابه المأمون: ركوبك مطية الجهل، صيرك أهلاً للقتل، وبغيك عليّ وعلى نفسك
نقلك من سعة الدنيا إلى قبرٍ من قبور الأحياء، ومن جهل الشكر على المنن قل صبره على
المحن، فاصبر على عواقب هفواتك وموبقات زلاتك، على قدر صبرك على كثير جناياتك؛
فإن حصل في نفسك كفٌ عن معصيتي، وعزمٌ على طاعتي، وندمٌ على مخالفتي، فلن تعدم
مع ذلك جميلاً من بيتي والسلام.
وقيل لأعرابي: أ يسرك أن تدخل الجنة ولا تسيء إلى من أساء إليك؟ قال: بل يسرني أن
أدرك الثار وأدخل النار.
قال البحتري:
تذم الفتاة الرؤد شيمة بعلها إذا بات دون الثأر وهو ضجيعها
ويقال: إنما هو مالك وسيفك، فازرع بمالك من شكرك، واحصد بسيفك من كفرك.
قال الشاعر:

قط العدا قط اليراع وانتهز بظبا السيوف سوائم الأضغان
إن البيادق إن توسع خطوها أخذت إليك مآخذ الفرزان
وقالوا: العفو يفسد من اللئيم، بقدر ما يصلح من الكريم.
وقال معاوية ابن يزيد بن معاوية لأبيه: هل ذممت عاقبة حلم قط؟ قال: ما حلمت عن لئيم
وإن كان ولياً إلا أعقبني ندماً على ما فعلت.
قال بعض الشعراء:
متى تضع الكرامة من لئيم فإنك قد أسأت إلى الكرامة
وقالوا: جنّب كرامتك اللئام، فإنك إن أحسنت إليهم لم يشكروا، وإن أساءوا لم يشعروا.
ومن رسالة لأبي إسحاق الصابي في حق من نزع يده من الطاعة: وكان الذي أثمره الجهاد،
ودلّ عليه الارتياد؛ اليأس من صلاح هذه الطوائف الناشئة على اعتياد المعاصي
والاستئناس بالدواهي، والثقة بأن أودها لا يتقوم، وزيغها لا يتسدد، وخلائفها لا تنصرف
عما ضربت العادة عليه بسياجها، واستمرت به على اعوجاجها، إذا كانت العادة طبيعةً
ثانية، وسجية لازمة؛ كذلك زعمت الحكماء، وبرهنت عليه العلماء.
قال بعض الشعراء:
ما كل يومٍ ينال المرء ما طلبا ولا يسوغه المقدار ما وهبا
وأنصف الناس في كل المواطن من سقى الأعادي بالكأس التي شربا
وليس يظلمهم من بات يضربهم بحدّ سيفٍ به من قبلهم ضربا
فالعفو إلا عن الأعداء مكرمةٌ من قال غير الذي قد قلته كذبا
قتلت عمراً وتستبقي يزيد لقد رأيت رأياً يجرّ الويل والحربا
لا تقطعنّ ذنب الأفعى وتتركها إن كنت شهماً أتبع رأسها الذنبا
هم جردوا السيف فاجعلهم به جزراً هم أوقدوا النار فاجعلهم لها حطبا
ومنها:
لا عفو عن مثلهم في مثل ما طلبوا لكن ذلك كان الهلك والعطبا
علام تقبل منهم فديةً وهم لا فضةً قبلوا منا ولا ذهبا
الباب السابع
المشورة وإعمال الرأي
والاستبداد ومن يعتمد رأيه وذكر من كره أن يستشير.
ما قيل في المشورة وإعمال الرأي
قد أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة من هو دونه من أصحابه فقال

تعالى: "وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله"؛
ذهب المفسرون إلى أن الله تعالى
لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه لحاجةٍ منه
إلى رأيهم ولكن ليعلم ما في
المشاورة من البركة.
وقيل: أمره بذلك تألفاً لهم وتطييباً لنفوسهم.
وقيل: ليستنّ بذلك المسلمون.
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما ندم من
استشار ولا خاب من
استخار.
وقيل: الخطأ مع الاستشارة أحمد من الإصابة مع الاستبداد.
وقيل: من استشار فيما نزل به صديقه واستخار ربه واجتهد
رأيه، فقد قضى ما عليه،
وأمن من رجوع الملامة إليه؛ ويفعل الله في أمره ما يشاء.
وقيل: ما هلك امرؤ عن مشورة.
وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: نعم المؤازرة
المشاورة، وبئس الاستعداد
الاستبداد .
وقيل: الأحمق من قطعه العجب عن الاستشارة، والاستبداد عن
الاستخارة.
وقيل: لما همّت ثقيف بالارتداد بعد وفاة النبي صلى الله عليه
وسلم، استشاروا عثمان
بن أبي العاصي وكان مطاعاً فيهم؛ فقال: لا تكونوا آخر العرب
إسلاماً وأولهم ارتداداً؛
فنفعهم الله تعالى برأيه.
وقال العتبي لرجل من عبس: ما أكثر صوابكم! فقال: نحن ألف
رجل وفينا حازمٌ واحد،
فنحن نشاوره فكأنا ألف حازم.
وسئل بعض الحكماء: أي الأمور أشد تأييداً للعقل، وأيها أشد
إضراراً به؟ فقال: أشدها
تأييداً له ثلاثة أشياء: مشاورة العلماء، وتجربة الأمور، وحسن
التثبت؛ وأشدها إضراراً به
ثلاثة أشياء: الاستبداد، والتهاون، والعجلة.
وقال بعض الحكماء: إذا استبد الرجل برأيه عميت عليه المراشد.
وقال الفضل بن سهل: الرأي يسدّ ثلم السيف، والسيف لا يسد
ثلم الرأي.
وقالوا: من استغنى برأيه فقد خاطر بنفسه.
وقال بعض البلغاء: إذا أشكلت عليك الأمور، وتغير لك الجمهور،
فارجع إلى رأي
العقلاء، وافزع إلى استشارة العلماء؛ ولا تأنف من الاسترشاد،
ولا تستنكف من
الاستمداد؛ فلأن تسأل وتسلم خيرٌ من أن تستبد وتندم.

وقال حكيم لابنه: يا بنيّ، إن رأيك إذا احتجت إليه وجدته نائماً ووجدت هواك يقظان،
فإياك أن تستبد برأيك، فإنه حينئذ هواك.
ويقال: تعوذ من سكرات الاستبداد بصحوات الاستشارة، ومن عثرات البغي باستقالة
الاستخارة.
وقال ابن المقفع: لا يقذفنّ في روعك أنك إذا استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة إلى
رأي غيرك فتنقطع بذلك عن المشورة، فإنك لا تريد الفخر ولكن الانتفاع.
قال بشار:
إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن برأي نصيحٍ أو نصيحة حازم
ولا تحسب الشورى عليك غضاضةً فإن الخوافي رافدات القوادم
قال الأصمعي: قلت لبشار: إن الناس يعجبون من أبياتك في المشورة؛ فقال: يا أبا سعيد،
إن المشاور بين صوابٍ يفوز بثمرته، وخطأٍ يشارك في مكروهه؛ فقلت: أنت والله في قولك
أشعر منك في شعرك.
وهذان البيتان من قصيدة كان بشار بن برد قد كتب بها إلى إبراهيم بن عبد الله بن
الحسن يمدحه بها ويحرضه على أبي جعفر المنصور، فمات إبراهيم قبل وصول القصيدة
إليه، فخاف بشار من اشتهارها فقبلها وجعل التحريض على أبي مسلم الخراساني فقال:
أبا مسلمٍ ما طيب عيشٍ بدائم ولا سالمٌ عما قليلٍ بسالم
وإنما كان قال: " أبا جعفرٍ ما طيب عيشٍ بدائم".
قال فيها بعد هذين البيتين المقدمين:
وخلّ الهوينى للضعيف ولا تكن نؤوماً فإن الحزم ليس بنائم
وما خير كفٍ أمسك الغل أختها وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وحارب إذا لم تعط إلا ظلامةً شبا الحرب خيرٌ من قبول المظالم
وأدن على القربى المقرب نفسه ولا تشهد الشورى امرأً غير كاتم
فإنك لا تستطرد الهم بالمنى ولا تبلغ العليا بغير المكارم
إذا كنت فرداً هرك القوم مقبلاً وإن كنت أدنى لم تفز بالعزائم
وما قرع الأقوام مثل مشيعٍ أريبٍ ولا جلى العمى مثل عالم
وقال الهيثم: ما رأيت ابن شبرمة قط إلا وهو متهيئ كأنه يريد الركوب فذكر ذلك له وأنا
حاضر؛ فقال: إن الرجل لا يستجمع له رأيه حتى يجمع عليه ثيابه، ثم قال: أتى رجلٌ من

الحي فقال لدهقان: يا هذا ، إنه ربما انتشر علي أمري في الرأي فهل عندك مشورة؟ فقال:
تهيأ والبس ثيابك ثم اهمم بما تريد، فهو أجمع لرأيك، فليس من أحدٍ يفعل ذلك إلا اجتمع له
رأيه.
وقال أفلاطون: إذا استشارك عدوك فجرد له النصيحة، لأنه بالاستشارة قد خرج من
عداوتك إلى موالاتك.
وقيل: إذا أردت أن تعرف الرجل فشاوره، فإنك تقف من مشورته على جوره وعدله،
وحبه وبغضه، وخيره وشره.
وقيل: لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قريش في غزاة بدر نزل صلى الله عليه
وسلم أدنى ماء من مياه بدر، فقال له الحباب بن المنذر: يا رسول الله، أ رأيت هذا المنزل أ
منزلٌ أنزلكه الله عز وجل ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب
والمكيدة؟ قال: "بل هو الرأي والحرب والمكيدة"؛ فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس لك
بمنزل فارحل بالناس حتى نأتي أدنى ماء من مياه القوم فننزله، ثم نعور ما سواه من القلب،
ثم نبني عليه حوضاً فنملأه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربوا، فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم: "لقد أشرت بالرأي"، وفعل ما أشار به الحباب.
وقال بزرجمهر: أفره ما يكون من الدواب لا غنى به عن السوط، وأعقل ما يكون من
النساء لا غنى بها الزوج، وأدهى ما يكون من الرجال لا غنى به عن المشورة.
وقيل: كانت اليونان والفرس لا يجمعون وزراءهم على الأمر يستشيرون فيه، وإنما
يستشيرون الواحد منهم من غير أن يعلم الآخر به، لمعانٍ شتى: منها لئلا يقع بين المشاورين
منافسة تذهب أصالة الرأي وصحة النظر، لأن من طباع المشتركين في الأمر التنافس
والتغالب والطعن من بعضهم على بعض، وربما أشار أحدهم بالرأي الصواب وسبق إليه
فحسده الآخرون فتعقبوه بالإعراض والتأويل والتهجين وكدروه وأفسدوه.
ومنها أن في اجتماعهم على المشورة تعريض السر للإضاعة والشناعة والإذاعة؛ ولذلك
قالت الفرس: إنما يراد الاجتماع والكثرة والتناصر في الأمور التي يحتاج فيها إلى القوة، فأما

الآراء والأمور الغامضة فإن الاجتماع يفسدها ويولد فيها
التضاغن والتنافس.
من يعتمد على مشورته وبديهته،
ويعتضد بفكرته ورويته.
قال بعض الحكماء: عليك بمشورة من حلب أشطر دهره، ومرت
عليه ضروب خيره
وشره؛ وبلغ من العمر أشده، وأورت التجربة زنده.
وقيل: استشار زياد رجلاً؛ فقال الرجل: حق المستشار أن يكون
ذا عقل وافر، واختبارٍ
متظاهر، ولا أراني كذلك.
قال إبراهيم بن العباس:
يمضي الأمور على بديهته وتريه فكرته عواقبها
فيظل يصدرها ويوردها فيعم حاضرها وغائبها
وإذا الحروب علت بعثت لها رأياً تفل به كتائبها
رأياً إذا نبت السيوف مضى قدماً بها فسقى مضاربها
وقال آخر:
ألمعيٌ يرى بأول رأيٍ آخر الأمر من وراء المغيب
لا يروي ولا يقلب كفاً وأكف الرجال في تقليب
وقال آخر:
الألمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمع
وكانت العرب تحمد آراء الشيوخ لتقدمها في السن، ولأنها لا
تتبع حسناتها بالأذى والمن،
ولما مر عليها من التجارب التي عرفت بها عواقب الأمور، حتى
كأنها تنظرها عياناً، وطرأ
عليها من الحوادث التي أوضحت لها طريق الصواب وبينته تبياناً،
ولما منحته من أصالة
رأيها، واستفادته بجميل سعيها.
ولذلك قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: رأي الشيخ خيرٌ
من مشهد الغلام.
ومن أمثالهم: "زاحم بعودٍ أو دع".
وقال بعض الشعراء:
لئن فقدوا الشباب فرب عقلٍ أفادوه على مر الليالي
خبت نار الذكاء فأججوها بآراءٍ أحد من النصال
وقد عدل قوم عن ذلك، وسلكوا في خلافه أوضح الطرق وأنهج
المسالك؛ وقالوا: بل رأي
الشباب هو الرأي الصائب، وفهمهم الفهم الثاقب؛ ونجم
سعدهم الطالع، وسحاب جدهم
الهامع؛ وإن لهم من الفطنة أوفر نصيب، وإن سهم رأيهم
الرائش المصيب؛ وإن عقولهم
سليمةٌ من العوارض، وأذهانهم آخذةٌ بحظ وافر من الغوامض.
ولذلك قالت الحكماء: عليكم بآراء الأحداث ومشورة الشبان،
فإن لهم أذهاناً تفل

القواصل، وتحطم الذوابل.
وقالوا: آراء الشباب خضرة نضرة لم يهتصر غصنها هرم، ولا أذوى زهرتها قدم، ولا خبا
من ذكائها بطول المدة ضرم.
قال شاعر:
عليكم بآراء الشباب فإنها نتائج ما لم يبله قدم العهد
فروع ذكاءٍ تستمد من النهى بأنور في اللأواء من قمر السعد
وقال آخر:
رأيت العقل لم يكن انتهاباً ولم يقسم على عدد السنينا
ولو أن السنين تقسمته حوى الأباء أنصبة البنينا
وقال آخر:
أدركت ما فات الكهول من الحجا في عنفوان شبابك المستقبل
فإذا أمرت فلا يقال لك: اتئد وإذا قضيت فلا يقال لك: اعدل
من نهي عن مشاورته ومعاضدته
وأمر بالامتناع من مشايعته ومتابعته.
وقد كرهت العرب والحكماء مشاورة من اعترته الشواغل، وألمت به النوازل؛ مع وفور
عقله وحزمه، والتمسك بنصحه وفهمه.
قال قس بن ساعدة الأيادي لابنه: لا تشاور مشغولاً وإن كان حازماً، ولا جائعاً وإن كان
فهماً، ولا مذعوراً وإن كان ناصحاً، ولا مهموماً وإن كان عاقلاً، فالهم يعقل العقل فلا يتولد
منه رأيٌ ولا تصدق به روية.
وقال الأحنف بن قيس: لا تشاور الجائع حتى يشبع، ولا العطشان حتى يروى، ولا الأسير
حتى يطلق، ولا المقل حتى يجد، ولا الراغب حتى ينجح.
وقالوا: لا تشاور المعزول، فإن رأيه مفلول.
وقيل: لا تدخل في مشورتك بخيلاً فيقصر بفعلك، ولا جباناً فيخوفك، ولا حريصاً فيعدك
ما لا يرجى؛ فإن البخل والجبن والحرص طبيعةٌ واحدةٌ يجمعها سوء الظن بالله.
قال الشاعر:
وأنفع من شاورت من كان ناصحاً شفيقاً فأبصر بعدها من تشاور
وليس بشافيك الشفيق ورأيه عزيبٌ ولا ذو الرأي والصدر واغر
الأناة والروية.
كانت العرب تحمد الأناة في الرأي وإجالة الفكرة فيه وعدم التسرع.

وكان عبد الله بن وهب الراسبي يقول: إياي والرأي الفطير! وكان يستعيذ بالله من الرأي
الدبري؛ وهو الذي يسنح عند الفوت.
وأوصى إبراهيم بن هبيرة ولده فقال: لا تكن أول مشير؛ وإياك والرأي الفطير؛ ولا تشيرن
على مستبدٍ، فإن التماس موافقته لؤم والاستماع منه خيانةٌ.
وكان عامر بن الظرب حكيم العرب يقول: دعوا الرأي يغب حتى يختمر، وإياكم والرأي
الفطير! يريد الأناة في الرأي والتثبت فيه.
قال شاعر:
تأن وشاور فإن الأمو رمنها مضيءٌ ومستغمض
فرأيان أفضل من واحدٍ ورأي الثلاثة لا ينقض
وقال آخر:
الرأي كالليل مسودٌ جوانبه والليل لا ينجلي إلا بإصباح
فاضمم مصابيح آراء الرجال إلى مصباح رأيك تزدد ضوء مصباح
وقال المتنبي:
الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أولٌ وهي المحل الثاني
فإذا هما اجتمعا لنفسٍ حرةٍ بلغت من العلياء كل مكان
وقال طاهر بن الحسين:
اعمل صواباً تنل بالحزم مأثرةً فلن يذم لأهل الحزم تدبير
فإن هلكت برأيٍ أو ظفرت به فأنت عند ذوي الألباب معذور
وإن ظفرت على جهلٍ وفزت به قالوا: جهول أعانته المقادير
ومن أحسن ما قيل فيمن أشير عليه فلم يقبل، قول السبيع لأهل اليمامة بعد إيقاع خالد
بن الوليد بهم: يا بني حنيفة بعداً كما بعدت عادٌ وثمود، والله لقد أنبأتكم بالأمر قبل
وقوعه، كأني أسمع جرسه وأبصر غبّه، ولكنكم أبيتم النصيحة فاجتنيتم الندامة، وإني لما
رأيتكم تتهمون النصيح، وتسفهون الحليم، استشعرت منكم اليأس وخفت عليكم البلاء.
والله ما منعكم الله التوبة ولا أخذكم على غرة، ولقد أمهلكم حتى مل الواعظ وهرأ
الموعوظ، وكنتم كأنما يعنى بما أنتم فيه غيركم، فأصبحتم وفي أيديكم من تكذيبي التصديق
ومن نصحي الندامة، وأصبح في يدي من هلاككم البكاء ومن ذلكم الجزع، وأصبح ما
كان غير مردود، وما بقي غير مأمون.
الاستبداد وترك الاستشارة
ومن الناس من آثر الاستبداد برأيه وكره أن يستشير.

قال عبد الملك بن صالح: ما استشرت أحداً قط إلا تكبر علي وتصاغرت له، ودخلته
العزة ودخلتني الذلة.
فعليك بالاستبداد، فإن صاحبه جليلٌ في العيون مهيبٌ في الصدور.
واعلم أنك متى استشرت تضعض شأنك، ورجفت بك أركانك.
وما عز سلطان لم يغنه عقله عن عقول وزرائه، وآراء نصحائه. فإياك والمشورة وإن
ضاقت عليك المذاهب، واستبهمت لديك المسالك، وأنشد:

فما كل ذي نصح بمؤتيك نصحه ولا كل مؤتٍ نصحه بلبيب

وقال المهلب بن أبي صفرة: لو لم يكن بالاستبداد في الرأي إلا صون السر وتوفير العقل
لوجب التمسك به.
وقال بزرجمهر: أردت نصيحاً أثق به فما وجدت غير فكري، واستضأت بنور الشمس
والقمر فلم أستضئ بشيء أضوأ من نور قلبي.
وقال علي بن الحسين: الفكرة مرآة تري المؤمن سيئاته فيقلع عنها، وحسناته فيكثر منها،
فلا تقع مقرعة التقريع عليه، ولا تنظر عيون العواقب شزراً إليه.
ومازال المنصور يستشير أهل بيته حتى مدحه ابن هرمة بقوله:

يزرن امرأ لا يصلح القوم أمره ولا ينتجي الأدنين فيما يحاول

فاستوى جالساً وقال: أصبت والله! واستعاده، وما استشار بعدها.
قالوا: وعلى المستبد أن يتروى في رأيه، فكل رأيٍ لم تتمخض به الفكرة ليلةً فهو مولود لغير
تمامٍ.
قال شاعر:

إذا كنت ذا رأيٍ فكن ذا أناءةٍ فإن فساد الرأي أن تتعجلا
وما العجز إلا أن تشاور عاجزاً وما الحزم إلا أن تهم فتفعلا

قال بعض جلساء هارون الرشيد: أنا قتلت جعفر بن يحيى، وذلك أني رأيت الرشيد يوماً
وقد تنفس تنفساً منكراً فأنشدت إثر تنفسه:

واستبدت مرةً واحدةً إنما العاجز من لا يستبد

ومما مدح به ذو الرأي قول بعض الشعراء:

بصيرٌ بأعقاب الأمور كأنما يخاطبه من كل أمرٍ عواقبه
وأين مفر الحزم منه وإنما مرائي الأمور المشكلات تجاربه

وقال البحتري في سليمان بن عبد الله:

كأن آراءه والحزم يتبعها تريه كل خفيٍ وهو إعلان
ما غاب عن عينه فإن القلب يكلؤه وإن تنم عينه فالقلب يقظان

وقال أيضاً:
كأنه وزمام الدهر في يده يرى عواقب ما يأتي وما يذر
وقال آخر:
يرى العواقب في أثناء فكرته كأن أفكاره بالغيب كهان
وقال آخر:
بديهته وفكرته سواءٌ إذا ما نابه الخطب الخطير
وأحزم ما يكون الدهر يوماً إذا عجز المشاور والمشير
ومن الناس من كره أن يشير، فمنهم عبد الله بن المقفع؛ وذلك أن عبد الله ابن علي
استشاره فيما كان بينه وبين المنصور؛ فقال: لست أقود جيشاً، ولا أتقلد حرباً، ولا أشير
بسفك دم، وعثرة الحرب لا تستقال، وغيري أولى بالمشورة في هذا المكان.
واجتمع رؤساء بني سعد إلى أكثم بن صيفي يستشيرونه فيما دهمهم يوم الكلاب؛ فقال:
إن وهن الكبر قد فشا في بدني، وليس معي من حدة الذهن ما أبتدىء به الرأي، ولكن
اجتمعوا وقولوا، فإني إذا مر بي الصواب عرفته.
وسيأتي خبر كلامه في وقائع العرب؛ وإنما أوردناه في هذا الموضع لدخوله فيه والتئامه به،
ومناسبته له، لا على سبيل السهو والتكرار لغير فائدة.
الباب الثامن
حفظ الأسرار والإذن والحجاب
ما قيل في حفظ الأسرار
قال الله تعالى إخباراً عن نبيه يعقوب بن إسحاق حين أوصى يوسف ابنه عليهم
السلام:"يا بنيّ لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً".
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:" استعينوا على قضاء حوائجكم
بالكتمان".
وقالت الحكماء: صدرك أوسع لسرك.
وقالوا: سرك من دمك. يعنون أنه ربما كان في إفشاء السر سفك الدم.
وقالوا: أصبر الناس من صبر على كتمان سره، فلم يبده لصديق فيوشك أن يصير عدواً
فيذيعه.
وقالوا: ما كنت كاتمه عن عدوك فلا تظهر عليه صديقك.
وقال عمرو بن العاص: ما استودعت رجلاً سراً فأفشاه فلمته، لأني كنت أضيق صدراً
حين استودعته منه حين أفشاه.
قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الفقيه:
إذا كان لي سرٌ فحدثته العدا وضاق بي صدري فللناس أعذر

هو السر ما استودعته وكتمته وليس بسرٍ حين يفشو ويظهر
وقال آخر:
فلا تودعن الدهر سرك أحمقاً فإنك إن أودعته منه أحمق
إذا ضاق صدر المرء عن كتم سره فصدر الذي يستودع السر أضيق
وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج:
لا تفش سرك إلا إليك فإن لكل نصيح نصيحاً
فإني رأيت غواة الرجا ل لا يتركون أديماً صحيحاً
وقال الوليد بن عتبة لأبيه: إن أمير المؤمنين أسر إلي حديثاً ولا أراه يطوي عنك ما يبسطه
لغيرك أفلا أخبرك به؟ فقال: لا!، يا بني إنه من كتم سراً كان الخيار له، ومن أظهره كان
الخيار عليه، فلا تكن مملوكاً بعد أن كنت مالكاً.
وفي كتاب التاج: أن بعض ملوك العجم استشار وزيريه، فقال أحدهما: إنه لا ينبغي للملك
أن يستشير منا أحداً إلا خالياً به، فإنه أموت للسر وأحزم للرأي وأجدر بالسلامة وأعفى
لبعضنا من غائلة بعض؛ فإن إفشاء السر إلى رجل واحد أوثق من إفشائه إلى اثنين،
وإفشاؤه إلى ثلاثة كإفشائه إلى جماعة؛ لأن الواحد رهنٌ بما أفشي إليه، والثاني مطلقٌ عنه
ذلك الرهن، والثالث علاوةٌ فيه، فإذا كان السر عند واحد كان أحرى ألا يظهره رهبةً
ورغبة.
وإن كان عند اثنين كان الملك على شبهة، واتسعت على الرجلين المعاريض.
فإن عاقبهما عاقب اثنين بذنب واحدٍ، وإن اتهمهما اتهم بريئاً بجناية مجرم.
وإن عفا عنهما كان العفو عن أحدهما ولا ذنب له، وعن الآخر ولا حجة عليه.
وقال علي رضي الله عنه: الظفر بالحزم، والحزم بأصالة الرأي، والرأي بتحصين السر.
وقيل: من حصن سره فله من تحصينه إياه خلتان: إما الظفر بما يريد، وإما السلامة من
العيب والضرر إن أخطأه الظفر.
وقيل: كلما كثر خزان السر ازداد ضياعاً.
ويقال: إذا انتهى السر من الجنان إلى عذبة اللسان، فالإذاعة مستوليةٌ عليه.
وقال عمرو بن العاص: القلوب أوعيةٌ للأسرار، والشفاه أقفالها، والألسن مفاتيحها،
فليحفظ كل امرئٍ مفتاح سره.
قال شاعر:

صن السر عن كل مستخبرٍ وحاذر فما الحزم إلا الحذر
أسيرك سرك إن صنته وأنت أسيرٌ له إن ظهر
وكان يقال: الكاتم سره بين إحدى فضيلتين: الظفر بحاجته، والسلامة من شر إذاعته.
ويقال: أصبر الناس من صبر على كتمان سره.
وقال آخر: كتمانك سرك يعقبك السلامة، وإفشاؤه يعقبك الندامة، والصبر على كتمان
السر أيسر من الندامة على إفشائه.
قال شاعر:
إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها فسرك عند الناس أفشى وأضيع
وقال آخر:
تبوح بسرك ضيقاً به وتحسب كل أخٍ يكتم
وكتمانك السر ممن تخاف ومن لا تخافنّه أحزم
إذا ذاع سرك من مخبرٍ فأنت متى لمته ألوم
وكان يقال: لا تظهر كوامن صدرك بإذاعة سرك، فيمكر بك حاسدك، ويظهر عليك
معاندك.
قال عمر بن أبي ربيعة:
فقالت وأرخت جانب الستر إنما معي فتحدث غير ذي رقبةٍ أهلي
فقلت لها ما بي لهم من ترقبٍ ولكن سري ليس يحمله مثلي
ومما قيل في استراحة الرجل بمكنون سره إلى صديقه،قال الله تعالى:"لكل نبأٍ مستقرٌ".
وقالت الحكماء: لكل سرٍ مستودعٌ.
قال بعض الشعراء:
وأبثثت عمراً بعض ما في جوانحي وجرعته من مر ما أتجرع
فلا بد من شكوى إلى ذي حفيظةٍ إذا جعلت أسرار نفسي تطلع
وقال حبيب:
شكوت وما الشكوى لمثلي عادة ولكن تفيض الكأس عند امتلائها
وقال أبو الحسن بن محمد البصري:
تعب الهوى بمعالمي ورسومي ودفنت حياً تحت ردم همومي
وشكوت همي حين ضقت، ومن شكا هماً يضيق به فغير ملوم
مما وصف به كتمان السر
قيل: أسر رجلٌ إلى صديق له حديثاً، فلما استقصاه قال: أفهمت؟ قال: بل نسيت.

وقيل لآخر: كيف كتمانك للسر؟ فقال: أجحد المخبر، وأحلف للمستخبر.
ومن جيد ما قيل في كتمان السر قول الأول:
تلاقت حيازيمي على قلب حازمٍ كتومٍ لما ضمت عليه أضالعه
أؤاخي رجالاً لست أطلع بعضهم على سر بعضٍ، إن قلبي واسعه
قال قيس بن الخطيم:
إذا جاوز الاثنين سرٌ فإنه بنثٍّ وتكثير الحديث قمين
وإن ضيع الإخوان سراً فإنني كتومٌ لأسرار العشير أمين
يكون له عندي إذا ما ضممته مكانٌ بسوداء الفؤاد مكين
وقال أبو إسحاق الصابي:
لسر صديقي مكمنٌ في جوانحي تمنع أن تدنو إليه المباحث
تغلغل مني حيث لا تستطيعه كؤوس الندامة والأنيس المحادث
إذا الفحص آلى جاهداً أن يناله تراجع عنه وهو خزيان حانث
فقل لصديقي إذا لم السر آمناً إذا لم يكن ما بيننا فيه ثالث
وهذا البيت مأخوذ من قول جميل:
ولا يسمعن سري وسرك ثالثٌ ألا كل سرٍ جاوز اثنين ضائع
وقال الصابي أيضاً:
وللسر فيما بين جنبي مكمنٌ خفي قصيٌ عن مدارج أنفاسي
أضن به ضني بموضع حفظه فأحميه عن إحساس غيري وإحساسي
فقد صار كالمعدوم لا يستطيعه يقينٌ ولا ظنٌ لخلقٍ من الناس
كأني من فرط احتياطي أضعته فبعضي له واعٍ وبعضي له ناسي
وقال كثير:
كريمٌ يميت السر حتى كأنه إذا استنطقوه عن حديثك جاهله
رعى سركم مستودع القلب والحشا شفيقٌ عليكم لا تخاف غوائله
وأكتم نفسي بعض سري تكرماً إذا ما أضاع السر في الناس حامله
الإذن والاستئذان
قال الله تعالى:"يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على
أهلها ذلكم خيرٌ لكم لعلكم تذكرون فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم
وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أذكى لكم"وقال تعالى:"يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين
ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مراتٍ"الآية.

وقال تعالى:"يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم"الآية.
وقيل: استأذن رجل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت فقال:"أ ألج؟فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لخادمه:"أخرج إلى هذا وعلمه الاستئذان وقل له يقول السلام عليكم
أ أدخل".
وقال النبي صلى الله عليه وسلم:"الاستئذان ثلاثٌ فإن أذن لك وإلا فارجع".
وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الأولى إذنٌ والثانية مؤامرةٌ والثالثة عزمة، إما أن
يأذنوا وإما أن يرجع.
وقال زياد بن أبيه لعجلان حاجبه: كيف تأذن للناس؟ قال: على البيوتات ثم على
الأسنان ثم على الأدب؛ قال: فمن تؤخر؟ قال: الذين لا يعبأ الله بهم؛ قال: ومن هم؟ قال:
الذين يلبسون كسوة الشتاء في الصيف وكسوة الصيف في الشتاء.
وكان سعيد بن عتبة بن حصين إذا حضر باب أحدٍ من السلاطين جلس جانباً؛ فقيل له:
إنك لتتباعد من الآذن جهدك؛ فقال: لأن أدعى من بعيد خيرٌ من أن أقصى من قريب.
قال بعض الشعراء:

رأيت أناساً يسرعون تبادراً إذا فتح البواب بابك إصبعا
ونحن جلوسٌ ساكنون رزانةً وحلما إلى أن يفتح الباب أجمعا

وقيل لمعاوية:إنّ آذنك ليقدم معارفه في الإذن على وجوه الناس؛ قال: وما عليه! إنّ المعرفة
لتنف في الكلب العقور والجمل الصؤول، فكيف رجلٌ حسيبٌ ذو كرمٍ ودين!
ونظر رجل إلى روح بن حاتم وهو واقف في الشمس عند باب المنصور، فقال له: لقد طال
وقوفك في الشمس؛ فقال: ذلك ليطول جلوسي في الظل.
ما قيل في الحجاب.
قال خالد بن عبد الله القسري أمير العراق لحاجبه: إذا أخذت مجلسي فلا تحجبن عني
أحدا، فإن الوالي يحتجب عن الرعية لإحدى ثلاث: إما لعي يكره أن يطلع عليه، أو لبخلٍ
يكره أن يسأل شيئا، وإما لريبةٍ لا يحب أن تظهر منه.
وقال زياد لحاجبه: وليتك حجابتي وعزلتك عن أربع: المنادي إلى الصلاة والفلاح، لا
تفرجنّه عني فلا سلطان لك عليه، وطارق الليل لا تحجبه فشرٌّ ما جاء به، ولو كان خيراً

ما جاء به تلك الساعة، ورسول الثغر فإنه إن أبطأ ساعةً فسد عمل سنة فأدخله عليّ
وإن كنت في لحافي، وصاحب الطعام فإن الطعام إذا أعيد تسخينه فسد.
وقف أبو سفيان باب عثمان بن عفان رضي الله عنه وقد اشتغل بمصلحةٍ للمسلمين
فحجبه؛ فقال له رجل وأراد إغراءه: يا أبا سفيان، ما كنت أرى أن تقف بباب مضري
فيحجبك! فقال أبو سفيان: لا عدمت من قومي من أقف بابه فيحجبني.
واستأذن أبو الدرداء على معاوية بن أبي سفيان فحجبه؛ فقال: من يغش أبواب الملوك يقم
ويقعد، ومن يجد باباً مغلقاً يجد إلى جانبه باباً مفتوحاً إن دعا أجيب وإن سأل أعطي.
قال محمود الوراق:
شاد الملوك قصورهم فتحصنوا　　من كل طالب حاجةٍ أو راغب
غالوا بأبواب الحديد لعزها　　وتنوقوا في قبح وجه الحاجب
فإذا تلطف في الدخول إليهم　　راجٍ تلقوه بوعدٍ كاذب
فاطلب إلى ملك الملوك ولا تكن　　يا ذا الضراعة طالباً من طالب
قال أبو مسهر: أتيت إلى باب أبي جعفر محمد بن عبد الله بن عبد كان، فحجبني فكتبت
إليه:
إني أتيتك للتسليم أمس فلم　　تأذن عليك لي الأستار والحجب
وقد علمت بأني لم أرد ولا　　والله ما رد إلا العلم والأدب
فأجابه ابن عبد كان:
لو كنت كافأت بالحسنى لقلت كما　　قال ابن أوسٍ وفيما قاله أدب
ليس الحجاب بمقصٍ عنك لي أملاً　　إن السماء ترجى حين تحتجب
وقف إلى باب محمد بن منصور رجلٌ من خاصته فحجب عنه، فكتب إليه:
على أي بابٍ أطلب الإذن بعد ما　　حجبت عن الباب الذي أنا حاجبه
وقف أبو العتاهية إلى باب بعض الهاشميين، فطلب الإذن؛ فقيل له: تكون لك عودة؛ فقال:
لئن عدت بعد اليوم إني لظالمٌ　　سأصرف وجهي حين تبغي المكارم
متى يظفر الغادي إليك بحاجةٍ　　ونصفك محجوب ونصفك نائم
ونظيره قول العماني:

قد أتيناك للسلام مراراً غير منٍّ بنا بتلك المرار
فإذا أنت في استتارك باللي ل على مثل حالنا بالنهار
وقال أبو تمام:
سأترك هذا الباب ما دام إذنه على ما أرى حتى يلين قليلا
فما خاب من لم يأته متعمداً ولا فاز من قد نال منه وصولا
ولا جعلت أرزاقنا بيد امرئٍ حمى بابه من أن ينال دخولا
إذا لم أجد للإذن عندك موضعاً وجدت إلى ترك المجيء سبيلا
وقال آخر:
أتيتك للتسليم لا أنني امرؤٌ أردت بإتيانك أسباب نائلك
فألفيت بواباً ببابك مغرماً بهدم الذي وطدته من فضائلك
وقال العماني:
إذا ما أتيناه في حاجةٍ رفعنا الرّقاع له بالقصب
له حاجبٌ دونه حاجبٌ وحاجب حاجبه محتجب
وقال آخر:
يا أبا موسى وأنت فتىً ماجدٌ حلوٌ ضرائبه
كن على منهاج معرفةٍ إن وجه المرء حاجبه
فيه تبدو محاسنه وبه تبدو معايبه
وقف عبد الله بن العباس بن الحسين العلوي على باب المأمون يوماً، فنظر إليه الحاجب ثم
أطرق؛ فقال عبد الله لقوم معه: إنه لو أذن لنا لدخلنا، ولو صرفنا لانصرفنا، لو اعتذر إلينا
لقبلنا، فأما الفترة بعد النظرة، والتوقف بعد التعرف، فلا أفهمه، ثم تمثل:
وما عن رضاً كان الحمار مطيتي ولكن من يمشي سيرضى بما ركب
وانصرف؛ فبلغ المأمون كلامه، فصرف الحاجب وأمر لعبد الله بصلة جزيلة وعشر
دواب.
وحجب بعض الهاشميين فرجع مغضباً فردّ فلم يرجع، وقال: ليس بعد الحجاب إلا
العذاب، لأن الله تعالى يقول: "كلاّ إنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم".
النهي عن شدة الحجاب.
قيل: لا شيء أضيع للملكة وأهلك للرعية من شدة الحجاب، لأن الرعية إذا وثقت
بسهولة الحجاب أحجمت عن الظلم، وإذا وثقت بصعوبته هجمت على الظلم.
وهذا مخالف لوصية زياد لابنه: عليك بالحجاب، فإنما تجرأت الرعاة على السباع لكثرة
نظرها إليها.
قال سعيد بن المسيب: نعم الرجل عبد العزيز لولا حجابه! وعن علي رضي الله عنه:

إنما أمهل فرعون مع دعواه ما ادعاه لسهوله إذنه وبذل طعامه.
وقال ميمون بن مهران: كنت عند عمر بن عبد العزيز، فقال لابنه: من بالباب؟ فقال:
رجل أناخ الآن يزعم أنه ابن بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من ولي شيئاً
من أمور المسلمين ثم حجب عنه حجبه الله يوم القيامة، فقال لحاجبه: الزم بيتك.
فما رئي على بابه بعده حاجب.
وقال عمرو بن العاص لابنه وقد ولي ولاية: انظر حاجبك فإنه لحمك ودمك، ولقد رأيتنا
بصفين وقد أشرع قومٌ في وجوهنا يريدون نفوسنا مالنا ذنبٌ إليهم إلا الحجاب.
وقيل: ولى المنصور حجابته الخصيب فقال: إنك بولايتي عظيم القدر، وحجابتي عظيم
الجاه، فبقّها على نفسك، أبسط وجهك للمستأذنين، وصن عرضك عن تناول المحجوبين،
فما شيءٌ أوقع بقلوبهم من سهولة الإذن وطلاقة الوجه.
قال سليمان بن زيد النابلسي:
سأهجركم حتى يلين حجابكم على أنه لا بد أن سيلين
خذوا حذركم من نبوة الدهر إنها وإن لم تكن حانت فسوف تحين
وقال آخر:
كم من فتىً تحمد أخلاقه وتسكن الأحرار في ذمته
قد كثر الحاجب أعداءه وسلّط الذم على نعمته
وقال أعرابي:
لعمري إن حجبتني العبيد ببابك ما تحجب القافيه
سأرمي بها من وراء الحجاب فتعدو عليك بها داهيه
تصم السميع وتعمي البصير وتسأل من مثلها العافيه
وقال جعفر المصري:
وتفضل علي بالإذن إن جئ ت فإني مخففٌ في اللقاء
ليس لي حاجةٌ سوى الحمد والشك ر فدعني أقريك حسن الثناء
الباب التاسع
الوزراء وأصحاب الملك
ما قيل في الوزارة
وشروطها واشتقاقها وما يحتاج الوزير إليه.
قال الله عز وجل إخباراً عن موسى عليه السلام: "واجعل لي وزيراً من أهلي هارون
أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري".
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما من أحد أعظم أجراً من وزير صالح
يكون مع إمامٍ فيأمر بذات الله تعالى".

قالت الحكماء: أعرف الملوك يحتاج إلى الوزير، وأشجع الرجال يحتاج إلى السلاح، وأجود
الخيل يحتاج إلى السوط، وأحد الشفار يحتاج إلى المسن.
وقالوا: صلاح الدنيا بصلاح الملوك، وصلاح الملوك بصلاح الوزراء، ولا يصلح الملك إلا
لأهله، ولا تصلح الوزارة إلا لمستحقها.
وقالوا: أفضل عدد الملوك صلاح الوزراء الكفاة، لأن في صلاحهم صلاح قلوب عوامهم
لهم.
وقالوا: خير الوزراء أصلحهم للرعية، وأصدقهم نية في النصيحة، وأشدهم ذباً عن
المملكة، وأسدهم بصيرةً في الطاعة، وآخذهم لحقوق الرعية من نفسه وسلطانه.
وقالوا: الوزير الخير لا يرى أن صلاحه في نفسه وسلطانه كائن صلاحاً حتى يتصل بصلاح
الملك ورعيته، وتكون عنايته فيما عطّف الملك على عامّته، وفيما استعطف قلوب العامة
على الطاعة لملكه، وفيما قوّم أمر الملك والمملكة من تدبير، حتى يجمع إلى أخذ الحق
وتقديمه عموم الأمن والسلامة، ويجمع إلى صلاح الملك صلاح أتباعه.
وإذا تطرقت الحوادث ودهمت العظائم كان للملك عدةً وعتاداً، وللرعية كافياً محتاطا،
ومن ورائها ذاباً ناصرا، يعنيه من صلاحها ما لا يعنيه من صلاح نفسه دونها.
اشتقاق الوزارة
وصفة الوزير وما يحتاج إليه
أما اشتقاقها فقد اختلف في معناه على ثلاثة أوجه: أحدها أنه مشتقٌ من الوزر وهو
الثقل، لأنه يحمل عن الملك أثقاله. والثاني أنه مشتقٌ من الأزر وهو الظهر، لأن الملك يقوى
بوزيره كقوة البدن بظهره. والثالث أنه مشتق من الوزر - وهو الملجأ - ومنه قوله تعالى:
"كلا لا وزر" ؛ أي لا ملجأ؛ لأن الملك يلجأ إلى وزيره ومعونته.
وأم صفة الوزير وما يحتاج إليه، فقد قال أقضى القضاة أبو الحسن علي بن محمد بن محمد
بن حبيب الماوردي في كتابه المترجم "بقوانين الوزارة" ما معناه: إن الوزير في منصب مختلف
الأطراف، يدبر غيره من الرعايا ويتدبر بغيره من الملوك، فهو سائس ومسوس يقوم بسياسة
رعيته وينقاد لطاعة سلطانه، فيجمع بين سطوة مطاعٍ وانقياد مطيع، فشطر فكره جاذبٌ

لمن يسوسه، وشطره مجذوبٌ بمن يطيعه؛ لأن الناس بين سائس، ومسوس، وجامع بينهما،
وله هذه المرتبة الجامعة؛ فهو يجمع ما اختلف من أحكامها، ويستكمل ما تباين من
أقسامها؛ وبيده تدبير مملكةٍ صلاحها مستحقٌ عليه، وفسادها منسوبٌ إليه؛ يؤاخذ
بالإساءة ولا يعتد له بالإحسان، تلان له المبادئ بالإرغاب وتشدد عليه الغايات بالإعتاب،
مستظهراً ليكفي اعتداد الإحسان إليه، ويسلم من غبّ المؤاخذة له، ويلزمه ضدها في حق
سلطانه ألا يعتدّ عليه بصلاح ملكه، لأنه للصلاح مندوب، ولا يعتذر إليه من اختلاله، لأن
الاختلال إليه منسوب. والوزير مباشر لتدبير ملكٍ له أسٌ هو الدين المشروع، ونظامٌ هو
الحق المتبوع.
فإن جعل الدين قائده، والحق رائده؛ تذلل له كل صعب، وسهل عليه كل خطب؛ لأن للدين
أنصاراً وأعواناً، إن قعدت عنه أجسادهم لم تقعد عنه قلوبهم.
وحسبه أن تكون القلوب معه، فإن للدين سلطاناً قد انقادت إليه إمامته، واستقرت عليه
زعامته.
فإن جعله ظهيراً له في أموره، وعوناً على تدبيره، يجد من القلوب خشوعا،، ومن النفوس
خضوعا؛ فما اعتزت مملكة إليه إلا صالت، ولا التحفت بشعاره إلا طالت.
ولن يستغزر الوزير مواده إلا بالعدل والإحسان، ولن يستنزرها بمثل الجور والإساءة؛ لأن
العدل استثمارٌ دائم، والجور استئصالٌ منقطع.
وليس يختص بالأموال دون الأقوال والأفعال، فعدله في الأموال أن تؤخذ بحقها وتدفع إلى
مستحقها؛ لأنه في الحقوق سفير مؤتمن، وكفيلٌ مرتهن؛ عليه غرمها، ولغيره غنمها.
وعدله في الأقوال ألا يخاطب الفاضل بخطاب المفضول، ولا العالم بخطاب الجهول؛ ويقف في
الحمد والذم على حسب الإحسان والإساءة، ليكون إرغابه وإرهابه وفق أسبابهما من
غير سرف ولا تقصير؛ فلسانه ميزانه، فليحفظه من رجحان أو نقصان.
وعدله في الأفعال ألا يعاقب إلا على ذنب، ولا يعفو إلا عن إنابة، ولا يبعثه السخط على
اطراح المحاسن، ولا يحمله الرضا على العفو عن المساوئ.

وليكن وفاؤه بالوعد حتما، وبالوعيد حزما، لأن العد حقٌ عليه لغيره يسقط فيه اختياره،
والوعيد حقٌ له على غيره فهو فيه خياره.
فمن أجل ذلك لم يجز إخلاف الوعد وإن جاز إخلاف الوعيد.
قال بعض الشعراء:
وإني إذا أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي
لكن ينبغي أن يقرن بخلف الوعيد عذراً حتى لا يهون وعيده؛ ليكون نظام الهيبة محفوظا،
وقانون السياسة فيه مضبوطا؛ وليظهره إن خفي ليكون بإخلاف وعيد معذورا، وبعفوه
عنه مشكورا.
ولتكن أفعاله أكثر من أقواله، فإن زيادة القول على الفعل دناءةٌ وشينٌ، وزيادة الفعل على
القول مكرمةٌ وزينٌ.
ولا يجعل لغضبه سلطانا على نفسه يخرجه عن الاعتدال إلى الاختلال؛ فلن يسلم بالغضب
رأيٌ من زلل، ولا كلامٌ من خطل؛ لأن ثورته طيشٌ معرّ، ونفرته بطشٌ مضرٌّ؛ لأنه يخرج عن
التأدب إلى الانتقام، وعن التقويم إلى الاصطلام.
قال ابن عباس: لم يمل إلى الغضب إلا من أعياه سلطان الحجة.
وقال بعض السلف: إياك وعزة الغضب، فإنها تفضي بك إلى ذل الاعتذار.
وقال بعض الحكماء: من كثر شططه، كثر غلطه.
قال بعض الشعراء:
ولم أر في الأعداء حين اختبرتهم عدواً لعقل المرء أعدى من الغضب
وليكن غضبه تغاضباً يملك به عزمه، ويقوم به خصمه، فيسلم من جور غضبه ويقف
على اعتدال تغاضبه.
فقد قيل في بعض صحف بني إسرائيل: إذا كان الرجل ذا غضبٍ تواترت عليه الوضائع،
فكلما اشتد غضبه ازداد بلاءً.
وقد يقترن بالغضب لجاجٌ يساويه في معرته، ويشاركه في مضرته؛ لأن في اللجاج التزام الخطأ
واطّراح الصواب.
فليدع عنه لجاج الخصم الألد، وليتجنب عواقب المدل الفدم.
وليتابع الرأي فيما اقتضاه؛ فلأن ينتف بالرأي خيرٌ من أن يستضر باللجاج.
فقد قال بعض الحكماء: من استعان بالرأي ملك، ومن كابر الأمور هلك.
وقال ابن المقفع: دع اللجاج فإنه يكسر عزائم العقول.
وقيل الظفر لمن احتج، لا لمن لج.

وليأخذ الوزير أموره بالجد دون الهزل.
فالجد والهزل ضدان متنافران؛ لأن الجد من قواعد الحق الباعث على الصلاح، والهزل من
مرح الباطل الداعي إلى الفساد؛ فصار فرق ما بين الجد والهزل هو فرق ما بين الحق
والباطل.
وتنافر الأضداد يمنع من الجمع بينهما؛ فمتى انفرد بأحدهما كان للآخر تاركا.
وقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: العقل حسامٌ قاطعٌ، والحلم
غطاء ساتر، فقابل هواك بعقلك، واستر خلل خلقك بحلمك، واستعمل الجد ينقد إليك
الحق ويفارقك الباطل.
ولا تعدل إلى الهزل فيتبعك الباطل وينافرك الحق.
وقلما انثلمت هيبة الجد أو تكاملت هيبة الهزل؛ والهيبة أسّ السلطنة.
حكي عن عمر بن مرّة أن رجلاً من قريش قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: لن لنا
فقد ملأت قلوبنا مهابة؛ فقال عمر: أ في ذلك ظلمٌ؟ قال: لا؛ قال: فزادني الله في صدوركم
مهابةً.
وقال حكيم الهند: ليكن فيك مع طلاقتك تشددٌ، لئّلا يجترأ عليك بالطلاقة وينفر منك
بالتشدد.
والهزل إنما يكون مع سخفٍ أو بطر يجلّ عنهما من ساس الرعايا ودبر الممالك.
وسأل ملك الهند الإسكندر وقد دخل بلاده: ما علامة دوام الملك؟ قال: الجد في كل
الأمور؛ قال: فما علامة زواله؟ فال: الهزل فيها.
وليس الكبر والعنف جداً، ولا التواضع واللطف هزلاً.
قالوا: وإن استكد الجد خاطره فلا بأس أن يستروح ببعض الهزل ليستعين به على مصابرة
الجد، لكن يكون في زمان راحته وأوقات خلوته بمقدار دوائه من دائه، فإن الكلال ملال.
ولينك ذلك كما قال بعض الشعراء:
أفد طبعك المكدور بالجد راحةً يجمّ وعلله بشيءٍ من المزح
ولكن إذا أعطيته المزح فليكن بمقدار ما تعطي الطعام من الملح
وكذلك فليتحر الصدق ويتجنب الكذب، فإنهما ضدان متنافران تختلف عللهما وتفترق
نتائجهما؛ فالصدق من لوازم العقل وهو أسّ الدين وقوام الحق؛ والكذب من غرائز الجهل وهو

زورٌ يقترن بغرور، إن التبست أوائله انتهكت أواخره، وإن جرّ التباسه نفعا عاد انتهاكه
ضررا، فلن يسلم من معرة زوره، ومضرة غروره.
وقد قدمنا من مدح الصدق في باب المدح، وذم الكذب في باب الهجاء، ما فيه غنيةٌ عن
تكراره.
وحيث ذكرنا هذه المقدمة في اشتقاق الوزارة وما يحتاج الوزير إليه فلنذكر صفة الوزارة
وشروطها.
صفة الوزارة وشروطها
قال أقضى القضاة أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي: والوزارة ضربان: وزارة
تفويضٍ تجمع بين كفايتي السيف والقلم، ووزارة تنفيذ تختص بالرأي ٍوالحزم؛ ولكل واحدةٍ
منهما حقوقٌ وشروط.
وزارة التفويض
فهي: الاستيلاء على التدبير بالعقد، والحلّ، والتقليد والعزل.
فأما العقد فيشتمل على شرطين: دفاع وحذر. وكل شرط من هذه الشروط الأربعة
يشتمل على فصول.
الشرط الأول وهو التنفيذ
فهو رأس الوزارة وقاعدة النيابة، وهو الأخص بكفاية القلم في مصالح الملك واستقامة
الأعمال.
ويشتمل على أربعة أقسام:
الأول: تنفيذ ما صدرت به أوامر الملك.
وعلى الوزير فيها حقان: أحدهما أن يتصفحها من زللٍ في ابتدائها، ويحرسها من خللٍ في
أثنائها؛ ليرده عن زللها باللطف، ويقوي عزمه على صوابها بالإحماد.
وقد قال أفلاطون: أول رياضة الوزير أن يتأمل أخلاق الملك ومعاملته، فإن كانت شديدةً
فظةً عامل الناس بدونها، وإن كانت لينةً مطلقة عاملهم بأقوى منها، ليقرب من العدل في
سعيه.
والثاني: تعجيل إمضائها للوقت المقدر لها حتى لا يقف فيوحش، لأن وقوف أوامره
يوحش، وهو مندوب للتنفيذ دون الوقوف.
وقد قال الحكيم الهند: العجلة في الأمر خرقٌ، وأخرق منها التفريط في الأمر بعد القدرة
عليه.
ودرك هذا التنفيذ عائد على الملك دون الوزير.

القسم الثاني: تنفيذ ما اقتضاه رأي الوزير من تدبير المملكة.
فعليه في إمضائه حقان:أحدهما أن يراعي أولى الأمور في اجتهاده، وأصوبها في رأيه، لأنه
مندوبٌ لأصلحها ومأخوذٌ بأصوبها.
والثاني أن يطالع الملك به إن جلّ، ويجوز أن يطويه إن قلّ، ليخرج عن الاستبداد المنفرّ،
ويسلم من الحقد المؤثر.
وقال حكيم الهند: الأحقاد مؤثرة حيث كانت، وأخوفها ما كان في أنفس الملوك، لأنهم
يدينون بالانتقام ويرون التطلب بالوتر مكرمةً وفخراً.
فإن عارضه الملك في رأيه بعد المطالعة به لم يستوحش من معارضته، لأنه مالك مستنيب،
وظانٌّ مستريب، وقابل بين رأيه ومعارضته، واستوضح من الملك أسباب المعارضة بلطفٍ
إن خفيت، فإن وضح صوابها توقف عن رأيه وشكره على استدراك زلله وتلافي خلله
وقد منّ عليه ولم يؤنب.
وإن كان الصواب مع الوزير تلطف في إيضاح صوابه، وكشف علله وأسبابه.
فإن ساعده على إمضائه أمضاه؛ وكان درك تنفيذه عائداً على الوزير دون الملك.
والقسم الثالث: تنفيذ ما صدر عن خلفائه على الأعمال التي فوضها إلى آرائهم ووكلها إلى
اجتهادهم.
فإن تفردوا بتنفيذها أمضاها لهم ولم يتعقبها عليهم ما لم يتحقق زللهم فيها؛ وكان درك
تنفيذها عائداً على العمال دون الوزير.
وإن وقفوها على تنفيذ الوزير فعليه في تنفيذها حقان: أحدهما أن يستكشف عن
أسبابها، ليعلم خطأها من صوابها والثاني تقوية أيديهم ونفي الارتياب عنهم، فإن ظهور
الارتياب مجشة للقلوب.
فإن نفذها لهم حين لم يتحقق زللهم فيها كان درك تنفيذها عائداً على الوزير دون العمال.
والقسم الرابع: تنفيذ أمور الرعايا على ما ألفوه من عادات ومعاملات اختلفوا فيها حين
ائتلفوا بها، لأن الناس مجبولون على الحاجة إلى أنواع لا يقدر الواحد أن يقوم بجميعها،
فخولف بين هممهم لينفرد كل قومٍ بنوع منها فيأتلفوا بها، فيقوم الزراع بمزارعهم، ويتشاغل
الصناع بصنائعهم، ويتوفر التجار على متاجرهم.

وعليه في تنفيذها لهم حقان: أحدهما ألا يعارض صنفاً منهم في مطلبه، والثاني ألا
يشاركه في مكسبه.
وربما كان للسلطان رأيٌ في الاستكثار من أحد الأصناف فينقل إليه من لم يألفه فيختل
النظام بهم فيما نقلوا عنه وفيما نقلوا إليه.
وربما ضنّ السلطان عليهم بمكاسبهم فتعرض لها أو شاركهم فيها فاتّجر مع التجار وزرع
مع الزراع.
وهذا وهنٌ في حقوق السياسة وقدحٌ في شروط الرياسة من وجهين: أحدهما أنه إذا
تعرض لأمر، قصرت فيه يد من عداه؛ فإن تورك عليه لم ينهض به، وإن شورك فيه ضاق
على أهله.
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما عدل والٍ اتّجر في رعيته".
والثاني لأن الملوك أشرف الناس منصباً فخصوا بمواد السلطنة، لأنها أشرف المواد
مكسباً.
فإن زاحموا العامة في رذل مكاسبهم أوهنوا الرعايا ودنسوا الممالك؛ وعاد وهنهم عليها
فاختل نظامها، واعتل مرامها.
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا اتّجر الراعي هلكت الرعية".
وكتب حكيم الروم إلى الإسكندر: أي ملك تطنف نفسه إلى المحقرات فالموت أكرم له.
فهذا ما اشتمل عليه الشرط الأول.
الشرط الثاني فهو الدفاع.
وهو أسّ السلطنة وقانون السياسة والأخص بكفاية السيف في تدبير الملك وضروب
المصالح.
ويشتمل على أربعة أقسام: أحدها الدفاع عن الملك من الأولياء، والثاني الدفاع عن
المملكة من الأعداء، والثالث دفاع الوزير عن نفسه من الأكفاء، والرابع دفاعه عن الرعية
من خوف واختلال.
فالقسم الأول في دفاعه عن الملك من أوليائه:
ويكون بثلاثة أسباب: أحدها أن يقودهم إلى طاعته بالرغبة، ويكفهم عن معصيته
بالرهبة؛ فإن الرغبة والرهبة إذا تواليا على النفس ذلت لهما وانقادت خوفاً وطمعاً، وبهما
تعبد الله الخلق في وعده ووعيده.

والثاني أن يقوم بكفايتهم حتى لا ينفروا بالقوة أو يتفرقوا بالضعف؛ وكلاهما قدحٌ في الملك.
والثالث أن يحفظهم من الإغواء، ويحرسهم من الإغراء؛ وذلك بأمرين: أحدهما البحث عن
أخبارهم حتى يعلم سليمهم من سقيمهم.
والثاني بإبعاد المفسدين عنهم حتى لا يتعدى إليهم فسادهم؛ فإن الكف بحسب
الكشف.
والقسم الثاني في دفاعه عن المملكةأحدها أن يق
من أعدائها:
وأعداء الممالك من انفرد بملك أو امتنع بقوة.
وهم ثلاثة أصناف: أكفاء مماثلون، وعظماء متقدمون، وناجمة منافسون.
فأما الأكفاء المماثلون فيدفعون بالمقاربة والمسالمة.
وأما العظماء المتقدمون فيدفعون بالملاطفة والملاينة.
وأما الناجمة المنفسون فيدفعون بالسوط والمخاشنة.
والقسم الثالث في دفاع الوزير عن نفسه من أكفائه: ويكون بعد استصلاح الطرفين: الأعلى
وهو الملك، والأدنى وهم الأعوان.
وأكفاؤه ثلاثة: واترٌ، وموتورٌ، ومنافس.
فأما الواتر: فقد بدأ بشره وجاهر بعداوته؛ وكلاهما بغيٌ مؤنس بالنصر عليه.
وللوزير في ترته حقان: حقٌ في مقابلته على ما قدم من ترته، وقح في استدفاع ما جاهر به
من عداوته.
فأما حقه في المقابلة، فإن عفا الوزير عنها كان بالفضل جديرا، وإن قابل كان في المقابلة
معذورا.
وقد قيل: لذة العفو أطيب من لذة التشفي لأن لذة العفو يتبعها الحمد ولذة التشفي يعقبها
الندم.
قال الشاعر:
فإنك تلقى فاعل الشر نادماً عليه ولم على الخير فاعله
وأما حقه في استدفاع شره، فقد أيقظته مجاهرته، وأوهن كيده مظاهرته.
وقد قيل في منثور الحكم: أوهن الأعداء كيداً أظهرهم بعداوته. فاحذر بادرته وادفع عداوته.
ودفعها مختلفٌ باختلاف طباعه في انثنائه بالرغبة وتقويمه بالرهبة.
وأما الموتور: فقد بودئ بالإساءة فصبر عليها، وجوهر بالعداوة فأخفاها؛ فله ترة مظلوم

ووثبة مختلس، فتتوقى ترة ظلامته بالاستعطاف، ووثبة مخالسته بالاحتراز.
وأما المنافس: فهو طالب رتبة إن نال منها سداداً من عوز ياسر، وإن ضويق فيها نافر.
فليرخ الوزير له عنان الأمل، وليخفض له جناح منافسته بالاستبانة والعمل؛ ليندفع بالمياسرة
عن المنافرة.
وليغالط به الأيام، فإن الساعات تهدم الأعمار، ولا يجعل له فراغاً يتشاغل فيه بمساءته،
ويجعله عذراً في السعي على منزلته.
فإن ساق القضاء إليه حظاً كان له مصطنعا، يرعى له حقوق الاصطناع.
فقد قيل: من علامة الإقبال، اصطناع الرجال.
فإن صدّه القضاء عن إرادته وعجزه القدر عن طلبته كفي الوزير منه ما خافه وقد
أحسن، ووصل إلى ما أراده وقد أجمّ، وأوجب بإحسانه شكرا، وأقام بإجمامه عذراً،
اجتذب بهما قياد منافسه إلى طاعته، وصرفه بهما عن التعرض لمنافسته.
فهنالك يجعله قبلة رجائه؛ إذا لم يحظ بخير إلاّ منه، ولم يقض من زمان وطراً إلاّ به.
وقد قيل في منثور الحكم: من استصلح الأضداد، بلغ المراد.
وربما تعرض لعداوة الوزير من قصّر عن رتبة منافسته.
فليعطه من رجائه طرفاً، وليقبض من زمامه طرفاً، وليختبره فيهما، فسيقف على صلاحه
أو فساده.
فإن صلح سوعد، وإن فسد بوعد.
فقد قال أردشير بن بابك: احذروا صولة الكريم إذا جاع، واللئيم إذا شبع.
وقد قيل في منثور الحكم: علة المعاداة، قلة المبالاة.
والقسم الرابع في الدفاع عن الرعية من خوف واختلال:
فالخوف من نتائج الخرق،
والاختلال من نتائج الإهمال؛ وكلاهما من سوء السيرة وفساد السياسة، لترددهما بين تفريط
وإفراط، وخروجهما عن العدل إلى تقصير أو إسراف.
وهم قوام الملك المستمدّ، وذخيرة المستعدّ.
وليس يستقيم ولن يستقيم ملك فسدت فيه أحوال الرعايا، لأنهم منهم بمنزلة الرأس من
الجسد لا ينهض إلا بقوته ولا يستقل إلا بمعونته.
وعلى الوزير لهم ثلاثة حقوق:
أحدها أن يعينهم على صلاح معايشهم ووفور مكاسبهم، لتتوفر بهم مواده، وتعمر بهم

بلاده.
والثاني أن يقتصر منهم على حقوقه، ويحملهم فيها على إنصافه، ليكونوا على الاستكثار
أحرص، وفي الطاعة أخلص، ولا يكلهم في مقادير الحقوق إلى غيره، ليكونوا له أرجى وعليه
أحنى.
والثالث أن يحوطهم بكف الأذى عنهم، ومنع الأيدي الغالبة منهم؛ ليكون لهم كالأب
الرؤوف ويكونوا له كالأولاد البررة؛ فإنه كافلٌ مسترعىً ومسئولٌ مؤاخذٌ.
ولله عليه فيهم حقٌ، وللسلطان عليه فيهم تبعة.
فليغتنم الوزير بهم شكر إحسانه، ويجمل بعدله فيهم آثار سلطانه.
الشرط الثالث وهو الإقدام
فهو في السياسة أوفى شطريها، وفي الوزارة أكفى نظريها؛ لظفر الإقدام، وخيبة الإحجام.
وقد قيل في منثور الحكم: بالإقدام تثبت الأقدام.
وإنما يجب الإقدام إذا ظهرت أسبابه، وقصدت أبوابه.
قال الشاعر:
إذا ما أتيت الأمر من غير بابه ضللت وإن تقصد إلى الباب تهتدي
ثم يجمع بعدهما بين حزمه وعزمه.
فالحزم تدبير الأمور بموجب الرأي، والعزم تنفيذها للوقت المقدر لها.
فإذا تكاملت شروط الإقدام من هذه الوجوه الأربعة - وهي: ظهور أسبابه، وقصد
أبوابه، والحزم، والعزم - لم يمنع من الظفر، إلا عوائق القدر.
والإقدام ينقسم إلى قسمين: أحدهما الإقدام على اجتلاب المنافع، والثاني على دفع
المضار.
فأما الإقدام على اجتلاب المنافع فضربان: أحدهما استضافة ملك، والثاني استزادة
مواد.
فأما استضافة الملك فتكون بالحزم والعزم إذا اقترنا برغبة أو رهبة.
ولأن تكون بالاغتيال والاحتيال، أولى من أن تكون بالقتال.
وأما استزادة المواد فتكون بالعدل والإحسان إذا اقترنا برفق ومياسرة لتكثر بهما العمارة
وتتوفر بهما الزراعة، فإن الأرض كنوز الملك يستخرجها أعوانٌ متطوعون يقنعهم الكف
عنهم ويقطعهم العسف بهم.
الإقدام على دفع المضار

فضربان: أحدهما.دفع ما اختل من الملك.
وله سببان: إهمالٌ أو عجزٌ.
والثاني دفع ما نقص من المواد. وله سببان: نفورٌ أو جورٌ.
فيحتاج الوزير أن يدفع ضرر كل واحدٍ منهما بالضد من سببه، فإن علاج كل داء بضده
من الدواء.
فإن كان اختلال الملك من الإهمال أيقظ له عزمه، وإن كان من العجز استعمل فيه حزمه.
وإن كان نقص المواد من النفور استنجد فيه رهبته، وإن كان من الجور أظهر فيه معدلته.
فإن كان حدوث ذلك في الملك صدر عن الوزير كان مؤاخذاً بتفريطه في الابتداء،
ومستدركاً لتقصيره في الانتهاء؛ فيجبر إساءته بإحسانه، ويمحو قبيحه بجميله.
وإن كان حدوثه من غيره كانت جريرة الإساءة على من أحدثه، وكان حمد الإحسان
للوزير.
الشرط الرابع وهو الحذر
فيتعين على الوزير أن يكون حذرا، لأن الدهر ثائرٌ بطوارقه، ومنافر بنوائبه، يغدر إن وفى،
ويفتك إن هفا.
قال عبد الحميد: أصاب الدنيا من حذرها، وأصابت الدنيا من أمنها.
وقال عبد الملك بن مروان: احذروا الجديدين، فللأقدار أوقاتٌ تغضي عنها الأبصار.
فإذا صادفت طوارق الدهر غراً مسترسلاً صار هدفاً لسهامه الصوائب، وغرضاً لمنافرة
الحوادث والنوائب.
وقد قال بعض الحكماء: من أعرض عن الحذر والاحتراس، وبنى أمره على غير أساس،
زال عنه العز واستولى عليه العجز؛ وإن قدم لطوارقه حذر المتيقظ، وتلقاها بعدة المتحفظ،
رد بادرتها بعزم ذي حزم قد حلب أشطر دهره، وقام بواضح عذره.
قال بعض الشعراء:
إن للدهر صولةً فاحذرنها   لا تبيتنّ قد أمنت الدهورا
ثم هو بعد حذره مستسلمٌ لقضاءٍ لا يرد، وقدرٍ لا يصد.
وقد روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
قال:"احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت".
وقبل لبعض الحكماء: من السعيد؟ قال: من اعتبر بأمسه، واستظهر لنفسه.

وقال بعض الشعراء:
وحذرت من أمرٍ فمرّ بجانبي لم يبكني ولقيت ما لم أحذر
وللحذر حدٌ يقف عنده إن زاد عليه صار خوراً، كما أن للإقدام حداً إن زاد عليه صار
تهوراً.
والزيادة على الحدود، نقصٌ في المحدود.
ولهما زمان إن خرجا عنه صار الحذر فشلاً، والإقدام خرقاً.
وعيارهما معتبرٌ بحزم العاقل ويقظة الفطن.
قال بعض الحكماء: ليعرفك السلطان عند افتتاح التدبير بالحذر، وعند وقوع الأمر بالجد.
والحذر يلزم من أربعة أوجه: أحدها الحذر من الله تعالى فيما فرض.
والثاني الحذر من السلطان فيما فوض.
والثالث الحذر من الزمان فيما اعترض.
والرابع من غلبة الأعداء ومكر الدهاة.
الحذر من الله تعالى:
فهو عماد الدين الباعث على الطاعة.والحذر منه هو الوقوف عند أوامره، والانتهاء عن
زواجره؛ فيعمل بطاعته فيما أمر، وينتهي عن معصيته فيما حظر.
فلن يرى قليل الحذر إلا متجوزاً في دينه طائحاً في غلوائه، لا يرى رشداً في العاجل، وهو
على وعيدٍ في الآجل؛ مع نفور النفوس منه وسراية الذم فيه.
وقد قيل في بعض الصحف الأولى: العزة والقوة يعظمان القلب، وأفضل منهما خوف الله
تعالى؛ لأن من لزم خشية الله لم يخف الوضيعة ولم يحتج إلى ناصر.
وقال علي رضي الله عنه: من حاول أمراً بمعصية الله كان أبعد لما رجا، وأقرب لمجيء ما
اتقى.
الحذر من السلطان،
فهو وثابٌ بقدرته، متحكمٌ بسطوته، يميل به الهوى فيقطع بالظن ويؤاخذ بالارتياب؛ فالثقة
به عجزٌ، والاسترسال معه خطر.
والحذر منه في حالتي السخط والرضا أسلم؛ لأنه يستذنب إذا مل حتى يصير المحسن
عنده كالمسيء.
فليستخلص رأيه بالنصح، ويستدفع تنكره بالحذر.
وقال بعض الحكماء: اصحب السلطان بثلاث: الحذر، ورفض الدولة، والاجتهاد في
النصح.

والحذر منه يكون بثلاثة أمور: أحدها ألا يعول على الثقة به في الإدلال والاسترسال، فما
جرت الثقة إلا ندماً.
وقد قيل: الخرق الدالة على السلطان، والوثبة قبل الإمكان.
فاقبض نفسك إذا قدمك، وتواضع له إذا عظمك، واحتشمه إذا آنسك، ولن له إذا
خاشنك، واصبر على تجنيه إذا غالظك؛ فهو على التجني أقدر، فكن على احتماله
أصبر؛ فربما كانت مجاملته لك مكراً وتجنيه عليك غدراً.
فقد قيل في بعض الصحف الأولى: حب الملك وهواه يشبه الطل على العشب.
فلا تجعل له في إظهار تنكره عذراً؛ فربما اعترف بالحق فوفى، ورق بالصبر فكف.
وقد قيل في أمثال "كليلة ودمنة": صاحب السلطان كراكب الأسد يخافه الناس وهو
لمركوبه أشد خوفاً.
والثاني من حذره منه أن يساعده على مطالبه، ويوافقه على محابه ومآربه، ولا يصده عن
غرض إذا لم يقدح في دين ولا عرض، ولا يتوقف عن إجابته وإن شغله ما هو أهم؛ فإن
الملك لا يقيم لوزيره عذراً إذا وجده في أغراضه مقصراً، وإن كان على مصالح ملكه
متوفراً؛ فإنه اتخذه لنفسه ثم لملكه؛ وقد يقدم حظ نفسه على مصلحة ملكه، لغلبة الهوى
ونازع الشهوة.
فليكن متوفراً على مراده ليسلم اعتقاده له.
فإن قدحت أغراضه في دين أو عرض سلّ الوزير نفسه من وزرها وتحفظ من شينها
بالتلطف في كفه عنها بما يعتاضه بدلاً منها، ليسهل عليه إقلاعه عنها.
فإن ساعده الملك عليها سلم دينهما، وزال شينهما.
فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن لله خزائن للخير والشر مفاتيحها
الرجال فطوبى لمن جعله الله مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر وويلٌ لمن جعله الله مفتاحاً للشر
مغلاقاً للخير".
وقال الشاعر:
ستلقى الذي قدمت للشر محضراً وأنت بما تأتي من الخير أسعد
وإن أصر الملك عليها فليلن الوزير في متاركته، ويحجم عن مساعدته؛ وهو خداعٌ يتدلس

بالمغالطة ويخفى بالحزم؛ فليستنجد فيه عقله، ويستعمل فيه حزمه؛ ليسلم من تنكره،
ويخلص من وزره.
فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن من شرار الناس عند الله يوم
القيامة عبداً أذهب آخرته بدنيا غيره".
والثالث من حذره منه أن يذب عن نفسه وملكه بما استطاع من مال ونفس؛ فإنه عن
نفسه يذب، ولها يرب؛ فإنه لا يصلح حاله مع فساد حال ملكه وهو فرع من أصله.
وهو يسترسل لثقته به، ويستسلم لتعويله عليه؛ فليقابل ثقته بأمانته، واستسلامه بكفايته،
ولا يلجئه أن يباشر دفع الخوف والحذر، فيلجئه إلى ما هو أخوف وأحذر؛ لأن الوزير
يخاف الملك ويخاف ما يخافه، فيتوالى عليه خوفان، ويتمالأ عليه خطران.
قال شاعر:
إن البلاء يطاق غير مضاعفٍ   فإذا تضاعف صار غير مطاق
وأما حذره من زمانه
فلأنه يتقلب بألوانه، ويخشن بعد ليانه، فيسلب ما أعطى ويفرق ما جمع.
وقد روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
"أنظروا دور من تسكنون وأرض من تزرعون وفي طرق من تمشون".
وقال بعض الحكماء: الدنيا إن بقيت لك لم تبق لها.
وقال بعض البلغاء: إن الدنيا تقبل إقبال الطالب، وتدبر إدبار الهارب؛ لا تبقى على حالة،
ولا تخلو من استحالة؛ تصلح جانباً بإفساد جانب، وتسر صاحباً بمساءة صاحب؛
فالكون فيها على خطر، والثقة بها على غرر.
وقال قيس بن الخطيم:
ومن عادة الأيام أن خطوبها   إذا سرّ منها جانبٌ ساء جانب
والحذر من الزمان يكون من أربعة أوجه:
أحدها: ألاّ يثق بمساعدته، ولا يركن إلى مياسرته، فيغفل عن الحذر والاستعداد، فربما
انعكس فافترس، وغافص فاختلس.
وقد قيل: للدهر صروف، لست عنها بمصروف.
قال أبو العتاهية:
إن الزمان وإن ألا   ن لأهله لمخاشن
فخطوبه المتحركا   ت كأنهنّ سواكن

والثاني: أن ينتهز فرصة مكنته بفعل الجميل، وغرس الصنائع، وإسداء العوارف؛ ليكون
ذلك ذخيرةً له في النوائب، وخلفاً في العواقب؛ ولا يلهيه استكفاؤه عن الاستظهار، ولا يمنعه
استغناؤه عن الاستكثار.
فقد قيل: المر غلك وحياتك قبل موتك".
قال سعيد بن سلم:
إنما الدنيا هباتٌ وعوارٍ مسترده
شدةٌ بعد رخاءٍ ورخاءٌ بعد شده
والثالث: أن يكف نفسه عن القبيح ويقبض يده عن الإساءة، ليكفى رصد الترات، وغوائل
الهفوات، فيأمن من وجله، ويسلم من زلله، ولا يتطاول بالقدرة فيغفل وهو مطلوب، ويأمن
وهو مسلوب.
والرابع: أن يستعدّ لآخرته، ويستظهر لمعاده، ولا يغتر بالأمل فيخونه الفوت، ولا تلهيه الدنيا
فتصده عن الآخرة.
فقلّ من لابسها فسلم من تبعاتها؛ لهفوات غرورها، وعواقب شرورها.
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يا عجباً كل العجب للمصدق بدار الخلود
وهو يسعى لدار الغرور".
وقيل في منثور الحكم: طلاق الدنيا مهر الجنة.
حذره من أهل الزمان
فلأن الإنسان محسود بالنعمة، مغبوط بالسلامة.
والناس على أربعة أطوار متباينة:
أحدها خيرٌ عاقل يسالم بخيره، ويساعد بعقله؛ فالظفر به سعادةٌ، والاستعانة به توفيقٌ.
فليجتهد ألاّ يفوته وإن كان قليل الوجود، ليحظى بخيره ويسعد بعقله.
وقلّ أن يكون الخير العاقل إلاّ متحلياً بالعلم متزيناً بالأدب.
فإذا أظفره الزمان بمن تكاملت فضائله، وتهذبت خصائله، فليتخذه ذخيرة نوائبه، وعدة
شدائده، يجده كفيل صلاحها، وزعيم نجاحها.
والطور الثاني: شريرٌ جاهل يضر بشره، ويضل بجهله.
فليحذر مخالطته، فهي أضر من السم، وأنفذ من السهم.
وشره بجهله منتشرٌ يضعف إن تورك، ويقوى إن شورك؛ فليكفف شره بالإبعاد، ولا يعزه
بالتقريب، فيلحقه ضرري شره وجهله.
وضرر الجهل أعم من ضرر الشر؛ لأن قانون الشر معلوم، وقانون الجهل غير معلوم.

والطور الثالث: خيرٌ جاهلٌ يسالم بخيره، ويضل بجهله؛ فليقاربه، إن شاء، لخيره، ولا
يستعمله لجهله؛ ليكون بخيره موسوماً، ومن جهله سليماً.
والطور الرابع: شريرٌ عاقل وهو الداهية المكر، يستعمل للخطوب إذا حزبت.
فليكن على حذرٍ من مكره، ويتاركه في الدعة على استدفاعٍ لشره.
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل
الفاجر".
ومثل هذا يستكف بمعونةٍ تمده، ومراعاةٍ ترضيه؛ فإنه كالسبع الضاري إن أجعته هاج،
وإن أشبعته سكن؛ ليكون مذخوراً للحاجة؛ فإن للزمان خطوباً لا تدفع إلا بشرار أهله؛
كما قال حذيفة بن اليمان لرجل: أ يسرك أن تغلب شر الناس؟ قال: نعم؛ قال: إنك لن
تغلبه حتى تكون شراً منه.
فيعدّ لخطوب الشر إن طرقت؛ فإنه بها أخبر، وعلى دفعها أقدر، ولأهلها أقهر؛ ف"إن
الحديد بالحديد يفلح".
فيستكف إلى حينها بما يدفع عادية شره، ويقطع غائلة مكره، وإن كانت ضراوة الشر
أجذب، وطباع النفوس أغلب.
فإن وجد الوزير من هذا الداهية فتوراً في همته، وقصوراً في منته كانت سراية مكره أنزر،
وتأثيره في الخطوب أيسر.
وإن كان عالي الهمة قوي المنة يتطاول إلى معالي الأمور، كانت سراية مكره أوفر، وتأثيره في
الخطوب أكثر.
فليعطه في كل حال من أمريه من الحذر والسكون بحسب ما تقتضيه همته، وتبعث عليه
منته؛ ليكون قانونه معه مستقيماً، ومن دهاء مكره سليماً؛ لا يناله خورٌ من سرف، ولا
استرسالٌ من تقصير؛ فقد جعل الله تعالى لكل شيءٍ قدراً.
فهذا تفصيل ما اشتمل عليه العقد والحل.
التقليد والعزل
وهو الشطر الثاني من شروط وزارة التفويض.
فالتقليد على ضربين: تقليد تقرير، وتقليد تدبير.
فأما تقليد التقرير،
فهو فيما يستأنف إنشاء قواعده، ويبتدأ تقرير رسومه.
وهو على ثلاثة أقسام:

أحدها: أن يكون في حاضر يقدر الوزير على مباشرته، فالوزير أخص بتقريره، وأحق
بتنفيذه؛ لأنها أصول مؤبدة وهي من خواص نظره.
فإن قلد عليها واستناب فيها، كان تقصيراً منه إن جل، ومعذوراً فيه إن قل.
ولم يكن لمن قلده تنفيذ تقريره إلا عن إذنه، وإلا كان عزلاً خفياً؛ لأنه يصير ملزماً وقد كان
ملزماً، ومحكماً وقد كان حاكماً.
والثاني: أن يكون التقليد فيما بعد عنه ويمكن استئماره فيه، فيجوز أن يستنيب في
تقريره، ويكون موقوفاً على إمضاء الوزير وتنفيذه.
ولا يجمع المستناب بين الأمرين، ليكون التقليد مقصوراً على التقرير، والوزير مختصاً
بالتنفيذ.
فإن جمع المستناب بين التقرير والتنفيذ كان فيه متجوزاً، إلا أن يؤمر به فيصير الآمر
متجوزاً، إلا أن يكون اضطراراً يزول معه حكم الاختيار.
والثالث: أن يكون التقليد فيما بعد عنه ويتعذر استئماره فيه، فيجوز أن يستنيب فيه من
يجمع بين تقريره وتنفيذه إذا تكاملت في المستناب ثلاثة شروط: أحدها الكفاية التي ينهض
بها في التقرير.
والثاني الهيبة التي يطاع بها في التنفيذ.
والثالث الأمانة التي يكف بها عن الاسترشاء والخيانة، بعد تكامل الشروط المعتبرة في
جميع الولايات، وهي ثلاثة: العقل، والديانة، والمروءة.
فلا فسحة في تقليد من أخل ببعضها، لقصوره عن حقها، وخروجه من أهلها؛ وإنما
يختلف ما سواها باختلاف الولايات، وإن كانت هذه مستحقةً في جميعها.
وقد قال كسرى أبرويز: من اعتمد على كفاة السوء لم يخل من رأيٍ فاسدٍ وظنٍ كاذبٍ
وعدوٍ غالب.
وقد قال بعض الحكماء: لا تستكفينّ مخدوعاً عن عقله؛ والمخدوع من بلغ به قدراً لا
يستحقه، أو أثيب ثواباً لا يستوجبه.
وأما تقليد التدبير،
فهو النظر فيما استقرت رسومه، وتمهدت قواعده.
وهو مشتركٌ بين الوزير وبين الناظر فيه؛ لكن يختص الوزير بمراعاته، والناظر بمباشرته؛
ليستظهر الوزير بالمراعاة، ولا يتبذل بالمباشرة.
وهو ضربان: أحدهما تدبير الأجناد.

والثاني تدبير الأموال.
فأما تدبير الأجناد، فلا يستغني الوزير عن تقليد سفيرٍ فيه وإن كانوا يلاقونه؛ ليحفظ
بالسفير حشمة وزارته ولا يقف أغراض أجناده، وقد انصان عن لغط كلامهم، وجفوة
طباعهم.
والأغلب على تدبيرهم الرأي والسياسة.
فيعتبر في الثاني: أن يكون من ذوي الرأي والسياسة، ليقودهم برأيه إلى الصواب ويقفهم
بسياسته على الاستقامة.
والثالث: أن يكون متوصلاً إلى استعطاف القلوب، واجتماع الكلمة، ليسلموا من اختلاف
أو منافرة.
والرابع: أن يكون بينه وبين الأجناد مناسبةٌ في الطباع ومشاكلةٌ في الأخلاق يمتزجون بها في
الموافقة ولا يختلفون فيها في المباينة.
والخامس: أن يكون سليم الباطن صحيح المعتقد؛ لأنه يصير أخص بهم، ويصيرون أطوع
له.
والسادس: ما اختلف باختلاف الحال، فإن كان في زمان السلم اعتبر فيه الأناة والسكون؛
وإن كان في زمان الحرب اعتبر فيه الإقدام والسطوة، ليكون مطبوعاً على ما يضاهي حال
زمانه.
فإذا ظفر بمن استكملها - وبعيدٌ أن يظفر به إلا أن يعان بالتوفيق - وجب تقليده، ولزمت
مناصفته في الحقوق التي له وعليه، ليدوم ويستقيم.
فقد قيل في منثور الحكم: من قضيت واجبه، أمنت جانبه.
وأما تدبير الأموال،
فالوزير مصون عن مباشرتها، وإنما يحفظ دخلها بالهيبة والاستظهار، ويضبط خرجها
بالحاجة والاضطرار.
وللتقليد على كل حال منهما شروط.
فشروط التقليد على مباشرة دخلها خمسة:
أحدها: أن يكون مطبوعاً على العدل، لينصف وينتصف.
والثاني: أن يكون متديناً بالأمانة، ليستوفي ويوفّى.
والثالث: أن يكون كافياً، ليضبط بكفايته، ولا يضيع بعجزه.
والرابع: أن يكون خبيراً بعمله يعرف وجوه مواده، وأسباب زيادته.
والخامس: أن يكون رفيقاً بمعامليه غير عسوف ولا أخرق.
حكي أن الإسكندر كتب إلى معلمه أرسطاطاليس ليستشيره في عماله؛ فكتب إليه: إن

من كان له عبيدٌ فأحسن في سياستهم فوله الجند، ومن كان له ضيعةٌ فأحسن تدبيرها فوله
الخراج.
شروط التقليد على مباشرة خرجها،
بعد الأمانة التي هي مشروطة في كل ولاية، فمعتبرةٌ بأحوال الخرج.
وينقسم إلى ثلاثة أقسام:
أحدها: ما كان راتباً عن رسوم مستقرة كأرزاق الجيوش والحواشي، فللتقليد عليه
شرطان: معرفة مقاديرها، ومعرفة مستحقيها.
والثاني: ما كان عارضاً عن أوامر تقدمتها والناظر مأمورٌ بها كالصلات وحوادث النفقات،
فللتقليد عليه شرطان: وقوفها على الأوامر، ومعرفة أغراض الآمر.
والثالث: ما كان عارضاً فوض إلى رأي الناظر ووكل إلى تقريره كالمصالح والنفقات،
فالتقليد عليه أوفى شروطاً لوقوفها على اجتهاده وتقديره، فيحتاج مع الأمانة إلى ثلاثة
شروط:
أحدها: معرفة وجوه الخرج، حتى لا يتصرف في غير حق.
والثاني: الاقتصاد فيه، حتى لا يفضي إلى سرف ولا تقصير.
والثالث: استصلاح الأثمان والأجور من غير تحيفٍ ولا غبن.
العزل فضربان:
أحدهما: ما كان عن غير سبب فهو خارجٌ عن السياسة؛ لأن للأفعال والأقوال أسباباً إذا
تجردت عنها صار الفعل عبثاً والكلام لغواً لا يقتضيه رأي حصيف، ولا توجبه سياسة
لبيب.
وقد قيل: العزل أحد الطلاقين.
فكما أنه لا يحسن الطلاق بغير سبب، كذلك لا يحسن العزل بغير سبب.
وإذا لم يثق الناظر باستدامة نظره مع الاستقامة، عدل عنها إلى النظر لنفسه، فعاد الوهن
على عمله.
وما يكون هذا العزل إلا عن فشلٍ أو ملل.
والضرب الثاني: أن يكون العزل لسبب دعا إليه.
وأسبابه تكون من ثمانية أوجه:
أحدها: أن يكون سببه خيانةً ظهرت منه، فالعزل لها من حقوق السياسة مع استرجاع
الخيانة والمقابلة عليها بالزواجر المقومة.
ولا يؤاخذ فيها بالظنون والتهم.
فقد قيل: من يخن يهن.

والوجه الثاني: أن يكون سببه عجزه وقصور كفايته، فالعمل بالعجز مضاع، وهو نقص في
العاجز وإن لم يكن ذنباً له؛ فلا يجوز في السياسة إقراره على العمل الذي عجز عنه.
ثم روعي عجزه بعد عزله، فإن كان لثقل ما تقلده من العمل جاز أن يقلد ما هو أسهل،
وإن كان لقصور منته وضعف حزمه لم يكن أهلاً لتقليدٍ ولا عمل.
والوجه الثالث: أن يكون سببه اختلال العمل من عسفه أو خرقه.
فهذا السبب زائدٌ على الكفاية، وخارجٌ عن السياسة. والوزير المقلد فيه بين خيارين: إما
أن يعزله بغيره، وإما أن يكفه عن عسفه وخرقه.
ويجوز أن يكون مرصداً لتقليد ما تدعو السياسة فيه إلى العسف لمن شاق ونافر.
فقد قيل: لكل بناء أساس، ولكل تربة غراس.
والوجه الرابع: أن يكون سببه انتشار العمل به من لينه وقلة هيبته.
فهذا السبب موهنٌ للسياسة.
والوزير فيه بين خيارين: إما أن يعزله بمن هو أقوى وأهيب، وإما أن يضم إليه من تتكامل
به القوة والهيبة.
وخياره فيه معتبرٌ بالأصلح.
ويجوز أن يقلد بعد صرفه ما لا يستضر فيه بضعفه.
والوجه الخامس: أن يكون سببه فضل كفايته وظهور الحاجة إليه فيما هو أكبر من عمله.
فهذا أحمد وجوه العزل وليس بعزل في الحقيقة، وإنما هو نقلٌ من عمل إلى ما هو أجلّ منه،
فصار بهذا العزل زائد الرتبة.
وقد قال بعض البلغاء: الناس في العمل رجلان: رجلٌ يجلٌ به العمل لفضله ورياسته؛ ورجل
يجلٌ بالعمل لتقصيره ودناءته، فمن جلّ به العمل ازداد تواضعاً وبشراً، ومن جلّ بالعمل
ازداد ترفعاً وكبراً.
والوجه السادس: أن يكون سببه وجود من هو أكفأ منه.
فيراعى حال الأكفأ، فإن كان فضل كفايته مؤثراً في زيادة العمل به كان عزل الناظر به من
لوازم السياسة ولم يسغ فيها إقراره على عمله؛ وإن لم يؤثر في زيادة العمل كان عزل الناظر
من طريق الأولى في تقديم الأكفاء وتخير الأعوان، وإن جاز في السياسة إقرار الناظر على
عمله لنهوضه به.

والوجه السابع: أن يكون سببه أن يخطب عمله من الكفاة من يبذل زيادةً فيه.
فلا يجوز عزله ببذل الزيادة حتى يكشف عن سببها، فربما تخرص بها الباذل لرغبة في
العمل، أو لعداوة في العامل.
فإن لم يظهر لها بعد الكشف موجبٌ لم يجز في السياسة عزله بهذا البذل الكاذب؛ وكان
الباذل جديراً بالإبعاد لابتدائه بالإدغال.
فإن ظهر موجب الزيادة لم يخل من ثلاثة يكون موجبها فضل كفاية الباذل؛ فيجب عزله
بالباذل دون غيره.
والثالث أن يكون سببها عسف الباذل وخرقه، فلا يجوز في السياسة عزل الناظر ولا
تقريب الباذل، فربما مال إلى الزيادة من تغاضى عن العدل، فعزل وقلد فصار هو العاسف
المجازف.
والوجه الثامن: أن يكون سببه أن الناظر مؤتمنٌ، فيخطب عمله ضامنٌ.
فتضمين الأعمال خارجٌ عن قوانين السياسة العادلة، لأن المؤتمن عليها إذا كان كافياً
استوفى ما وجب، وكف عما لم يجب؛ وهذا هو العزل.
والضامن إن ضمنها بمثل ارتفاعها لم يؤثر، وإن ضمنها بأكثر منه تحكم في عمله، وكان بين
عسفٍ أو هرب، لأنه ضمن ليغنم لا ليغرم.
وحكي أن المأمون عزم على تضمين السواد، وعنده عبيد الله ابن الحسن العنبري
القاضي؛ فقال له: يا أمير المؤمنين إن الله قد دفعها إليك أمانة، فلا تخرجها من يدك قبالة.
فعدل عن الضمان.
فهذا تفصيل ما تعلق بوزارة التفويض من عقدٍ وحلٍ وتقليدٍ وعزلٍ.
فلنذكر حقوق الملك على وزيره وحقوق الوزير على ملكه.
حقوق الملك وحقوق الوزير
حقوق السلطان على وزيره
فهي ثلاثة:
أحدها: قيامه بمصالح ملكه، وهي أربع: عمارة بلاده، وتقويم أجناده، وتثمير أمواله،
وحياطة رعيته.
والثاني: قيامه بمصالح نفسه، وهي أربع: إدرار كفايته، وتحمل عوارضه، وتهذيب حاشيته،
وإعداد ما يستدفع به النوائب.

والثالث: قيامه بمقاومة أعدائه،وذلك بأربعة أشياء: تحصين الثغور، واستكمال العدة،
وترتيب العساكر، وتقدير الحدود.
فيجب على الوزير أن يؤدي حقوق سلطانه، ويوفي شروط ائتمانه؛ ويحذر بادرة مؤاخذته
إن قصر، وسطوة انتقامه إن فرط؛ لأن بادرة الانتقام، أسرع من ظهور الإنعام؛ لأن الانتقام
يصدر عن طيش الغضب، والإنعام يصدر عن أناة الكرم.
وقد قيل في حكم الفرس: ما أضعف طمع صاحب السلطان في السلامة.
وذلك أنه إن عفّ جنى عليه العفاف عداوة الخاصة، وإن بسط يده جنى عليه البسط
ألسنة المتنصحين.
فلزم لذلك أن يكون حذره أغلب من رجائه، وخوفه أكثر من أمنه.
ولئن تكدر بهما العيش فهما إلى السلامة أدعى.
حقوق الوزير على السلطان
فثلاثةٌ:
أحدها: معونته على نظره.
وذلك بأربعة أشياء: تقوية يده، وتنفيذ أمره، وإطلاق كفايته،وألا يجعل لغيره عليه أمراً.
وقد قال سابور بن أردشير في عهده إلى ابنه هرمز: ينبغي للوزير أن يكون قوي الأمر،
مقبول القول، يمنعه مكانه منك، من الضراعة لغيرك، وتبعثه الثقة بك، على بذل النصيحة
لك، ويشجعه ما يعرف من رأيك، على مقاومة أعدائك؛ وأحذرك أن تنزل بهذه المنزلة من
سواه من خدمك.
والثاني: أن يثق منه بأربعة أشياء: ألا يؤاخذه بغير ذنب، وألا يطمع في ماله من غير خيانة،
وألا يقدم عليه من هو دونه، وألا يمكن منه عدواً.
وقد عهد ملكٌ إلى ابنه فقال: يا بني، إنك لن تصل إلى إحكام ما تريده من تدبير ملكك إلا
بمعونة وزرائك وأعوانك، فأعنهم على طاعتك بمياسرتك، وعلى معونتك بمساعدتك.
والثالث: أن يحفظ منزلته من أربعة أشياء: الأول ألا يرتاب بباطنه وظاهره سليمٌ،
فيؤاخذ بالظن، ويعجز عن دفعه باليقين؛ فليس يؤاخذ بضمائر القلوب، إلا علاّم الغيوب.
قيل لكسرى قباذ: إن قوماً من خواصك قد فسدت سرائرهم؛ فوقع: أن أملك الأجساد
دون النيات، وأحكم بالعدل لا بالرضا، وأفحص عن الأعمال لا عن السرائر.

والثاني: ألا يستبدل به ونظره مستقيم، فيقل نفعه، ويضعف نشاطه، ولا يجهد نفسه في
النهوض بما كفله؛ فإن داعي الطبع أبلغ من مصنوع التكلف.
وقد اتخذه لاستقامةٍ وجدها به.
فإذا أضاع حقه بالاستبدال ظلم نفسه، وكان من غيره على خطر.
وقد قال كسرى: الوزارة أبعد الأمور من أن تحتمل غير أهلها.
لأن الوزير من الملك بمنزلة سمعه وبصره ولسانه وقلبه، لأنه مغلق الأبواب، مستور عن
الأبصار؛ ليحفظه في أمواله، ويستر خلله في أفعاله؛ وحقيقٌ بمن كان بهذه المنزلة أن يكون
محفوظا.
والثالث: ألا يؤاخذه بدرك ما جره القضاء وساقه القدر، فيجعله غرضاً في معارضة
خالقه.
وهل الوزير فيه إلا كالملك! فأفعال الله عز وجل لا تكون ذنوباً لعباده.
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا أراد الله إنفاد قضائه وقدره سلب
ذوي العقول عقولهم حتى ينفذ فيهم قضاؤه وقدره".
والرابع: ألا يحمله ما ليس في قدرته، ولا يكلفه ما ليس في طاقته، فلا يكلف الله نفساً إلا
وسعها.
وما ذاك إلا من دواعي التجني، ومبادئ التنكر.
فهذه حقوق الوزير على سلطانه.
وهي مقابلة لحقوق السلطان على وزيره.
لكن حقوق الوزير موضوعةٌ على المسامحة في أكثرها، وحقوق السلطان موضوعةٌ على
المؤاخذة بأقلها؛ لاستطالته عليه بالقدرة وقصوره عنه بالنيابة.
وحيث ذكرنا هذه الحقوق الداخلة في وزارة التفويض فلنذكر وزارة التنفيذ.
وزارة التنفيذ
قال الماوردي ما معناه: إن لوزارة التنفيذ أربعة قوانين:
فالأول من قوانينها: السفارة بين الملك وأهل مملكته، لأن الملك معظمٌ بالحجاب، مصون عن
المباشرة بالخطاب؛ فاقتضى ذلك اختصاصه بسفيرٍ محتشمٍ ووزيرٍ معظم مطاعٍ فيما يورده
عنه من الأوامر والنواهي، ويهاب فيما يتحمله إليه من المطالب والمباغي.
ليكون للملك لساناً ناطقاً، وأذناً واعية.
وهذه السفارة مختصة بخمسة أصناف:
السفارة بين الملك وأجناده،

فيحملهم على أوامره ونواهيه، ويتنجز لهم من الملك ما استوجبوه أو سألوه.
ويحتاج في سفارته معهم أن يجمع بين اللين والعنف، والخشونة واللطف؛ ليقتادهم إلى
طاعته بالرغبة والرهبة.
والثاني: السفارة بين الملك وعماله، فيستوفي مناظرة العمال ويتصفح أحوال الأعمال؛
ليستدرك خللاً إن كان، ويستديم صلاحاً إن وجد.
ويحتاج في هذه السفارة إلى استعمال الرهبة خاصةً؛ ليكفهم عن الخيانة، ويبعثهم على
الأمانة.
والثالث: اللين واللطف، ليصلوا إلى استيفاء الظلامة، ويستدفعوا ذل الاستضامة.
والرابع: السفارة في استيفاء حقوق السلطنة التي للملك وعليه، من غير مباشرة قبض ولا
إقباض.
ويحتاج في هذه السفارة إلى الرهبة فيما يستوفيه للملك، وإلى اللطف فيما ينجزه منه.
والخامس: السفارة في اختيار العمال، ومشارفة الأعمال؛ لينهي حال من يرى تقليده وعزله
من غير أن يباشر تقليداً ولا عزلاً؛ لأن التقليد والعزل داخل في وزارة التفويض خارج عن
وزارة التنفيذ.
وشروط هذه السفارة: أن يكون جيد الحدس، صحيح الاختيار، قليل الاغترار، عارفاً
بكفاة العمال ومقادير الأعمال، ليحمد اختياره، ويقلّ عثاره.
أن يمد الملك برأيه ومشورته؛
فإن الملك مع جزالة رأيه وصحة رويته محجوب الشخص عن مباشرة الأمور، فصار
محجوب الرأي عن الخبرة بها.
فاحتاج إلى بارز الشخص بالمباشرة، ليكون بارز الرأي بالخبرة؛ فليس شاهد كالغائب، ولا
المخبر كالمعاين.
والوزير أحق بهذه المرتبة.
وله في المشورة حالتان:
إحداهما: أن يبتدئه الملك بالاستشارة، فيلزمه إن يشير فيها برأيه سواء اختصت بملكه أو
تعدت إلى غيره.
وعلى الوزير فيها حقان: أحدهما: اجتهاد رأيه في إيضاح الصواب.
والثاني: إبانة صحته بتعليل الجواب ليكون مجيباً ومحتجاً، فيكفى توهم الزلل ويسلم من

ظنة الارتياب.
والحلة الثانية: أن يبتدئ بالمشورة على الملك: فله فيها حالتان:
إحداهما: ألا يقع بمشورته اجتلاب نفعٍ أو استدفاع ضرر.
فهذا تجوّز من الوزير، وتبسطٌ على الملك؛ إن أنكره فبحقه، وإن احتمله فبفضله.
والثانية: أن يتعلق بمشورته اجتلاب نفع، أو استدفاع ضرر.
فإن اختص بالمملكة كان من حقوق الوزارة، وإن تجاوزها كان من نصح الوزير.
وعليه أن يذكر سبب ابتدائه، ويوّضح صواب رأيه.
ويلزمه فيما يؤدى به من الاستشارة ويبدأ به من المشورة، أن يكتمه عن كل خاص وعام؛
لأمرين:
أحدهما: أن الرأي لا يجب أن يظهر إلا بالأفعال دون الأقوال؛
لأن ظهوره بالفعل ظفر،
وظهوره بالقول خطر.
وقد قيل: من وهن الأمر إعلانه قبل إحكامه.
والثاني: أنه من أسرار الملك التي يجب أن تكتم في الصدور، وتصان عن الظهور؛ ليجمع
بين تأدية الأمانة وطلب السلامة؛ فإن في إفشاء سر الملك خطراً به وبمن أفشاه.
وقلما تعفو الملوك عن مفشي أسرارها؛ لتردده بين خيانة وجناية.
أن يكون عيناً للملك ناظرة،
وأذناً سامعة، ينهي ما شاهد على حقه، ويخبر بما سمع به على صدقه؛ لأنه قد سوهم
بالملك وميز بالاختصاص، وندب للمصالح؛ فهو القائم مقام الملك في مشاهدة ما غاب،
وسماع ما بعد.
وعليه في ذلك ثلاثة حقوق:
أحدها: أن يديم الفحص عن أحوال المملكة حتى يعلم ما غاب كعلمه بما حضر، وما
خفي كعلمه بما ظهر؛ فلا يتدلس عليه حق أمرٍ من باطله، ولا يشتبه عليه صدق قولٍ من
كذبه.
فإن قصّر فيها حتى خفيت، أو استرسل فيها حتى تدلست كان مؤاخذاً بجرم التقصير،
وجريرة الضرر.
والثاني: أن يعجل مطالعة الملك بها ولا يؤخرها، وإن جاز تأخير العمل بها؛ لأن عليه
الإنهاء، وليس عليه العمل.

وإذ كان من الملك بمنزلة عينه وأذنه اللتين يتعجل العلم بهما، وجب أن يجري معه على
حكمهما، ليستدرك الملك ما يجب تعجيله، ويقدم الروية فيما يجوز تأخيره.
فإن أخر الوزير إعلام الملك بها وقد حسم ضررها، كان للنصيحة مؤدياً، ومن الملك على
وجل.
والثالث: أن يوضح له حقائق الأمور، ويساوي فيها بين الصغير والكبير، فلا يمايل قريباً، ولا
يتحيف بعيداً، ولا يعظم من الأمور صغيراً، ولا يصغر منها عظيماً.
فإن خاف من صغار الأمور أن تصير كباراً، أو كبارها أن تعود صغاراً، أخبر بحقائقها في
المبادئ، وذكر ما تؤول إليه في العواقب؛ ليكون بالمبادئ مخبراً، وفي الغايات مشيراً.
فإن أخبر بالغايات وأعرض عن ذكر المبادئ، كان تدليساً، وكان بالإنكار حقيقاً وبالذم
جديراً.
أن يفتدي راحة الملك بتعبه،
ويقي دعته بنصبه؛ ولا يغيب إذا أريد، ولا يسأم إذا أعيد؛ لأنه لسان الملك إذا نطق،
وعينه إذا رمق، ويده إذا بطش؛ فلا يبعد عن دعائه، ولا يضجر من ندائه؛ لأن عوارض
الملك من هواجس أفكاره وتقلب خاطره.
وقد يتجدد مع الأوقات ما لا تعرف أسبابه ولا تتعين أوقاته؛ فليكن هذا الوزير على رصدٍ
منها.
وربما ملّ الوزير الملازمة فأعقبته أسفاً إذا فارقها، لأن في ملازمته للملك نصباً يقترن بعزٍ،
وفي متاركته راحة تؤول إلى ذلٍ.
فليختر لنفسه ما وافقها من عز يجتذبه بالكد، أو ذلٍ يؤول إليه بالدعة.
فإنه إن صبر على ما أراده الملك ظفر بإرادته من الملك، وهو على الضد إن خالفها.
وقد قال أنوشروان: ما استنجحت الأمور بمثل الصبر، ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر.
وقيل: من خدم السلطان خدمه الإخوان.
فيطرد على هذا التعليل أن من تنكر له السلطان، تنكر له الإخوان.
هذه قوانين وزارة التنفيذ.
ما تتميز به وزارة التفويض
على وزارة التنفيذ وما تختلف فيه.

وتتميز وزارة التفويض على وزارة التنفيذ وتختلف من ستة
أوجه:
أحدها: أن الملك يقلد وزير التفويض في حقوقه وحقوق رعيته، ويقلد وزير التنفيذ في
حقوقه خاصة دون حقوق رعيته؛ لأن وزير التفويض تنفذ الأمور برأيه، ووزير التنفيذ
يمضيها بأمر الملك وعن رأيه.
والثاني: أن وزارة التفويض تفتقر إلى عقد يصح به نفوذ أفعاله، ووزارة التنفيذ لا تفتقر إلى
عقد، لأنه فيها مأمورٌ بتنفيذ ما صدر عن أمر الملك.
والثالث: أن وزير التفويض مأخوذٌ بدرك ما أمضاه، ووزير التنفيذ غير مؤاخذٍ بدركه.
والرابع: أن وزير التفويض لا ينعزل إلا بالقول أو ما في معناه دون المتاركة، لأنه قد تملك بها
مباشرة الأمور، ووزير التنفيذ ينعزل بالمتاركة لأنه مأمورٌ.
والخامس: أن وزير التفويض لا ينعزل إن كف وترك، حتى يستعفي ويعفيه الملك منها، لأنه
مستودع الأعمال فلزمه ردها إلى مستحقها، ووزير التنفيذ يجوز أن ينعزل بعزل نفسه بالكف
والمتاركة، لأنه لا شيء بيده فيؤخذ برده.
والسادس: أن وزير التفويض يفتقر إلى كفاية بالسيف والقلم، لنهوضه بما أوجبهما، ووزارة
التنفيذ غير مفتقرة إليهما لقصورها عنهما.
ويعتبر في وزير التنفيذ ستة أوصاف: وهي الأبهة والمنة والهمة والعفة والمروءة وجزالة
الرأي.
وهذه الأوصاف معتبرة في كل مدبر ذي رياسة.
حقوق الوزارة وعهودها ووصايا الوزراء
أما حقوق الوزارة: فهي أن تقلد لمن اجتمعت فيه ثمانية أوصاف، وهي التي ذكرها
الماوردي في قوانين الوزارة، وبينها بالنص والتعيين لا بالتعريض والإشارة:
فأحدها: أن يكون بأعباء الوزارة ناهضاً، وفي مصالح المملكة راكضاً؛ يقدم حظ الملك
على حظ نفسه ويعلم أن صلاحه مقترن بصلاحه؛ فلن تستقيم أحوال الوزير مع اختلال
أحوال الملك، لأن الفروع إنما تستمد من أصولها.
والثاني: أن يكون على الكد والتعب قادراً، وفي السخط والرضا صابراً؛ لا ينفر إن
أوحش، فإن نفوره عطب.
وليتوصل إلى راحته بالتعب، وإلى دعته بالنصب.
وقد قيل: علة الراحة قلة الاستراحة.

وقال عبد الحميد: أتعب قدمك، فكم تعبٍ قدمك!.
فإن تشاغل الوزير براحته، ومال إلى لذته، سلبهما بالتنكر،
وعدمهما بالتغير.
والثالث: أن يكون لإحسان الملك شاكراً؛ ولإساءته عاذراً، يشكر
على يسير الإحسان،
ويعذر على كثير الإساءة، ليستمد بالشكر إحسانه، ويستدفع
بالعذر إساءته.
فإن عدل عنهما، كان منه على ضدهما.
فقد قيل: أحق الناس بالمنع الكفور، وبالصنيعة الشكور.
والرابع: أن يظهر محاسنه إن خفيت، ويستر مساويه إن ظهرت،
لأنه بمحاسنه موسومٌ
وبمساويه مقروف، يشاركه في حمد محاسنه، ويؤاخذ بذم
مساويه.
وربما استرسل الملك لثقته بالاحتجاب، فارتكب بالهوى ما
يصان عن إذاعته، فكان الوزير
أحق بستره عليه، لأنه الباب المسلوك منه إليه.
والخامس: أن تخلص نيته في طاعته، ويكون سره كعلانيته، فإن
القلوب جاذبة تملك أعنة
الأجساد؛ فإن اتفقا، وإلا فالقلب أغلب، وإلى مراده أجذب.
والقلوب تنم على الضمائر فتهتك أستارها وتذيع أسرارها.
وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "في
ابن آدم مضغةٌ إذا صلحت
صلح الجسد وإذا فسدت فسد الجسد ألا وهي القلب".
والسادس: ألا يعارض الملك فيمن قرب واستبطن، ولا يماريه
فيمن حط ورفع؛ فإنه يتحكم
بقدرته ويأنف من معارضته.
فربما انقلب بسطوته إذا عورض، ومال بانتقامه إذا خولف.
فبوادر الملك تسبق نذيرها، وتدحض أسيرها؛ فإن سلم من
الخطر لم يسلم من الضجر.
والسابع: أن يتقاصر عن مشاكلة الملك في رتبته، ويقبض
نفسه عن مثل هيئته، فلا يلبس
مثل ملابسه، ولا يركب مثل مراكبه، ولا يستخدم مثل خدمه؛ فإن
الملك يأنف إن موثل،
وينتقم إن شوكل، ويرى أن ذلك من أمواله المجتاحة، وحشمته
المستباحة.
وليقتصر على نظافة لباسه وجسده من غير تصنع، فإن النظافة
من المروءة، والتصنع
للنساء؛ ليكون بالسلامة محفوظاً، وبالحشمة ملحوظاً.
والثامن: أن يستوفي للملك ولا يستوفي عليه، ويتأول له ولا
يتأول عليه؛ فإن الملك إذا أراد
الإنصاف كان عليه أقدر، وإن لم يرده فيد الوزير معه أقصر؛
وإنما أراد الوزير عوناً لنفسه ولم

يرده عوناً عليها.
فإن وجد إلى مساعدته سبيلاً سارع إليها، وإن خاف ضررها وانتشار الفساد بها
تلطف في كفه عنها إن قدر.
فإن تعذر عليه تلطف في الخلاص منها؛ ولا يجهر بالمخالفة.
سئل بعض حكماء الروم عن أصلح ما عوشر به الملوك، فقال: قلة الخلاف وتخفيف
المؤنة.
والملوك لا يصحبون إلا على اختيارهم ولا يتمسكون إلا بمن وافقهم على آرائهم.
وإذا روعيت أحوال الناس وجدوا لا يأتلفون إلا بالموافقة، فكيف الملوك!.
قال شاعر:
الناس إن وافقتهم عذبوا أو لا فإن جناهم مر
كم من رياضٍ لا أنيس بها تركت لأن طريقها وعر
عهودها ووصاياها.
فلم أر فيما طالعته في هذا المعنى أشمل ولا أكمل ولا أنفع ولا أجمع من كلامٍ لأبي الحسن
الماوردي؛ فلذلك أوردته بفصه، وأتيت على أكثر نصه.
قال الماوردي: فأما العهود الموقظة فسأقول، وأرجو أن يقترن بالقبول: اجعل أيها الوزير لله
تعالى على سرك رقيباً يلاحظك من زيغٍ في حقه، واجعل لسلطانك على خلوتك رقيباً
يكفك عن تقصير في أمره؛ ليسلم دينك في حقوق الله تعالى، وتسلم دنياك في حقوق
سلطانك، فتسعد في عاجلتك وآجلتك.
فإن تنافى اجتماعهما لك فقدم حق الله تعالى على حق الملك.
ف "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق".
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من أحب دنياه أضر بآخرته ومن
أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى"، وعنه صلى الله عليه وسلم أنه
قال: " من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس".
قال: حق عليك أيها الوزير أن تكون بأمور الناس خبيراً، وإلى أحوالهم متطلعاً، وبهم على
نفسك وعليهم مستظهراً، لأنهم من بين من تسوسه أو تستعين به، لتعلم ما فيهم من فضل
ونقص وعلم وجهل وخير وشر، وتتحرز مع غرور المتشبه وتدليس المتصنع؛ فتعطي كل
واحد حقه، ولا تقصر بذي فضل، ولا تعتمد على ذي جهل.

فقد قيل: من الجهل صحبة ذوي الجهل، ومن المحال مجادلة ذوي المحال،
وافرق بين الأخيار والأشرار، فإن ذا الخيريبني، وذا الشر يهدم.
واحذر الكذوب فلن ينصحك من غش نفسه؛ ولن ينفعك من ضرها.
ولا تستكفينّ عاجزاً فيضيع العمل، ولا شرهاً فيضرك باحتجانه، ولا تعبأ بمن لا يحافظ
على المروءة، فقلما تجد فيه خيراً؛ لزهده في صيانة النفس وميله إلى خمول القدر.
وبعيدٌ ممن أسقط حق نفسه أن يقوم بحق غيره، وصعبٌ على من ألف إسقاط التكلف أن
يحول عنه.
وقد قيل في حكم الهند: ذو المروءة يرتفع بها، وتاركها يهبط؛ والارتقاء صعب والانحطاط
هين، كالحجر الثقيل الذي رفعه عسير وحطه يسير.
وقال بعض البلغاء: أحسن رعاية ذوي الحرمات، وأقبل على أهل المروءات؛ فإن رعاية
ذوي الحرمة تدل على كرم الشيمة، والإقبال على ذوي المروءة يعرب عن شرف الهمة.
اختبر أحوال من استكفيته لتعلم عجزه من كفايته، وإحسانه من إساءته؛ فتعمل بما علمت
من إقرار الكافي وصرف العجز، وحمد المحسن وذم المسيء.
فقد قيل: من استكفى الكفاة، كفي العداة.
فإن التبست عليك أمورهم أوهنت الكافي وسلطت العاجز، وأضعت المحسن وأغريت
المسيء.
ولأن يكون العمل خالياً فتصرف إليه فكرك أولى من أن يباشره عاجز أو خائن فيقبح بهما
أثرك.
فاحذر العاجز فإنه مضيع، وتوقّ الخائن فإنه يكدح لنفسه.
قال شاعر:
إذا أنت حمّلت الخؤون أمانةً   فإنك قد أسندتها شر مسند
اقتصر في أعوانك بحسب حاجتك إليهم. ولا تستكثر منهم لتكثر بهم. فلن يخلو
الاستكثار من تنافر يقع به الخلل، أو اتفاقٍ يستأكل به العمل.
وليكن أعونك وفق ًأعمالك، فإنه أنظم للشمل وأجمع للعمل وأبلغ في الاجتهاد وأبعث على
النصح.
قال ابن الرومي:
عدوك من صديقك مستفادٌ   فلا تستكثرنّ من الصحاب
فإن الداء أكثر ما تراه   يكون من الطعام أو الشراب
فدع عنك الكثير فكم كثيرٍ   يعاف وكم قليلٍ مستطاب

فما اللجج الملاح بمروياتٍ وتلقى الريّ في النطف العذاب
هذب نفسك من الدنس تتهذب جميع أتباعك.
ونزه نفسك عن الطمع تتنزه جميع خلفائك وتوقّ الشره فلن يزيدك إلا حرصاً إن أجديت،
ونقصاً إن أكديت، وهما معرة ذي الفضل ومضرة أولي الحزم.
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "اقتربت الساعة ولا يزداد الناس في
الدنيا إلا حرصاً ولا تزداد منهم إلا بعداً".
رض نفسك عن الطمع يتنزه جميع عمالك، وتنتظم بك جميع أعمالك.
ولا تكل إلى غيرك ما تختص بمباشرته طلباً للدعة، فتعزل عنه نفسك وتؤثر به غيرك؛
فتكون من وفائه على غدر، ومن نفسك على تقصير.
قال بزرجمهر: إن يكن الشغل مجهدة، فإن الفراغ مفسدة.
وقال عبد الحميد: ما زانك ما أضاع زمانك، ولا شانك ما أصلح شانك.
اجعل زمان فراغك مصروفاً إلى حالتين: إحداهما راحة جسدك وإجمام خاطرك، ليكونا
عوناً لك على نظرك.
والثانية أن تفكر بعد راحة جسدك وإجمام خاطرك فيما قدمته من أفعالك، وتصرفت فيه
من أعمالك: هل وافقت الصواب فيه فتقويه وتجعله مثالاً تحتذيه، أو نالك فيها زللٌ
فتستدرك منه ما أمكن، وتنتهي عن مثله في المستقبل.
فقد قيل: من فكر أبصر.
وقال بعض البلغاء: من لم يكن له من نفسه واعظ، لم تنفعه المواعظ.
اخفض جناحك لمن علا، ووطئ كنفك لمن دنا، وتجاف عن الكبر تملك من القلوب
مودتها، ومن النفوس مساعدتها.
فقد قيل لحكيم الروم: من أضيق الناس طريقاً، وأقلهم صديقاً؟ قال: من عاشر الناس
بعبوس وجهه، واستطال عليهم بنفسه.
ولذلك قيل: التواضع في الشرف، أشرف من الشرف.
كن شكوراً في النعمة، صبوراً في الشدة، لا تبطرك السراء، ولا تدهشك الضراء؛ لتكافأ
أحوالك، وتعتدل خصالك؛ فتسلم من طيش البطر وحيرة الدهش.
فقد قال بعض الحكماء: اشتغل بشكر النعمة عن البطر بها.
وقيل في أمثال الهند: العاقل لا يبطر بمنزلةٍ أصابها ولا شرفٍ وإن عظم، كالجبل الذي لا

يتزلزل وإن اشتدت الرياح، والسخيف تبطره أدنى منزلةٍ
كالحشيش الذي تحركه أدنى الرياح.
استدم مودة وليك بالإحسان إليه، واستسل سخيمة عدوك بعد
الاحتراز منه، وداهن من
يجاهرك بعداوتك.
فقد قيل لبعض الحكماء: ما الحزم؟ قال: مداجاة الأعداء،
ومؤاخاة الأكفاء.
ولا تعول على التهم والظنون واطرح الشك باليقين.
فقد قيل: لا يفسدك الظن على صديق قد أصلحك اليقين له.
قال شاعر:
إذا أنت لم تبرح تظن وتقتضي   على الظن أردتك الظنون
الكواذب
واختبر من اشتبهت حاله عليك ، لتعلم معتقده فيك، فتدري أين
تضعه منك؛ فإن
الألسن لا تصدق عن القلوب؛ لما يتصنعه المداجي ويتكلفه
المداهن.
وشهادات القلوب أصدق، ودلائل النفوس أوثق.
فإن وقفت بك الحال على الارتياب، اعتقدت المودة في ظاهره،
وأخذت بالحزم في باطنه.
وإذا أقنعك الإغصاء عن الاختبار فلا تتخطه، فأكثر الأمور تمشي
على التغافل
والإغضاء.
فقد قال أكثم بن صيفي: من تشدد نفّر، ومن تراخى تألّف،
والسرّ وفي التغافل.
ولقلما جوهر المغضي وقوطع المتغافل، مع انعطاف القلوب
عليه، وميل النفوس إليه.
وهذا من أسباب السعادة وحسن التوفيق.
شاور في أمورك من تثق منه بثلاث خصال: صواب الرأي،
وخلوص النية، وكتمان السر.
فلا عار عليك أن تستشير من هو دونك إذا كان بالشورى خبيراً؛
فإن لكل ذي عقل
ذخيرةً من الرأي وحظاً من الصواب، فتزداد برأي غيرك وإن كان
رأيك جزلاً، كما يزداد
البحر بمواده من الأنهار وإن كان غزيراً.
وقد يفضل المستشير على المشير؛ ويظفر المشير بالرأي لأنها
ضالة يظفر بها من وجدها
من فاضل ومفضول.
وعول على استشارة من جرب الأمور وخبرها، وتقلب فيها
وباشرها، حتى عرف
مواردها ومصادرها، فلن يخفى عليه خيرها وشرها، ما لم يوهنه
ضعف الهرم.

واعدل عن استشارة من قصد موافقتك متابعةً لهواك، أو اعتمد مخالفتك انحرافاً عنك،
وعوّل على من توّخى الحق لك وعليك.
فقد قيل في قديم الحكم: من التمس الرخص من الإخوان في الرأي، ومن الأطباء في
المرض، ومن الفقهاء في الشبه، أخطأ الرأي، وزاد في المرض، واحتمل الوزر.
ولا تؤاخذ من استشرت بدرك الرأي أن زلّ، فما عليه إلا الاجتهاد وإن حجزته الأقدار
عن الظفر.
وقد قيل في منثور الحكم: من كثر صوابه لم يطرح لقليل الخطأ.
اختر لأسرارك من تثق بدينه وكتمانه، وتسلم من إذاعته وإدلاله، ولو قدرت ألا تودع سرك
غيرك، وكان أولى بك وأسلم لك؛ لأنك فيها بين خطر أو حذر.
وقد قيل في منثور الحكم: انفرد بسرك ولا تودعه حازماً فيزل، ولا جاهلاً فيخون.
تثبت فيما لا تقدر على استدراكه؛ فقلما تعقب العجلة إلا ندماً.
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من تأنى أصاب أو كاد ومن عجل
أخطأ أو كاد".
وقيل في حكمة آل داود: من كان ذا تؤدة وصف بالحكمة.
وقدم ما قدرت عليه من المعروف، فقلما يعقب الريث إلا فواتاً؛ فإن للقدرة غايةً، ولنفوذ
الأمر نهاية، فاغتنمها في مكنتك تسعد بما قدمته، ويسعد بك من أعنته.
قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: انتهزوا الفرصة فإنها تمر مر السحاب.
وقال بعض الحكماء: من أخر الفرصة عن وقتها، فليكن على ثقة من فوقها.
واحذر قبول المدح من المتملقين، فإن النفاق مركوز في طباعهم، ويدا جونك بهين عليهم؛
فإن نفقوا عليك غششت نفسك، وداهنت حسك؛ وأنت أعرف بنفسك من غيرك فيما
تستحق به حمداً أو ذماً.
فناصح نفسك بما فيها، فإنك أعلم بمحاسنها ومساويها.
فقد قيل فيما أنزل الله تعالى من الكتب السالفة : "عجبٌ لمن قيل فيه الخير وليس فيه
كيف يفرح! وعجب لمن قيل فيه الشر وهو فيه كيف يغضب!".
وقال بعض البلغاء: من أظهر شكرك فيما لم تأت إليه فاحذره أن يكفر نعمك فيما أسديت
إليه.

ففوض مدحك إلى أفعالك، فإنها تمدحك بصدقٍ إن أحسنت، وتذمك بحق إن أسأت.
ولا تغتر بمخادعة اللسان الكذوب.
فقد قيل: أبصر الناس من أحاط بذنوبه، ووقف على عيوبه.
وكتب حكيم الروم إلي الإسكندر: لا ترغب في الكرامة التي تنالها من الناس كرهاً، ولكن
في التي تستحقها بحسن الأثر وصواب التدبير.
اعتمد بنظرك إحماد سلطانك وشكر رعيتك، تكن أيامك سعيدة، وأفعالك محمودة،
والناس بك مسرورين، ولك أعواناً مساعدين؛ ويبقى بعدك في الدنيا جميل أثرك، وفي الآخرة
جزيل أجرك.
واستعذ بالله من صدها فتعدل بك إلى ضدها، فإن الولايات كالمحك تظهر جواهر أربابها،
فمنهم نازلٌ مرذول ومنهم صاعد مقبول.
فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:
"أحسنوا جوار نعم الله فقلما
زالت عن قوم فعادت إليهم".
وتعرض رجل ليحيى بن خالد وهو على الجسر بكتاب وسأله أن يختمه؛ فقال: يا غلام
اختم كتابة ما دام الطين رطباً، ثم أنشد:
إذا هبت رياحك فاغتنمها وجد فلكل خافقةٍ سكون
ولا تغفل عن الإحسان فيها فما تدري السكون متى يكون
إذا نلت من سلطانك حظاً، وأوجبت عليه بخدمتك حقاً، فلا تستوفه، ودع لنفسك بقيةً
يدخرها لك ويراها حقاً من حقوقك، ويكون كفيل أدائها إليك.
فإن استوفيتها برئ وصرت إلى غايةٍ ليس بعدها إلا النقصان.
قال الشاعر:
إذا تم أمرٌ بدا نقصه توقع زوالاً إذا قيل تم
واعلم أنك مرصد لحوائج الناس، لأن بيدك أزمة الأمور وإليك غاية الطلب، فكن عليها
صبوراً، تكن بقضائها مشكوراً؛ ولا تضجر على طالبها وقد أملك ولا تنفر عليه إذا
راجعك؛ فما يجد الناس من سؤلك بداً.
ولخير دهرك أن ترى مرجواً.
قال أبو بكر بن دريد:
لا تدخلنك ضجرةٌ من سائلٍ فلخير دهرك أن ترى مسئولا
لا تجهن بالرد وجه مؤملٍ فبقاء عزك أن ترى مأمولا
واعلم بأنك عن قليلٍ صائرٌ خبراً فكن خبرا يروق جميلا
وقد قيل في الصحف الأولى: القلب الضيق لا تحسن به الرياسة، والرجل اللئيم لا يحسن به
الغنى.

ولئن كانت الحوائج كالمغارم لمن استثقلها فهي مغانم لمن وفق لها.
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما عظمت نعمة الله على عبدٍ ألا
عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل مؤنة الناس عرّض تلك النعمة للزوال".
وإذا جعلت الوزارة غايات الأمور إليك، وحوائج الناس واقفةً عليك، والقدرة لك
مساعدةٌ، لانبساط يدك ونفوذ أمرك صرت بالتوقف والإعراض مخلاً بحقوق نظرك، وآسفاً
على فوات مكنتك.
فقد قال بهرام جور في عهده إلى ملوك فارس: إنكم بمكانٍ لا مصرف للناس عن حوائجهم
إليكم، فلتتسع صدوركم كاتساع سلطانكم.
قال علي بن الجهم:

إذا جدد الله لي نعمةً شكرت ولم يرني جاحدا
ولم يزل الله بالعائدات على من يعود بها عائدا
أ يا جامع المال وفرته لغيرك إذ لم تكن خالدا!
فإن قلت أجمعه للبنين فقد يسبق الولد الوالدا
وإن قلت أخشى صروف الزمان فكن في تصاريفه واحدا

فاجعل يومك أسعد من أمسك، وصلاح الناس عندك كصلاح نفسك.
ومل إلى اجتذاب القلوب بالاستعطاف، وإلى استمالة النفوس بالإنصاف، تجدهم كنزاً في
شدائدك، وحرزاً في نوائبك.
احذر دعوة المظلوم وتوقها، ورق لها إن واجهك بها، ولا تبعثك العزة على البطش فتزداد
ببطشك ظلماً، وبعزتك بغياً.
وحسبك بمنصور عليك الله ناصره منك.
كن عن الشهوات عزوفاً تنفك من أسرها، فإن من قهرته الشهوة كان لها عبداً، ومن
استعبدته ذل بها.
وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من اشتاق إلى الجنة سارع إلى
الخيرات ومن أشفق من النار لها عن الشهوات".
وقيل لبعض حكماء الروم: ما الملك الأعظم؟ قال: أن يغلب الإنسان شهوته.
وكن بالزمان خبيراً تسلم من عثرته؛ فإن الاغترار به مردٍ.
وقدم لمعادك ليبقى عليك ما ذخرته، فلن تجد إلا ما قدمته؛ وإنك لتجازى بما صنعت.
واستقل الدنيا تجد في نفسك عزاً، فترضى إذا سخطت، وتسر إذا حزنت، فلن يذل إلا

طالبها، ولن يحزن إلا صاحبها.
فقد قال بعض الحكماء: ليكن طلبك الدنيا اضطراراً، وفكرك فيها اعتباراً، وسعيك
لمعادك ابتداراً.
وقال عبد الحميد: طالب الدنيا عليل، ليس يروى له غليل.
اجعل صالح عملك ذخراً لك عند ربك، وجميل سيرتك أثراً مشكوراً في الناس بعدك،
ليقتدي بك الأخيار، ويزدجر بك الأشرار، تكن بالثواب حقيقاً، وبالحمد جديراً.
فقد قيل: الاغترار بالأعمار من شيم الأغمار.
فلن يبقى بعدك إلا ذكرك في الدنيا، وثوابك في الآخرة، فاظفر بهما تكن سعيداً فيهما؛ فإن
الدنيا كأحلام النائم يستحليها في غفوته، ويلفظها بعد يقظته.
وقد قيل في بعض الصحف الأولى: احرص على العمل الصالح لأنه لا يصحبك غيره.
انتهى كلام الماوردي.
وقد بالغ - رحمه الله - في عهده، وجاد بعظيم بره وجزيل رفده؛ وأوضح ما إن استمسك
به الوزير كفاه، وإن حذا على مثاله كان ذخيرةً لدينه ومعونة لدنياه.
فليتمسك به من رفل من الوزارة في حللها، وارتقى من الرياسة إلى شواهقها المنيعة وقللها؛
وأفاضت عليه السياسة برودها، وطوقته السعادة عقودها.
وليأخذ نفسه به ويرضها عليه؛ ويجعله نصب عينه فيما فوض من أمور العالم إليه؛ ليفوز
بسعادة الدنيا وثواب الآخرة، ويلتحق غداً بذوي الوجوه الناضرة، التي هي إلى ربها ناظرة.
وإن عدل عنه وعمل بضده فوا خيبة مسعاه، وسوء منقلبه ومثواه، "يوم ينظر المرء ما
قدمت يداه".
وصايا أصحاب السلطان وصفاتهم
صفاتهم
فقد ذكر "الحمدوني" في "تذكرته" ما لا بد منه لصاحب السلطان وجليسه، وحادثه
وأنيسه؛ ولا يستغني عنه وزراؤه وندماؤه، وخواصه وأوليائه؛ فقال: من صحب الملوك
وقرب منهم فينبغي أن يكون جامعاً للخلال المحمودة.
فأولها العقل، فإنه رأس الفضائل.
والعلم، فإنه من ثمار العقل ولا تليق صحبة الملوك بأهل الجهل.
والودّ، فإنه خلق من أخلاق الناس يولده العقل في الإنسان لذوي وده.

والنصيحة، وهي تابعة للود وهو الذي يبعث عليها. والوفاء، فلا تتم الصحبة إلا به.
وحفظ السر، وهو من صدق الوفاء.
والعفة عن الشهوات والأموال.
والصرامة، وهي شدة القلب فإن الملوك لا يجوز أن يصحبهم أولو النكول، ولا ينال الجسيم
من الأمور إلا الشجاع الندب النجد.
والصدق، فإنه من لا يصدق يكذب، ومضرة الكذب لا تتلافى.
وحسن الزي والهيئة، فإن ذلك يزيد في بهاء الملك.
والبشر في اللقاء، فإنه يتألف به قلب من يلاقيه، وفي الكلوح تنفيرٌ عن غير ريبة.
والأمانة فيما يستحفظ.
ورعاية الحق فيما يستودع.
والعدل والإنصاف، فإن العدل يصلح السرائر ويجمل الظواهر، وبه يخاصم الإنسان نفسه
إذا دعته إلى أمرٍ لا يحسن ركوبه.
وينبغي له أن يجانب أضداد هذه الخلال؛ وألا يكون حسوداً فإن الحسد يفسد ما بينه
وبين الناس؛ وليفرق بين الحسد والمنافسة فإنهما يشتبهان على من لا يعقل؛ وأن يخلو من
اللجاج والمحال فإن ذلك يضر بالأفعال إذا وقع فيها اشتراك؛ وألا يكون بذاخاً ولا متكبراً،
فإن البذخ من دلائل سقوط النفس، والكبر من دواعي المقت؛ وألا يكون حريصاً، فإن
الحرص من ضيق النفس وشدة البطش والبعد عن الصبر.
وينبغي ألا يكون فدماً وخماً ولا ثقيل الروح، فإنها صفة لا تليق بمن يلاقي الملوك، وأبداً
تكون صفةً للمقت من غير جرم.
وينبغي لمن صحب السلطان أن يأخذ لعمله من جميع شغله، فيأخذ من طعامه وشرابه
ونومه وحديثه ولهوه، لا كما يفعل الأغمار الجهال بخدمة الملوك، فإن أحدهم كلما ازداد
عملاً نقص من ساعات نصبه وعمله فزادها في ساعات شهوته وعبثه.
فهذه الصفات، فلنذكر الوصايا.
وصايا أصحاب السلطان
فهي متقاربة من وصايا الوزراء غير متفاوتة.
وفيها ما يضطر الوزير إليه، على ما تقف إن شاء الله تعالى عليه.
قالت الحكماء: إذا نزلت من الملك بمنزلة الثقة فاعزل عنه كلام الملق، ولا تكثر من الدعاء

له في كل كلمة، فإن ذلك يشبه حال الوحشة والغربة، إلا أن تكلمه على رؤوس الناس فلا
تأل عما وقره وعظمه.
وإذا أردت أن يقبل قولك فصحح رأيك ولا تشوبنه بشيء من الهوى، فإن الرأي يقبله منك
العدو، والهوى يرده عليك الصديق.
وتبصر ما في الملك من الأخلاق التي يحب ويكره، ثم لا تكابره بالتحويل له عما يحب ويكره
إلى ما تحب وتكره، فإنها رياضة صعبةٌ قد تحمل على التنائي والقلى.
فقلما تقدر على رد رجلٍ عن المكابرة والمناقضة وإن لم يكن جمح به عز السلطان، فكيف
إذا جمح به! ولكن تعينه على أحسن رأيه وتزينه له وتقويه عليه؛ فإذا قويت المحاسن كانت
هي التي تكفيك المساوي.
وإذا استحكمت منه ناحية من الصواب كان ذلك الصواب هو الذي يبصره مواقع الخطأ
بألطف من تبصيرك وأعدل من حكمك في نفسه؛ فإن الصواب يؤيد بعضه بعضاً ويدعو
بعضه إلى بعض.
وإذا كنت له مكابراً لحقك الخطر ولم تبلغ ما تريد.
ولا يكوننّ طلبك ما عند السلطان بالمسألة! ولا تستبطئه وإن أبطأ، ولكن اطلب ما
عنده بالاستحقاق له والاستيناء به وإن طالت الأناة، فإنك إذا استحققته أتاك من غير
طلب، وإذا لم تستبطئه كان أعجل له.
ولا تخبرنّ الملك أن لك عليه حقاً، وأنك تعتد عليه بلاء.
وإن استطعت ألا ينسى حقك وبلاءك فافعل.
وليكن ما تذكره به تجديدك له النصيحة والاجتهاد، وألا يزال ينظر منك إلى آخر يذكره
الأول؛ فإن السلطان إذا انقطع عنه الآخر نسي الأول؛ فإن أرحامهم منقطعة وحبالهم
منصرمة إلا عمن رضوا عنه في يومهم وساعتهم.
واعلم أن أكثر الناس عدو لصاحب السلطان ووزيره وذوي المكانة عنده، لأنه منفوس
عليه مكانه كما ينفس على الملك ملكه، وحسود كما يحسد عليه؛ غير أنه يجترأ عليه ولا
يجترأ على الملك، لأن حساده أحباء الملك الذين يشاركونه في المنزلة والدخول، وهم
حضور، وليسوا كعدو الملك النائي عنه الكاتم لعداوته؛ فهم لا يغفلون عن نصب الحبائل
له.

فالبس لهؤلاء الأعداء كلهم سلاح الصحة والاستقامة ولزوم المحجة فيما تسر وتعلن.
ثم روح عن قلبك حتى كأنك لا عدو لك ولا حاسد.
جانب المسخوط عليه والمظنون به عند السلطان ولا يجمعنك وإياه مجلس ولا منزل، ولا
تظهرن له عذراً ولا تثنين عليه خيراً. فإذا رأيته قد بلغ في الإعتاب مما سخط عليه فيه ما
ترجو أن يلين له الملك، واستيقنت أن الملك قد تحقق مباعدتك إياه وشدتك عليه، فضع
عند ذلك عذره عند الملك، واعمل في إرضائه بالرفق واللطف.
وإذا أصبت الجاه عند الملك وكانت لك خاصة منزلةٍ، فلا يحدثن لك ذلك تغيراً على
أهله وأعوانه واستغناءً عنهم، فإنك لا تدري متى ترى أدنى جفوةٍ فتذل لهم.
وإن استطعت أن يعرف صاحبك أنك تنحله صواب رأيك فضلاً عن صوابه فتسند ذلك
إليه وتزينه به، فإن الذي أنت بذلك آخذٌ أفضل من الذي أنت به معطٍ.
واعلم أن السلطان يقبل من الوزراء التبخيل ويعده منهم شفقة ونظراً ويحمدهم عليه وإن
كان جواداً.
فإن كنت مبخلاً فقد غششت صاحبك بفساد مروءته، وإن كنت مسخياً لم تأمن إضرار
ذلك بمنزلتك.
فالرأي لك تصحيح النصيحة والتماس المخرج، بألا يعرف منك ميلاً إلى شيء من هواك.
فهذه نبذة من وصايا أصحاب السلطان يكتفي بها اللبيب، ويتمسك بها الأريب.
وقد قدمنا في شروط الوزارة ما يحتاج صاحب السلطان إلى استعماله في خدمته.
فلنذكر ما يحتاج إليه نديم الملك ومؤاكله.
ما يحتاج إليه نديم الملك،
وما يأخذ به نفسه، وما يلزمه.
قالوا: مما يزيد النديم في المحل تقدماً، وعند ملكه تمكناً، أن يكون عالماً بكل ما يتنافس
الملوك ويتغالون فيه، من الرقيق المثمن، وقيمة الجوهر النفيس، والآلات المحكمة، وأنواع
الطيب والفرش، إلى غير ذلك من معرفة الخيل والسلاح.
ولذلك قال الواصف نفسه للفضل بن يحيى بن خالدٍ يرغبه في اختصاصه بمنادمته في شعر
طويل:
لست بالناسك المشمر ثوبي ه ولا الفاتك الخليع الوقاح

أبصر الناس بالجواهر والخيـ   ـل وبالخرد الحسان الملاح
قالوا: ومن أبرد من النديم مجلساً وأكسف منه بالاً إذا عرض على الملوك شيء من هذه
الأعلاق فلم يحر جواباً ولا وجد عنده منه علماً!.
ويستظرف من نديم السلطان أن يصف اللون الغريب من الطعام، والصوت البديع من
الشعر، واللحن الشجي من الغناء.
وقالوا: من لم يدر عشرة أصواتٍ من الغناء ويحسن من غرائب الطبيخ عشرة ألوان، لم يكن
عندهم ظريفاً كاملاً، ولا نديماً جامعاً.
وأما ما يأخذ به نفسه
فقد قالوا: ينبغي أن يكون نديم السلطان معتدل الأخلاق، سليم الجوارح، طيب المفاكهة
والمحادثة، عالماً بأيام الناس ومكارم أخلاقهم، راوية للنادر من الشعر والمثل السائر، متصرفاً
في كل فن، قد أخذ من الخير والشر بنصيب؛ فإن مالت شهوة الملك إلى ضربٍ ما وجد
عنده منه علماً.
ويلزمه أيضاً أن يحضر في الزي الظاهر الذي يعرف به، ويشهد فيه المجالس الحافلة من غير
أن يتشهر.
فإن شاء الملك أن يغير حاله وزيه ويكرمه بشيء من ثيابه، حسن أن يلبس ذلك من وقته
حتى ينقضي المجلس ولم يحسن أن يجلس فيه ظاهراً في مجلسٍ ثانٍ؛ لأنه شيء اختاره الملك
في ساعةٍ بعينها لا في كل أوقاته.
وأما العمامة والخف فلا يخلو منهما. والغرض من ذلك إجلال السلطان عن مشاركته فيما
اتسع له من التبدل والتخير في الزي الذي لا ثقل عليه منه، والانفراد به عمن هو دونه.
وهذه كانت عادة ملوك الأعاجم؛ لأنهم رسموا لكل طبقةٍ من طبقات أهل مملكتهم برسم
من الزي ليتميزوا به، ولا يتشبه سوقة بملك، ولا مشروف بذي الشرف، ولا تابع برئيس.
ومما يجب أن يأخذ به نفسه الإسراع في الخطو إذا كان بحيث يراه الملك، ليكون مشيه
إرقالاً ولا يكون اختيالاً.
ومما يلزمه أن يتحفظ منه ويروض به نفسه ألا يصبحه ولا يمسيه ولا يشمته ولا يستخبره.
وإنما ترك ذلك كله لما فيه من تكلف الجواب.
وأول من سن ذلك وحمل الناس عليه الفضل بن الربيع.
الآداب في محادثة السلطان

فقد قالوا: من حق الملك إذا حضر سماره ومحدثوه ألا يبتدئه أحد حديثاً.
فإن بدأ هو بالحديث صرف من حضره ذهنه وفكره نحوه.
فإن كان يعرف الحديث الذي حدث به الملك استمعه استماع من لم يدره ولم يعرفه، وأظهر
السرور بفائدة الملك والاستبشار بحديثه؛ فإن في ذلك أمرين: أحدهما ما يظهر من حسن
أدبه.
والآخر أن يعطي الملك حقه بحسن الاستماع.
وإن كان لم يعرفه فالنفس إلى فوائد الملوك والحديث عنهم أتوق منها إلى فوائد السوقة ومن
أشبهها.
وقد كان روح بن زنباع يقول: إذا أردت أن يمكنك الملك من أذنه فأمكن أذنك من
الإصغاء إليه إذا حدث.
وكان أسماء بن خارجة يقول: ما غلبني أحد قط غلبة رجلٍ يصغي إلى حديثي.
ومن حق الملك إذا قرب إنساناً أو أنس به حتى يهازله ويضاحكه، ثم دخل عليه، أن
يدخل دخول من لم يجر بينهما أنس قط، وأن يظهر من الإجلال والتعظيم أكثر مما كان عليه؛
فإن أخلاق الملوك ليست على نظام.
ومجالستهم ومحادثتهم تحتاج إلى سياسةٍ وتحفظٍ من وضع الحديث والمثل والشعر في
موضعه.
وإذا حدث الملك بحديثٍ وفرغ منه فنظر إلى بعض جلسائه، فقد أذن له أن يحدثه بنظير
ذلك الجنس من الحديث، وليس له أن يأخذ في غير جنس حديثه.
فإذا فرغ من ذلك الحديث فليس له أن يصله بحديث آخر وإن كان شبيهاً للحديث الأول.
فإن رأى الملك قد أقبل عليه بوجهه وأصغى إلى حديثه فليمض فيه حتى يكمله ويأتي
على آخره.
وليس له - إن قطع الملك استماع حديثه بشغل يعرض له - أن يمر على كلامه، ولكن
ينصت مطرقاً.
فإن اتصل شغل الملك، ترك الحديث.
فإن فرغ ونظر إليه، فقد أذن له في إتمامه وإعادته، وإلا فلا.
ومن حق الملك ألا يضحك بحضرته، لأن الضحك جرأة عليه؛ وألا يعاد عليه الحديث
مرتين وإن طال بينهما الدهر، إلا أن يذكره الملك، فإن ذكره فقد أذن له في إعادته.

وكان روح بن زنباع يقول: أقمت مع عبد الملك بن مروان سبع عشرة سنة من أيامه ما
أعدت عليه حديثاً.
وكان الشعبي يقول: ما حدثت بحديث مرتين لرجل بعينه قط.
وكان أبو العباس السفاح يقول: ما رأيت رجلاً أغزر علماً من أبي بكر الهذلي لم يعد عليّ
حديثاً قط.
وكان أبو بكر الهذلي يقول: حدثت المنصور بأكثر من عشرة آلاف حديث، فقال لي ليلة -
وقد حدثته عن يوم ذي قارٍ وقد اضطررت إلى التكرار - : أتعيد الحديث؟ فقلت: ما
هذا مما مر يا أمير المؤمنين؛ فقال: أما تذكر ليلة الرعد والأمطار وأنت تحدث بحديث يوم ذي
قار فقلت لك: ما يوم ذي قارٍ بأصعب من هذه الليلة؟
ومن حق المحادثة وواجب المؤانسة ترك المراء؛ هذا مع الأكفاء فكيف مع الملوك
والرؤساء! وقالوا: المماراة تفسد الصداقة القديمة، وتحل العقدة الوثيقة وتكسب الإحنة
والبغضاء.
وقال الصاحب بن عباد: للمحدث على السامع ثلاث: كتمان السر، وإصغاء الذهن، وترك
التحفظ.
هذا ما يلزم نديم الملك.
مؤاكل الملك
فقد اصطلح الناس على إجلال رؤسائهم وملوكهم عن غسل أيديهم بحضورهم،
واستجازوا ذلك مع نظرائهم ومن يسقط التحفظ بينهم وبينهم.
وربما تجمل الرئيس فقال لمؤاكله: اغسل يدك مكانك ولا تبرح.
فالغبي يغتنم ذلك ويفعل، والفطن يأباه ويسلك سبيل الأدب، فيخف على القلب.
هذا بعد الطعام.
وأما قبله فجائز أن يغسل اليد بحضرة الرئيس.
وأما الخلال فلا يستعمل بحضرته البتة.
آداب الأكل بين يدي الرئيس
ألا يخلط طعاماً بطعام، ولا يغمس اللقمة بالخل ثم يضعها في الطعام، ونحو ذلك.
هذا ما يلزم نديم الملك ومؤاكله.
وقد ذكرنا مما يجب للملك على رعيته من المناصحة والأدب والتوقير والتعظيم فيما تقدم
ما يدخل في هذا الباب، فلا فائدة في تكراره.
فلنذكر ما ورد في النهي عن صحبة الملوك.
ذكر ما ورد في النهي عن صحبة الملوك والقرب منهم.

قد نهت الحكماء عن صحبة الملوك وقالوا: إن الملوك إذا خدمتهم ملوك، وإن لم تخدمهم
أذلوك.
وإنهم يستعظمون في الثواب رد الجواب، ويستقلون في العقاب ضرب الرقاب.
وإنهم ليعثرون على العثرة اليسيرة من خدمهم فيبنون لها مناراً، ثم يوقدون لها ناراً،
ويعتقدونها ثاراً.
وقال ابن المقفع: إن وجدت عن السلطان وصحبته غنىً فصن عنه نفسك، واعتزله
جهدك؛ فإنه من يأخذه السلطان بحقه يحل بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة.
وقال العتابي وقد قيل له: لم لا تقصد الأمير فتخدمه؟ فقال: لأني أراه يعطي الواحد لغير
حسنةٍ ولا يدٍ، ويقتل الآخر بلا سيئةٍ ولا ذنبٍ، ولست أدري أي الرجلين أكون، ولست
أرجو منه مقدار ما أخاطر به.
وقال لامرأته:

أ سرك أني نلت ما نال جعفرٌ من الملك أو ما نال يحيى بن خالد

فقالت: بلى والله! فقال:

وأن أمير المؤمنين أغصني مغصهما بالمرهفات البوارد

فقالت: لا والله! فقال:

ذريني تجئني ميتتي مطمئنة ولم أتجشم هول تلك الموارد
فإن جسيمات الأمور منوطةٌ بمستودعاتٍ في بطون الأساود

الباب العاشر
قادة الجيوش، والجهاد..،
ومكايد الحرب، ووصف الوقائع، والرباط، وما قيل في أوصاف السلاح.
ما قيل في قادة الجيوش
وشروطهم وأوصافهم ووصاياهم وما يلزمهم.
قال الشيخ الإمام أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم الحليمي الجرجاني
الشافعي في كتابه المترجم ب"المنهاج" ما مختصره ومعناه:
إذا أنفذ الإمام جيشاً أو سريةً
فينبغي أن يؤمر عليهم رجلاً صالحاً أميناً محتسباً، لأن القوم إليه ينظرون.
فإذا لم يكن خيراُ في نفسه كانت أعماله بحسب سريرته وكانت أعمال القوم بحسبها
مضاهيةً لها، فإن رأوا منه كسلاً كسلوا، وإن رأوا منه فشلاً فشلوا، وإن ثبت ثبتوا، وإن

رجع رجعوا، وإن جنح إلى السلم جنحوا، وإن جد جدوا؛ فهم في تبعه كالمأموم مع
الإمام.
والعدو إنما يفرق من رئيس القوم، فإذا سمع بذي ذكر كان ذلك أهيب له من أن يسمع
بخامل لا صيت له.
وإذا سمع بشجاع غير فرار كان آيس من مقاومته، منه إذا سمع بفشلٍ جبان.
وإذا سمع بلينٍ يطمع في خداع مثله كان أجرأ على استقباله، منه إذا سمع بصلب في الدين
شديدٍ في البأس.
فيكون ما يكون من العدو من الإقدام والإحجام بحسب ما يبلغه من حال رأس المسلمين.
فلهذين السببين وجب أن يكون الرأس مستصلحاً جامعاً لأسباب الغناء والكفاية.
والله تعالى أعلم.
ما يلزم قائد الجيش.
قال أبو الحسن الماوردي في كتابه المترجم ب "الأحكام السلطانية" ما معناه: إن أمير
الجيش يلزمه ستة أحكام:
الأول منها: مسيره بالجيش.
وعليه في السير بهم سبعة حقوق: أحدها الرفق بهم في السير الذي يقدر عليه أضعفهم
وتحفظ به قوة أقواهم.
ولا يجد السير فيهلك الضعيف ويستفرغ جلد القوي.
فقد قال النبي صلى الله علي وسلم: "إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق فإن المنبت لا
أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى".
والثاني أن يتفقد خيلهم التي يجاهدون عليها وظهورهم التي يمتطونها، فلا يدخل في خيل
الجهاد قحماً كبيراً، ولا ضرعاً صغيراً، ولا حطماً كسيراً، ولا أعجف رازحاً هزيلاً؛ لأنها
لا تغني، وربما كان ضعفها وهناً.
ويتفقد ظهور المطايا والركوب، فيخرج منها ما لا يقدر على المسير ويمنع من أن تحمل زيادةً
على طاقتها.
والثالث أن يراعي من معه من المقاتلة.
وهم صنفان: مسترزقة، وهم أصحاب الديوان من أهل الفيء بحسب الغناء والحاجة؛
ومتطوعة، وهم الخارجون عن الديوان من البوادي والأعراب وسكان القرى والأمصار

الذين خرجوا في النفير الذي ندب الله إليه بقوله: "انفروا خفافاً وثقالاً"، قيل معناه: شباباً
وشيوخاً، وقيل: أغنياء وفقراء، وقيل: ركباناً ومشاةً، وقيل: ذا عيال وغير ذي عيال.
وهؤلاء يعطون من الصدقات دون الفيء.
والرابع أن يعرف على الفريقين العرفاء وينقب عليهم النقباء، ليعرف من عرفائهم ونقبائهم
أحوالهم ويقربوا عليه إذا دعاهم.
وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك في مغازيه.
والخامس أن يجعل لكل طائفة شعاراً يتداعون به ليصيروا به مميزين.
فقد جعل رسول الله صلى الله علي وسلم شعار المهاجرين: "يا بني عبد الرحمن" وشعار
الخزرج: "يا بني عبد الله" وشعار الأوس: "يا بني عبيد الله" وسمى خيله: "خيل الله".
والسادس أن يتصفح الجيش ومن فيه، فيخرج منهم من كان فيه تخذيلٌ للمجاهدين
وإرجافٌ بالمسلمين أو عيناً عليهم للمشركين.
فقد رد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي بن سلول في بعض غزواته
لتخذيله المسلمين.
قال الله تعالى: "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنةٌ ويكون الدين كله لله"، أي لا يفتن بعضكم
بعضاً.
والسابع ألا يمايل من ناسبه أو وافق رأيه ومذهبه على من باينه في النسب أو خالفه في
رأيٍ ومذهبٍ، فيظهر من المباينة ما تفرق به الكلمة الجامعة تشاغلاً بالتقاطع والاختلاف.
فقد أغضى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنافقين وهم أضدادٌ في الدين، وأجرى
عليهم حكم الظاهر حتى قويت بهم الشوكة وكثر بهم العدد وتكاملت بهم العدة، ووكلهم
فيما أضمروه من النفاق إلى الله تعالى.
قال الله تعالى: "ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم"، قيل فيه: الدولة، وقيل: القوة.
والثاني: تدبير الحرب.
قال الماوردي: والمشركون في دار الحرب صنفان، صنفٌ منهم بلغتهم دعوة الإسلام
فامتنعوا منها وتأبوا عليها.
فأمير الجيش مخير في قتالهم بين أن يبيتهم ليلاً ونهاراً بالقتل والتحريق، وبين أن ينذرهم
الحرب ويصافهم في القتال.

والصنف الثاني لم تبلغهم دعوة الإسلام وهم قليلٌ جداً، إلا أن يكونوا وراء من يلي هذه
البلاد الإسلامية من الترك والروم في مبادئ بلاد المشرق وأقاصي المغرب، فيحرم عليه
الإقدام على قتالهم غرةً وبياتاً، وأن يبدأهم بالقتال قبل إظهار دعوة الإسلام لهم وإعلامهم
من معجزات النبوة وظهور الحجة ما يقودهم إلى الإجابة.
فإن أقاموا على الكفر بعد ظهورها لهم، حاربهم وصاروا فيه كمن بلغتهم الدعوة.
قال الله تعالى: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي
أحسن"، معناه إلى دين ربك بالنبوة والقرآن. فإن بدأ بقتالهم قبل دعائهم إلى الإسلام
وإنذارهم بحججه وقتلهم غرةً وبياتاً، ضمن ديات نفوسهم.
وهي على الأصح من مذهب الشافعي كديات المسلمين.
وقيل: بل تكون كديات الكفار على اختلافها.
وإذا تقابلت الصفوف في الحرب جاز لمن قاتل من المسلمين أن يعلم بما يشتهر به في
الصفوف ويتميز به من بين الجيش، وأن يركب الأبلق إن كانت خيول الناس دهماً أو شقراً.
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم بدر: "سوموا فإن الملائكة قد
سومت".
ويجوز أن يجيب إلى البراز إذا دعي إليه؛ فقد دعا أبي بن خلف رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلى البراز يوم أحد فبرز إليه فقتله النبي صلى الله عليه وسلم.
ويجوز أيضاً للمقاتل من المسلمين أن يدعو إلى البراز لما فيه من إظهار القوة في دين الله
تعالى بعد أن يعلم من نفسه أن لن يعجز عن مقاومة خصمه ويقدر على دفع عدوه.
ولا يجوز ذلك لزعيم الجيش، فإنه إذا طلب البراز وفقد، أثر ذلك في المسلمين؛ وربما يفضي
بهم عدمه إلى الهزيمة.
ورسول الله صلى الله عليه وسلم إنما برز لثقته بنصر الله وإنجاز وعده، وليس ذلك
لغيره.
ويجوز لأمير الجيش إذا حض على الجهاد أن يعرض للشهادة من الراغبين فيها من يعلم أن
قتله في المعركة مما يحرض المسلمين على القتال حميةً له.
حكى موسى بن إسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من العريش يوم بدر فحرض

الناس على الجهاد ونفل كل امرئ منهم ما أصاب، وقال:
"والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم
رجلٌ فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة"؛
فقال عمير بن الحمام من
بني سلمة وفي يده تمراتٌ يأكلهن: بخٍ بخٍ! ما بقي بيني وبين
أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني
هؤلاء القوم، ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه وتقدم وقاتل
القوم حتى قتل - رحمه الله
- وهو يقول:
ركضاً إلى الله بغير زاد   إلا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد   وكل زاد عرضة النفاد
غير التقى والبر والرشاد
ويجوز للمسلم أن يقتل من ظفر به من مقاتلة المشركين
محارباً وغير محارب.
واختلف في قتل شيوخهم ورهبانهم من سكان الصوامع
والديارات.
فمن منع من قتلهم قال: إنهم موادعون.
ومن قال بقتلهم وإن لم يقاتلوا قال: لأنهم ربما أشاروا برأي
يكون فيه إنكاءٌ للمسلمين.
وقد قتل دريد بن الصمة في حرب هوازن - وهو يوم حنين - وقد
جاوز مائة سنة،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يراه فلم ينكر قتله؛ وكان
يقول حين قتل:
أمرتهم أمري بمنعرج اللوى   فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى
الغد
فلما عصوني كنت منهم وقد أرى   غوايتهم لا أنني غير
مهتدي
ولا يجوز قتل النساء والولدان في حرب ولا غيرها ما لم يقاتلوا؛
لنهي رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن قتلهم.
وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل العسفاء
والوصفاء - والعسفاء:
المستخدمون، والوصفاء: المماليك - .
فإن قاتل النساء والولدان قوتلوا مقبلين ولم يقتلوا مدبرين.
وإذا تترسوا في الحرب بنسائهم وأطفالهم عمد قتلهم وتوقي
قتل النساء والأطفال، فإن لم
يوصل إلى قتلهم إلا بقتل النساء والأطفال جاز، ولو تترسوا
بأسرى المسلمين ولم يوصل إلى
قتلهم إلا بقتل الأسارى لم يجز قتلهم، فإن أفضى الكف عنهم
إلى الإحاطة بالمسلمين،
توصلوا إلى الخلاص منهم كيف أمكنهم وتحرزوا أن يعمدوا قتل
مسلم؛ ويجوز عقر خيلهم

من تحتهم إذا قاتلوا عليها؛ ومنع بعض الفقهاء من عقرها.
وليس لأحد من المسلمين أن يعقر فرس نفسه، لأن الخيل من القوة التي أمر الله تعالى
بإعدادها في جهاد عدوه.
قال الله تعالى: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوةٍ ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله
وعوكم".
ولا احتجاج بعقر جعفر بن أبي طالب فرسه يوم مؤتة، فإنه اقتحم بفرس له شقراء حتى
التحم القتال ثم نزل عنها وعقرها وقاتل حتى قتل رضي الله عنه، وهو أول رجل من
المسلمين عقر فرسه في الإسلام، وهو إنما عقر فرسه بعد أن أحيط به، فعقره لها خشية أن
يتقوى بها المشركون على المسلمين، فصار عقرها كعقر خيولهم.
والثالث: ما يلزم أمير الجيش في سياستهم.
والذي يلزمه فيها عشرة أشياء:
أحدها: حراستهم من غرة يظفر بها العدو منهم، وذلك بأن يتتبع المكامن فيحفظها عليهم
ويحوط سوادهم بحرس يأمنون به على نفوسهم ورحالهم، ليسكنوا في وقت الدعة ويأمنوا
ما وراءهم في وقت المحاربة.
والثاني: أن يتخير لهم موضع نزولهم لمحاربة العدو، وذلك أن يكون أوطأ الأرض مكاناً
وأكثرها مرعى وماء وأحرسها أكنافاً وأطرافاً، ليكون أعون لهم على المنازلة وأقوى لهم
على المرابطة.
والثالث: إعداد ما يحتاج الجيش إليه من زاد وعلوفة تفرق عليهم في وقت الحاجة،
لتسكن نفوسهم إلى مادة يستغنون بها عن السعي في تحصيلها، وتتوفر دواعيهم على منازلة
العدو.
والرابع: أن يعرف أخبار عدوه حتى يقف عليها، ويتصفح أحوالهم حتى يخبرها ليسلم
من مكرهم ويلتمس الغرة في الهجوم عليهم.
والخامس: ترتيب الجيش في مصاف الحرب، والتعويل في كل جهة على من يراه كفئاً لها،
ويتفقد الصفوف من الخلل فيها، ويراعي كل جهة يميل العدو عليها بمدد يكون عوناً لها.
والسادس: أن يقوي نفوسهم بما يشعرهم من الظفر ويخيل إليهم من أسباب النصر، ليقل
العدو في أعينهم فيكونوا عليه أجرأ.

قال الله عز وجل: "إذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في
الأمر".
والسابع: أن يعد أهل الصبر والبلاء منهم بثواب الله إن كانوا من أهل الآخرة، وبالجزاء
والنفل من الغنيمة إن كانوا من أهل الدنيا.
والثامن: أن يشاور ذوي الرأي فيما أعضل، ويرجع إلى أهل الحزم فيما أشكل؛ ليأمن
الخطأ ويسلم من الزلل.
وقد تقدم ذكر ما في المشورة من البركة والخير.
والتاسع: أن يأخذ جيشه بما أوجب الله تعالى من حقوقه وأمر به من حدوده، حتى لا
يكون منهم تجوز في دين الله ولا تحيف في حق، فإن من جاهد عن الدين كان أحق الناس
بالتزام أحكامه.
وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "انهوا جيوشكم عن الفساد فإنه
ما فسد جيشٌ قط إلا قذف الله في قلوبهم الرعب وانهوا جيوشكم عن الزنا فإنه ما زنى
جيش قط إلا سلط الله عليهم الموتان وانهوا جيوشكم عن الغلول فإنه ما غل جيشٌ قط
إلا قذف الله الرعب في قلوبهم".
وقال أبو الدرداء: يا أيها الناس، عملٌ صالحٌ قبل الغزو فإنما تقاتلون بأعمالكم.
والعاشر: ألا يمكن أحداً من جيشه أن يتشاغل بتجارة أو زراعة ليصرفه الاهتمام بها عن
مصابرة العدو وصدق الجهاد.
روي عن نبي من أنبياء الله تعالى أنه قال: "لا يغزون معي من بنى بناءً لم يكمله ولا رجلٌ
تزوج امرأةً لم يدخل بها ولا رجلٌ زرع زرعاً لم يحصده".
والرابع: ما يلزم المجاهدين معه من حقوق الجهاد.
وهو ضربان: أحدهما ما يلزمه في حق الله تعالى؛ والثاني ما يلزمهم في حق الأمير عليهم.
فأما اللازم لهم في حق الله تعالى فأربعة أشياء.
أحدها: مصابرة العدو عند التقاء الجمعين بألا ينهزم عنه من مثليه فما دون ذلك.
وقد كان الله عز وجل فرض في أول الإسلام على كل مسلم أن يقاتل عشرةً من المشركين،
فقال تعالى: "يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا
مائتين وإن يكن منكم مائةٌ يغلبوا ألفاً من الذين كفروا".

ثم خفف الله عنهم عند قوة الإسلام وكثرة أهله فأوجب على كل مسلم لاقى العدو أن
يقاتل رجلين منهم، فقال تعالى: "الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن
منكم مائةٌ صابرةٌ يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألفٌ يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع
الصابرين"، فحرم على كل مسلم أن ينهزم من مثليه إلا لإحدى حالتين: إما أن يتحرف لقتال
فيولي لاستراحة أو لمكيدة ويعود إلى قتالهم؛ وإما أن يتحيز إلى فئة أخرى يجتمع معها على
قتالهم.
قال الله تعالى: "ومن يولهم يومئذٍ دبره إلا متحرفاً لقتالٍ أو متحيزاً إلى فئةٍ فقد باء بغضبٍ
من الله"، قال: وسواء قربت الفئة التي يتحيز إليها أو بعدت.
فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لفل القادسية حين انهزموا إليه: أنا فئة كل
مسلم.
ويجوز إذا زادوا على مثليه ولم يجد إلى المصابرة سبيلاً أن يولي عنهم غير متحرف لقتال
ولا متحيزٍ إلى فئة.
هذا مذهب الإمام الشافعي رحمه الله.
واختلف أصحابه فيمن عجز عن مقاومة مثليه وأشرف على القتل هل يجوز انهزامه،
فقالت طائفة: لا يجوز انهزامه عنهم وإن قتل، للنص.
وقالت طائفة أخرى: يجوز أن يولي ناوياً أن يتحرف لقتال أو يتحيز إلى فئة ليسلم من القتل
ومن إثم الخلاف؛ فإنه إن عجز عن المصابرة فلا يعجز عن هذه النية.
وقال أبو حنيفة: لا اعتبار بهذا التفصيل، والنص فيه منسوخ، وعليه أن يقاتل ما أمكنه
وينهزم إذا عجز وخاف القتل.
والثاني من حقوق الله تعالى: أن يقصد بقتاله نصرة دين الله تعالى وإبطال ما خالفه من
الأديان، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.
فيكون بهذا الاعتقاد حائزاً لثواب الله تعالى ومطيعاً له في أوامره ونصرة دينه ومستنصراً
على عدوه ليستسهل ما لاقى فيكون أكثر ثباتاً وأبلغ نكاية.
ولا يقصد بجهاده استفادة المغنم فيصير من المتكسبين لا من المجاهدين.
والثالث من حقوق الله تعالى: أن يؤدي الأمانة فيما حازه من الغنائم ولا يغل منها شيئاً

حتى تقسم بين جميع الغانمين ممن شهد الوقعة وكانوا على العدو يداً، لأن لكل واحدٍ منهم
فيها حقاً.
قال الله تعالى: " ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة".
والرابع من حقوق الله تعالى: ألا يمايل من المشركين ذا قربى ولا يحابي في نصرة الله تعالى ذا
مودة، فإن حق الله أوجب ونصرة دينه ألزم.
قال الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة
وقد كفروا بما جاءكم من الحق".
نزلت الآية في حاطب بن أبي بلتعة وقد كتب كتاباً إلى أهل مكة حين هم رسول الله صلى
الله عليه وسلم بغزوهم يعلمهم فيه بالخبر وأنفذه مع سارة - مولاةٍ لبني المطلب - فأطلع
الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك، فأنفذ علياً والزبير في أثرها فأدركاها
وأخذا الكتاب من قرون رأسها، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم حاطباً فقال: "ما حملك
على ما صنعت"؛ فقال: والله يا رسول الله إني لمؤمن بالله ورسوله، ما كفرت ولا بدلت
ولكني امرؤ ليس لي في القوم أصل ولا عشيرة وكان لي بين أظهرهم أهلٌ وولد فصانعتهم
عليهم؛ فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه.
على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى مبيناً في أثناء السيرة النبوية عند ذكرنا لغزوة الفتح،
فتأمله هناك تجده.
وأما ما يلزمهم في حق الأمير عليهم فأربعة أشياء.
أحدها: التزام طاعته والدخول في ولايته؛ لأن ولايته عليهم انعقدت، وطاعته بالولاية
وجبت.
والثاني: أن يفوضوا الأمر إلى رأيه ويكلوه إلى تدبيره، حتى لا تختلف آراؤهم فتختلف
كلمتهم ويفترق جمعهم.
قال الله تعالى: "ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم".
فجعل تفويض الأمر إلى وليه سبباً إلى حصول العلم وسداد الأمر.
فإن ظهر لهم صوابٌ خفي عليه بينوه له وأشاروا به عليه.
والثالث: أن يسارعوا إلى امتثال أمره، والوقوف عند نهيه وزجره ،لأنهما من لوازم
طاعته.

فإن توقفوا عما أمرهم به أو أقدموا على ما نهاهم عنه ورأى تأديبهم على المخالفة
بحسب أفعالهم، فعل.
ولا يغلظ فينفر.
قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: "فبما رحمةٍ من الله لنت لهم ولو كنت فظاً
غليظ القلب لانفضوا من حولك".
والرابع: ألا ينازعوه في الغنائم إذا قسمها فيهم، ويتراضوا به بعد القسمة.
والخامس من أحكامها: مصابرة الأمير على قتال العدو ما صبر وإن تطاولت به المدة.
ولا يولي عنهم وفيه قوة.
قال الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون".
قيل:في تأويل هذه الآية: اصبروا على الجهاد، وصابروا العدو، ورابطوا بملازمة الثغر.
فإذا كانت مصابرة القتال من حقوق الجهاد فهي لازمة حتى يظفر بخصلة من أربع خصال:
إحداهن: أن يسلموا فيصير لهم بالإسلام ما لنا وعليهم ما علينا، ويقروا على ما ملكوا
من بلاد وأموال.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا
قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها".
وتصير بلادهم إذا أسلموا دار إسلام يجري عليها حكم الإسلام.
ولو أسلم منهم في معركة الحرب طائفةٌ، قلت أو كثرت، أحرزوا بالإسلام ما ملكوا في دار
الحرب من أرض ومال.
فإذا ظهر على دار الحرب لم تغنم أموال من أسلم.
وقال أبو حنيفة: يغنم ما لا ينقل من أرض ودار، ولا يغنم ما ينتقل من مال ومتاع.
والخصلة الثانية: أن يظفره الله تعالى بهم مع مقامهم على شركهم، فيسبي دراريهم ويغنم
أموالهم ويقتل من لم يحصل في الأسر منهم.
ويكون مخيراً في الأسرى في استعمال الأصلح من أربعة أمور.
أحدها: أن يقتلهم صبراً بضرب العنق.
والثاني: أن يسترقهم ويجري عليهم أحكام الرق من بيع أو عتق.
والثالث: أن يفادي بهم على مال أو أسرى.
والرابع: أن يمن عليهم ويعفو عنهم.
قال الله تعالى: "فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا

الوثاق"، معناه الأثر، ثم قال: "فإما منا بعد وإما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها".
والخصلة الثالثة: أن يبذلوا مالاً على المسالمة والموادعة، فيجوز أن يقبله منهم ويوادعهم
فيه.
وهو على ضربين:
أحدهما: أن يبذلوه لوقتهم ولا يجعلوه خراجاً مستمراً، فهذا المال غنيمة لأنه مأخوذ
بإيحاف خيل وركاب، فيقسم بين الغانمين، ويكون ذلك أماناً لهم في الانكفاف عن قتالهم في
هذا الجهاد، ولا يمنع من جهادهم فيما بعد.
والضرب الثاني: أن يبذلوه في كل عام، فيكون خراجاً مستمراً، ويكون الأمان به مستقراً.
والمأخوذ منهم في الأول غنيمة تقسم بين الغانمين، وما يؤخذ في الأعوام المستقبلة يقسم بين
أهل الفيء.
ولا يجوز أن يعاود جهادهم ما كانوا مقيمين على بذل المال، لاستقرار الموادعة عليه.
وإذا دخل أحدهم إلى دار الإسلام، كان له بعقد الموادعة وارتفع الأمان ولزم الجهاد
كغيرهم من أهل الحرب.
وقال أبو حنيفة: لا يكون منعهم من مال الجزية والصلح نقضاً لأمانهم، لأنه حق عليهم فلا
ينتقض العهد بمنعهم منه.
والخصلة الرابعة: أن يسألوا الأمان والمهادنة؛ فيجوز إذا تعذر الظفر بهم وأخذ المال منهم
أن يهادتهم على المسألة في مدة مقدرة تعقد الهدنة عليها إذا كان الإمام قد أذن له في الهدنة
أو فوض إليه الأمر.
فقد هادن رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً عام الحديبية عشر سنين.
ويقتصر في مدة الهدنة على أقل ما يمكن، ولا يجاوز بأكثرها عشر سنين.
فإذا هادنهم أكثر منها بطلت الهدنة فيما زاد عليها، ولهم الأمان فيها إلى انقضاء مدتها لا
يجاهدون فيها من غير إنذار.
فإن نقضوه صاروا حرباً يجاهدون من غير إنذار فقد نقضت قريش صلح الحديبية.
فسار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح محارباً.
وإذا نقضوا عهدهم فلا يجوز قتل من في أيدينا من رهائنهم.
وقد نقض الروم عهدهم في زمان معاوية وفي يده رهائن فامتنع المسلمون جميعاً من قتلهم

وخلوا سبيلهم وقالوا: وفاءٌ بغدرٍ خيرٌ من غدر بغدر.
وإذا لم يجز قتل الرهائن لم يجبْ إطلاقهم ما لم يحاربوا.
فإن حاربونا وجب إطلاق رهائنهم وإبلاغ الرجل منهم مأمنهم وإيصال النساء والأطفال
والذراري إلى أهليهم.
ويجوز أن يشترط لهم في عقد الهدنة رد من أسلم من رجالهم إليهم.
فإذا أسلم أحدهم رد إليهم إن كانوا مأمونين على دمه، ولم يرد إليهم إن لم يؤمنوا على
دمه.
ولا يشترط رد من أسلم من نسائهم، لأنهم ذوات فروج محرمة.
فإن شرط ردهن لم يجز أن يرددن؛ ودفع إلى أزواجهن مهورهن إذا طلبن.
ولا تجوز المهادنة لغير ضرورة تدعو إلى عقدها، وتجوز الموادعة أربعة أشهر فما دونها ولا
يزيد عليها.
وأما الأمان الخاص فيصح أن يبذله كل مسلم من رجل وامرأة وحر وعبد؛ لقول النبي
صلى الله عليه وسلم: "المسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يدٌ على من سواهم يسغى بذمتهم
أدناهم"، يعني عبيدهم.
وقال أبو حنيفة: لا يصح أمان العبد إلا أن يكون مأذوناً له في القتال.
والسادس من أحكامها: السيرة في نزال العدو وقتاله.
يجوز لأمير الجيش في حصار العدو أن ينصب عليهم العرادات والمجانيق.
فقد نصب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل الطائف منجنيقاً.
ويجوز أن يهدم عليهم منازلهم، ويضع عليهم البيات والتحريق.
وإذا رأى في قطع نخلهم وشجرهم صلاحاً ليظفر بهم عنوةً أو يدخلوا في السلم صلحاً لما
ينالهم من الضعف، فعل.
ولا يفعل إن لم ير فيه صلاحاً، فقد قطع النبي صلى الله عليه وسلم كروم أهل الطائف
فكان سبباً لإسلامهم، وأمر في حرب بني النضير بقطع نوع من النخل يقال له الأصفر يرى
نواه من وراء اللحاء، وكانت النخلة منها أحب إليهم من الوصيف، فحزنوا لقطعها، وجاء
المسلمون إلى رسول الله صلى الله علي وسلم فقالوا: يا رسول الله، هل لنا فيما قطعنا من
أجر؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر؟ فأنزل الله تعالى: "ما قطعتم من لينةٍ أو تركتموها

قائمةً على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين".
ويجوز أن يعور عليهم المياه ويقطعها عنهم وإن كان فيهم النساء والأطفال؛ لأنه من أقوى
أسباب ضعفهم والظفر بهم.
وإذا استسقى منهم عطشان فالأمير مخير في سقيه أو منعه.
ومن قتل منهم واراه عن الأبصار ولم يلزم تكفينه.
ولا يجوز أن يحرق بالنار منهم حياً ولا ميتاً.
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا تعذبوا عباد الله بعذاب الله"، وقد
أحرق أبو بكر الصديق رضي الله عنه قوماً من أهل الردة.
قال الماوردي: ولعل ذلك كان منه والخبر لم يبلغه.
ومن قتل من شهداء المسلمين زمّل في ثيابه ودفن ولم يغسل ولم يصل عليه.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهداء أحد: "زملوهم بكلومهم فإنهم يبعثون يوم
القيامة وأوداجهم تشخب دماً اللون لون دم والريح ريح المسك"، قال الله تعالى: "ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون".
ولا يمنع الجيش في دار الحرب من أكل طعامهم وعلوفة دوابهم غير محتسبٍ به عليهم.
ولا يتعدوا القوت والعلوفة إلى ما سواهما من ملبوس ومركوب.
فإن دعتهم الضرورة إلى ذلك، كان ما لبسوه أو ركبوه أو استعملوه، مسترجعاً منهم في
المغنم إن كان باقياً، ومحتسباً عليهم من سهمهم إن كان مستهلكاً.
ولا يجوز لأحد منهم أن يطأ جاريةً من السبي إلا بعد أن يعطاها بسهمه فيطأها بعد
الاستبراء.
فإن وطئها قبل القسمة عزر ولا يحد، لأن له فيها سهماً؛ ووجب عليه مهر مثلها يضاف
إلى الغنيمة.
فإن أحبلها لحق به ولدها وصارت أم ولدٍ له إن ملكها.
وإن وطئ من لم تدخل في السبي حد، لأن وطأها زناً؛ ولم يلحق به ولدها إن علقت.
وإذا عقدت هذه الإمارة على غزاة واحدة، لم يكن لأميرها أن يغزو غيرها سواء غنم فيها
أو لم يغنم.
وإذا عقدت عموماً عاماً بعد عامٍ لزمه معاودة الغزو في كل وقت يقدر على الغزو فيه، ولا
يفتر عنه مع ارتفاع الموانع إلا قدر الاستراحة.
وأقل ما يجزيه أن لا يعطل عاماً من جهاد.

ولهذا الأمير، إذا فوضت إليه الإمارة على المجاهدين، أن ينظر في أحكامهم ويقيم الحدود
عليهم وسواء من ارتزق منهم أو تطوع.
ولا ينظر في أحكام غيرهم ما كان سائراً إلى ثغره.
فإذا استقر في الثغر الذي تقلده، جاز أن ينظر في أحكام جميع أهله من مقاتلة ورعية.
وإن كانت إمارته خاصة أجري عليها حكم الخصوص.
وصايا أمير الجيش.
قال الحليمي: ويوصي الإمام أمير السرية والجند بتقوى الله وطاعته والاحتياط والتيقظ،
ويحذرهم الشتات والفرقة والإهمال والغفلة، ويأخذ على الجند أن يسمعوا ويطيعوا أميرهم
ولا يختلفوا عليه وينصحوا له، ولا يخذل بعضهم بعضاً، وإن أظفرهم الله على العدو لا
يغلوا ولا يخونوا، ولا يعقروا من دواب المشركين التي لا تكون تحتهم، ولا يقتلوا امرأةً لا
تقاتلهم ولا وليداً، وأنهم إن وصلوا إلى قرية لا يدرون حالها، أمسكوا عنها وعن أهلها ولا
يبيتونهم ولا يشنون الغارة عليهم حتى يعلموا حالهم؛ إلى غير ذلك من الآداب التي يحتاجون
إلى معرفتها مما يلزم ويحل أو يحرم من أمر القتل والأسر والمغنم والقسم وعزل الخمس ومن
يسهم له أولا يسهم ومن يرضخ له، والفرق بين الفارس والراجل ونحو ذلك.
وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الجراح أنه بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
إذا بعث جيشاً أو سريةً قال: "باسم الله وفي سبيل الله تقاتلون من كفر بالله لا تغلوا ولا
تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا امرأةً ولا وليداً".
فإذا بعثت جيشاً أو سرية فمرهم بذلك.
وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين وجهه لقتال أهل الردة: سر على بركة الله، فإذا
دخلت أرض العدو فكن بعيداً من الحملة فإني لا آمن عليك الجولة، واستظهر بالزاد، وسر
بالأدلاء، ولا تقاتل بمجروح فإن بعضه ليس منه، واحترس من البيات فإن في العرب غرة،
وأقلل من الكلام فإنما لك ما وعي عنك، واقبل من الناس علانيتهم وكلهم إلى الله في
سريرتهم؛ واستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه.
وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول عند عقد الألوية: باسم الله وبالله وعلى عون

الله، أمضوا بتأييد الله والنصر ولزوم الحق والصبر، فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله، ولا
تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين.
ولا تجبنوا عند اللقاء، ولا تمثلوا عند القدرة، ولا تسرفوا عند الظهور، ولا تقتلوا هرماً ولا
امرأةً ولا وليداً، وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان وعند شن الغارات.
وكتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص ومن معه من الأجناد: أم بعد فإني آمرك ومن معك
بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة في الحرب.
وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم؛ فإن ذنوب
الجيش أ؛وف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم
تكن لنا قوةٌ بهم؛ لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم.
فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة.
وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا.
واعلموا أن عليكم في مسيركم حفظةً من الله يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم.
ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله.
ولا تقولوا إن عدونا شرٌ منا فلن يسلط علينا وإن أسأنا؛ فرب قوم قد سلط عليهم شرٌ
منهم كما سلط على بني إسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفرة المجوس فجاسوا خلال
الديار وكان وعداً مفعولاً.
واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم.
اسأل الله ذلك لنا ولكم.
وترفق بالمسلمين في مسيرهم، ولا تجشمهم مسيراً يتعبهم، ولا تقصر بهم عن منزل يرفق
بهم، حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم؛ فإنهم سائرون إلى عدو مقيم حامي
الأنفس والكراع.
وأقم بمن معك في كل جمعة يوماً وليلة حتى تكون لهم راحة يجمعون فيها أنفسهم ويرمون
أسلحتهم وأمتعتهم.
ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه ولا
يرزأ أحداً من أهلها شيئاً، فإن لهم حرمةً وذمةً ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها؛
فما صبروا لكم ففوا لهم.

ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح.
وإذا وطئت أدنى أرض العدو فأذك العيون بينك وبينهم، ولا يخف عليك أمرهم.
وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه، فإن الكذوب
لا ينفعك خبره وإن صدق في بعضه، والغاش عينٌ عليك وليس عيناً لك.
وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك وبينهم فتقطع
السرايا أمدادهم ومرافقهم، وتتبع الطلائع عوراتهم.
وانتق للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك، وتخير لهم سوابق الخيل، فغن لقوا العدو
كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك.
واجعل أمر السرايا إلى أهل الجهاد والصبر على الجلاد، ولا تخص بها أحداً بهوى، فيضيع
من رأيك وأمرك أكثر مما حابيت به أهل خاصتك.
ولا تبعث طليعةً ولا سريةً في وجهٍ تتخوف عليها فيه ضيعةً ونكاية.
فإذا عاينت العدو فاضمم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك، واجمع إليك مكيدتك
وقوتك، ثم لا تعاجلهم المناجزة، ما لم يستكرهك قتال، حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله،
وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها، فتصنع بعدوك كصنيعه بك.
ثم أذك أحراسك على عسكرك، وتحفظ من البيات جهدك.
ولا تؤتي بأسير ليس له عهدٌ إلا ضربت عنقه، لترهب بذلك عدوك وعدو الله.
والله ولي أمرك ومن معك، وولي النصر لكم على عدوكم؛ والله المستعان.
وأوصى عبد الملك بن مروان أميراً سيره إلى أرض الروم فقال: أنت تاجر الله لعباده، فكن
كالمضارب الكيس الذي إن وجد ربحاً تجر، وإلا تحفظ برأس المال؛ ولا تطلب الغنيمة
حتى تحوز السلامة؛ وكن من احتيالك على عدوك أشد حذراً من احتيال عدوك عليك.
وكان زياد بن أبيه يقول لقواده: تجنبوا اثنين لا تقاتلوا فيهما العدو: الشتاء، وبطون الأودية.
وكان قتيبة بن مسلم يقول لأصحابه: إذا غزوتم فأطيلوا الأظفار، وقصروا الشعور،
والحظوا الناس شزراً، وكلموهم رمزاً، واطعنوهم وخزاً.
وكان أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة يقول لقواده: أشعروا قلوبكم الجرأة فإنها من

أسباب الظفر، وأكثروا ذكر الضغائن فإنها تبعث على الإقدام، والزموا الطاعة فإنها حصن
المحارب.
وقالت الحكماء: لا تستصغرن أمر عدوك إذا حاربته، لأنك إن ظفرت به لم تحمد وإن
ظفر بك لم تعذر؛ والضعيف المحترس من العدو القوي أقرب إلى السلامة من القوي المغتر
بالضعيف.
ما يقوله قائد الجيش وجنده
من حين يشاهد العدو إلى انفصال الحرب والظفر بعدوهم.
قال الشيخ أبو عبد الله الحسين الحليمي في منهاجه: إذا مضى الجيش باسم الله فلقوا
العدو فليتعوذوا بالله تعالى، وليقولوا: اللهم إنا ندرأ بك في نحورهم،ونعوذ بك من شرورهم.
فإذا قاتلوا فليقولوا: اللهم بك نصول ونجول، وليقولوا: "إياك نعبد وإياك نستعين".